



تراث

# فوائده الجمال وفوائده الجلال

الشيخ  
نجم الدين كُبْرَى

دراسة وتحقيق  
دكتور يوسف زيدان



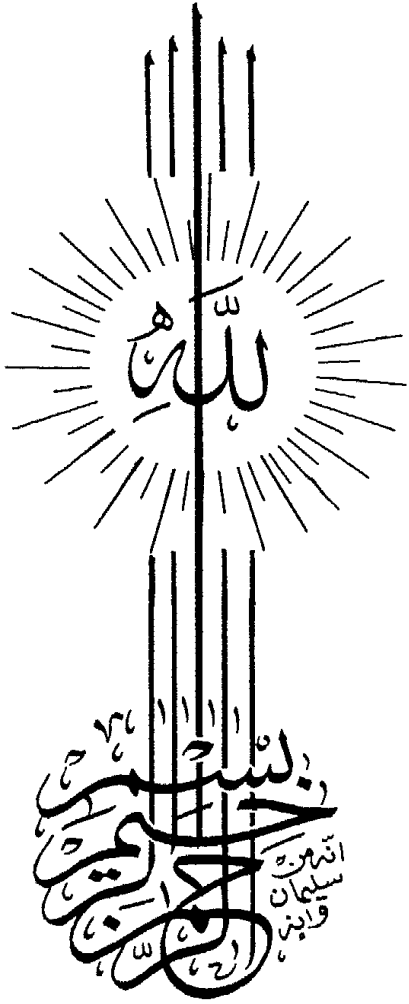
دار السلام الصباح

رقم الإيداع : ١٩٩٣/٧٦٧٠  
I.S.B.N. 977—274—028—1

الطبعة الأولى ١٩٩٣  
جميع الحقوق محفوظة ©  
دار سعاد الصباح  
ص.ب : ٢٧٢٨٠  
الصفحة ١٣١٣٣ - الكويت  
القاهرة - ص.ب : ١٣ المقطم  
دق ٢٦٧  
٣٤٩١٧٢٧  
تليفون : ٣٤٩٧٧٧٩  
٧٠٩٥٨٣  
٧٠٩٥٦٣  
فاكس : ٥٠٦١٠٣٠

الإشراف الفني : حلمى التونى

**فوائج الجمال  
وفوائج الجلال**



الإهداء..

إلى الصوفي الوزير الإنسان  
حسن عباس زكي

يوسف زيدان

## تمهيد

للسوفية الفرس مكانتهم المتميزة في تاريخ التصوف عند المسلمين ، فقد شاركوا الصوفية العرب في كتابة التاريخ الصوفي ، بحيث يستحيل الفصل بين الفريقين ؛ خاصة أن كليهما شرب من نبع واحد هو الوحي المحمدي ، وانتسب لثقافة بعينها هي الثقافة العربية الإسلامية .

ومع ذلك ، فللسوفية من ذوى الأصول الفارسية مذاق خاص . فهم وإن وفدوا على الجانب العربى من العالم الإسلامى ، أو استوطنوه - والكلام هنا عن القرون السابقة ، قبل رسم تلك الحدود السياسية بين بلدان المسلمين - إلا أنهم اختصوا دوماً بروح مميّز عن روح الصوفية العرب .. ففى شعر الصوفية الفرس نرى تلك الروح المتأجّجة في مقابل الروح الرصينة لدى شعراء الصوفية العرب ؛ ولنقارن بين شعر جلال الدين الرومى أعظم شعراء الصوفية الفرس ، وشعر عمر ابن الفارض أشهر شعراء الصوفية العرب ، لنرى أشعار ابن الفارض الموشاة بفنون البلاغة ، المزينة ببحر الجناس التام والناقص ، الرافلة فى ألوان التشبيه والاستعارة .. بينما يتدفّق شعر الرومى عارماً ، دافئاً ، متألماً ، ناحساً لفظه وجماليات تعبيره من حرارة القلب والتهاب الروح . ولننظر فى شعر العطار مقارناً بأشعار ابن عربى ، لنرى خيال العطار المحلّق ، فى مقابل رسوخ ابن عربى وصرامته . وفى النثر الصوفى ، نقارن بين كتابات شهاب الدين السهروردى الإشرافى - الفارسى الأصل - بكتابات الصوفى العربى الكبير محمد عبد الحق بن سبعين ؛ فنرى السهروردى يكتب بيد ساحرة فيأتى فى قصصه الصوفى بصور خيالية هائلة ، ويرمز للمعنى البعيد باللفظ العجيب .. بينما يوجز ابن سبعين ويحدّ العبارة ويقدّ كلامه من الصخر المتين .

وفى طبيعة الحياة الروحية ، نرى الصوفية الفرس أكثر اشتعلاً من نظرائهم العرب ، وأشدّ احترافاً .. حتى إننى بدأت فى عمل كتاب عن قتلى الصوفية

وشهادتهم ، أولئك الذين تدفقت رحلتهم الروحية حتى انتهت بواقعة موت عارم ، مروع ، أخاذ ؛ فوجدتهم - كلهم - من ذوى الأصول الفارسية : الحسين ابن منصور الحلاج ، أبو الحسين النورى ، عماد الدين النسيمي ، عين القضاة ، الهمذاني ، شهاب الدين السهروردي ، مجد الدين البغدادي الخوارزمي ، نجم الدين الكُبرى .

\* \* \*

بدأت معرفتى بنجم الدين الكُبرى على مقاعد الدرس فى السنة الثانية من دراستى بقسم الفلسفة بآداب الإسكندرية .. كنا وقتها ندرس فخر الدين الرازى ، الفقيه المتكلم المفسر ، وبيننا نحن فى خضم المباحث الكلامية والفقهية العويصة التى يثيرها الفخر الرازى بطريقته الجافة المعقدة ، أطلت علينا فى الكتاب المقرّر قصة لقائه بنجم الدين الكُبرى ، وما دار بينهما من حوار كان كأنه النسمة الباردة فى صحراء درس الرازى .. وانطوت صفحات الأيام ، ولم أستزد من معرفتى بهذا الشيخ الذى فاض حواره مع الرازى بدفء الصدق .

ومرت السنون ، حتى جلستُ يوماً مع الصديق الروائى / جمال الغيطانى ، فسألنى عن نجم الدين الكُبرى ، فأجبتُه بأنه واحد من كبار صوفية الفرس ، ولم أزد .. فأخبرنى أنه يود معرفة المزيد عنه ، ولما سألتُه عن الباعث ، قال إنه كان يزور الاتحاد السوفيتى - وكان وقتها قائماً - فنظّموا له رحلة فى الجمهوريات التى تُعرف اليوم بالإسلامية ، فسلكوا به فى صحراء مترامية ، حتى مضت الساعات على الطريق الذى يشق الرمال ، وعلى مرمى البصر رأى مسجداً .. عزل عنده ، فرآه وحيداً متفرداً ، وقرأ على بابه : « هذا مقام الشيخ نجم الدين الكُبرى قدس الله روحه » وعلى الجدران مكتوب :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونَ إِلَى الصِّفَا أُنَيْسٌ ، وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ

غاصت تلك الواقعة فى نفسى ، وتمثلت هذا الشيخ المتفرد بقبره وسكونه وسط الصحراء .. وددتُ فى معرفته ، وقد تذكّرتُ ما كان من لقائه بفخر الدين الرازى ، فرُحْتُ أقلب الكتب . وكانت هزّتى الشديدة ، لما وجدت المراجع تحكى

واقعة موته المجيدة ! شعرت بأننا أحوج ما نكون إلى نجم الدين الكبري ليعلمنا كيف نموت ، كما مات هو ، ميتةً مجيدة .. ما دمنا الميتين على كل حال ! واشتقتُ للكتابة عنه .

في كتابي الصغير ( شعراء الصوفية المجهولون ) أفردتُ بضع صفحات للشيخ نجم الدين وقدمت بعضاً من أشعاره ، فكان ذلك سبباً في معرفتي بالدكتور حسن عباس زكي ، الذي بادر - وهو الذي في المقام الأعلى - بطلب لقائي للحديث حول ما كتبتُه عن نجم الدين الكبري .. وأثناء اللقاء الأول ، جاءت فكرة نشر « فوائح الجمال » في طبعة بتحقيقي ، وأمدني الدكتور حسن عباس زكي بنسختين مخطوطتين من الكتاب ، كانتا ضمن مكتبته الزاخرة ؛ فشرعت في التحقيق حتى تنبّهت إلى أن مستشرقاً ألمانياً نشر الكتاب ببلاده منذ ثلاثين سنة ، فتوقفت .. ولا مني على التوقف واحدٌ من أشقاء روحى ، وهو الدرويش السكندري المثقف / عبد الرحمن المكباتي .. قلت له : الكتاب منشورٌ من قبل ، ولدينا العديد من التراث الذي لم يسبق نشره ، فهو الأولى بالجهود .. فامتعض وقال : هي نشرة ألمانية تعد اليوم - لندرتهما - كأنها لم تكن . وقال : سيكون لك في الكتاب نظرات أخرى ، والناس أنفاس !

تريثتُ حتى حصلت على نشرة المستشرق الألماني ، وجعلتها إحدى الأصول التي حققت عليها الكتاب .. ثم شعرتُ أن الأمر بحاجة إلى مزيد جهد ! فلا توجد في المكتبة العربية أية كتابات حول الشيخ نجم الدين - اللهم إلا ترجماته في كتب التاريخ القديمة - ولم تفرد له حتى اليوم دراسة واحدة تعرّف به ، مع خطورة موقعه في تاريخ التصوف .

من هنا ، كانت تلك الدراسة التي تحتل القسم الأول من هذا الكتاب ، والتي يعلم الله كم عانيت في إتمامها .. ربما لقلة المعلومات الخاصة بالشيخ في المصادر العربية ، وربما لكونها غير مسبوقه إلا بتلك الدراسة التي وضعها المستشرق الناشر للفوائح باللغة الألمانية - والتي آثرثُ ألا ألقى بنظري إليها إلا بعد إتمام دراستي ،



لكيلا أتأثر بتناوله للموضوع - وربما لعدم إخلاصى مع الشيخ نجم الدين .. إذ صرث اليوم موزع الهوى بين التصوف والصوفية ، وبين العلوم العربية وابن النفيس ، وبين قضايا واقعنا المر . فله الأمر !

وبعد .. فتلك هى أول دراسة تُنشر بالعربية عن الشيخ نجم الدين الكبرى ، وها هو تحقيقٌ لكتابه « فوائح الجمال » .. أنجزتهما بقدر الطاقة وما سمح به الحال والزمان ، وكلٌ ميسرٌ لما تُخلق له .

والله الموفق ،،،

يوسف زيدان

الإسكندرية فى أوائل رجب الخير ١٤١٣ هجرية  
الموافق أواخر ديسمبر ١٩٩٢ ميلادية

نجم الدين الكُبْرَى

## الفصل الأول حياته وأخباره

اسمه وألقابه :

اتفق المؤرخون على أنه : أحمد بن عمر بن محمد<sup>(١)</sup> .. الإمام الزاهد القدوة ، صانع الأولياء ، أبو الجناب نجم الدين كبرى ، الخوارزمي الخيوق المحدث الشهيد ولم يخرج عن إجماع المؤرخين حول اسم الشيخ ، إلا نور الدين الششتري صاحب « مجالس المؤمنين » الذي يذكر أن اسمه « محمد بن عمر<sup>(٢)</sup> .. » مما جعله محلاً لنقد اللاحقين عليه ، فنجد ميزرا محمد على مدرّس ينبّه على هذا الخطأ بقوله : وهو في « مجالس المؤمنين » محمد ، وهذا من سهو قلم المؤلف أو الناسخ<sup>(٣)</sup> . ونجد الخوانساري يشدّد في النقد قائلاً : والعجب من صاحب « المجالس » حيث زعم أن اسم الرجل كان محمدًا ، وإن كان أمثال ذلك منه غير عزيز ، لكثرة مساحته في الأمر<sup>(٤)</sup> ! أى أن الششتري كان متساهلاً غير مدقق ولا محقق فيما يكتبه .

وأما ألقاب الشيخ ، فلكلّ منها حكاية أو تفصيل . ولعلنا بذكر تلك الحكايات والتفاصيل ، نتعرّف إلى بعض الجوانب الخاصة بتلك الشخصية الفريدة :

### ( أ ) الإمام الزاهد القدوة :

لم ينفرد الشيخ بإطلاق تلك الألقاب عليه ، فالكثير من رجال التصوف الكبار تسبق أسماءهم في كتب التاريخ مثل هذه الألقاب ، ولكن ذلك يتضمن أن

(١) انظر القائمة المشتملة على مصادر تاريخ الشيخ ، والتي سترد في آخر هذا الفصل .

(٢) نور الدين الششتري : مجالس المؤمنين ( طبعة طهران ١٢٦٩ هـ ) ص ٢٧٣ بالفارسية .

(٣) ميزرا محمد على مدرّس : ریحانة الأدب ( تبريز - جنجانه سفق ) جلد ششم - المجلد السابع - ص ١٤٣ بالفارسية .

(٤) الخوانساري : روضات الجنات في أخبار العلماء السادات ، تحقيق / أسد الله إسماعيليان ( طبعة طهران ١٣٩٢ ش ) المجلد الأول ص ٢٩٩ .

الواحد منهم كان « إمامًا » أى جامعًا بين علوم الشريعة وأصول الطريق ، وأن ثمة رجالاً كانوا تابعين أو مریدين له ، فهو إمامٌ بالنسبة إليهم بطريق الإصاله ، وإمامٌ لغيرهم على سبيل المجاز .. وذلك ما ينطبق أيضًا على لفظ « القدوة » الذى يشير إلى صلاح حال الرجل فى الأمور الدينية والدينية ، مما يجعله أهلاً لاقتداء معاصريه ومحبيه من بعدهم ، أولئك الذين يقتدون بحاله وأفعاله وأحواله ، وما يجدون فى سيرته .

والزاهدُ قد يكون لقبًا على سبيل التخصيص ، كما هو الحال فى شأن « أبو هاشم الزاهد » .. وقد يكون لعموم مشايخ التصوف الذين يتخذون من الزهد شرطًا من شروط الطريق الصوفى ؛ ومن هذا الوجه حمل الشيخ هذا اللقب ، كما حمّله غيره من مشايخ الطريق .

#### (ب) صانع الأولياء :

وهو لقب خاص من ألقاب الشيخ نجم الدين ، لا نعلم أنه أُطلق على أحد غيره .. والأصل فى هذا اللقب ، الكلمة الفارسية « ولى تراش » التى تعنى بالعربية : ناحت الأولياء ، صانع الأولياء .

وهناك سببان لإطلاق هذا اللقب « ولى تراش » على الشيخ ، السبب الأول ( معقول ) وهو كثرة الذين تخرجوا على يديه من أهل الولاية ، كما سترى فى الفصل الثالث من هذه الدراسة .. والسبب الثانى ( منقول ) عن بعض المؤرخين من الصوفية ، حيث نقلوا - والعهدة عليهم - أن الشيخ نجم الدين كان إذا نظر إلى شخص وهو فى حالة الوجد والانجذاب ، فإن هذا الشخص ينجذب ويصير من الأولياء<sup>(١)</sup> . وهذا الأمر يذكرنا بالشيخ حماد الدَّبَّاس ( المتوفى ٥٢٥ هجرية ) الذى جذب بنظرته كل من : عبد القادر الجيلانى ، أبو النجيب السهروردى<sup>(٢)</sup> .

(١) د. عبد المنعم الحفنى : الموسوعة الصوفية ( دار الرشاد - القاهرة ١٤٢٢ هـ ) ص ٣٣٧ وقد ورد هذا اللقب فى العديد من المصادر التى أرخت للشيخ نجم الدين .

(٢) يروى الدميرى فى ( حياة الحيوان الكبرى ، طبعة بيروت ١٠٠/١ ) ما نصه : دخل الشيخ عبد القادر =

وأياً ما كان من سبب إطلاق هذا اللقب على الشيخ نجم الدين ، فالمهم هنا أن الشيخ حمل هذا اللقب ، واشتهر به ، في النصف الثاني من حياته حيث استوطن خوارزم ودعا للتصوف هناك .

### ( ج ) أبو الجنّاب :

يحكى لنا الشيخ نجم الدين في « فوائح الجمال » قصة هذه الكُنية ، فيقول :  
وأما كُنيتي ، فكنت بالإسكندرية أسمع الأحاديث .. فغيتُ ، فرأيتُ النبي ﷺ وهو قاعد معي ثاني اثنين .. ثم أُلهمتُ حينئذٍ أن أسأله عن كُنيتي فقلت :  
« يا رسول الله ، كُنيتي أبو الجنّاب أم أبو الجنّاب ؟ » وكانت نفسي مائلة أن يقول « أبو الجنّاب » بالتخفيف ، فقال : لا ، بل أبو الجنّاب<sup>(١)</sup> .

وقد اشتهرت هذه الكُنية النبوية للشيخ نجم الدين ، ووضع بعضهم في ذلك بيتاً شعرياً ، نراه في العديد من كتب الطبقات التي أرّخت للشيخ .. يقول البيت :  
**قد قال له رسولنا في الرؤيا إذ شاهده : أنت أبو الجنّاب<sup>(٢)</sup>**

= على الشيخ حماد الدباس يزوره ، وكان الدباس قد رأى في منامه أنه اصطاد نارياً ، فلما دخل الشيخ عبد القادر ، نظر إليه الدباس نظرة ثابتة ، فانخلع قلبه ، وخرج من عنده هائماً على وجهه !  
ويروى الشطنوفى في ( بهجة الأسرار ، دار الكتب العربية بالقاهرة ١٣٣٠ هـ ص ١٤٤ ) عن أبي النجيب السهروردي أنه قال : أتيتُ الشيخ الدباس أشتكى إليه كثرة المجاهدات وبطء الفتح ، فأمرني أن أحمل قِدراً من اللبس وأمرُّ به في السوق وأنا بملابس الدرس - قاصداً بذلك إدهاب إعجابه بنفسه - وصار الناس يقفون وينظرون إليّ ، وكسْتُ كلما خطوْتُ خطوةً تذوب نفسي كما يذوب الرصاص على النار ، فلما قاربْتُ دكان دهباسة الشيخ حماد ، رأيتُه واقفاً على بابه كالمتنظري ، فنظرتُ نظرةً ملأني بها ، وعاب عقلي ، وسقطتُ على وجهي ، وتبدّد اللبس على الأرض .. وأنا إلى الآن في بركة تلك النظرة .  
راجع كتابنا : عبد القادر الجيلاني ، باز الله الأشهب ( دار الجيل - بيروت ١٤١١ هـ ) صفحات ٥٢ ، ٥٨ - وبخصوص ترجمة الشيخ حماد الدباس ، انظر : المنتظم ٢٢/١٠ - الكامل ٦٧١/١٠ - تاريخ الإسلام ٢٦٦/٤ - دول الإسلام ٤٧/٢ - سير أعلام النبلاء ٥٩٤/١٩ - العبر ٦٤/٤ - تنمة المختصر ٥٩/٢ - مرآة الزمان ٨٥/٨ - قلائد الجواهر ص ١٠٣ - النجوم الزاهرة ٢٤٦/٥ - مشدرات الذهب ٧٣/٤ .

(١) انظر النص المحقق بهذا الكتاب ، ص ١٤٤ .

(٢) يبدو أن هذا البيت مترجم في المصادر العربية عن اللغة الفارسية ، فهو غير موزون على البحور الستة عشر للشعر العربي .

وتذكرنا هذه المسألة بما روى عن لقب « الشاذلي » فالشيخ أبو الحسن عليّ الشاذلي لم ينتسب إلى بلدة « شاذلة » المغربية ، ومع ذلك ظل في حياته ، وبعد وفاته - إلى اليوم - يُعرف بهذا اللقب .. وينقل عنه مؤرخو التصوف أنه قال : قلت يوماً ، يا رب لِمَ سَمَّيتني شاذلي ولستُ شاذلياً ؟ فقيل لي : يا عليّ ، ما سَمَّيتك بالشاذلي ، إنما أنت « الشَّاذُّ - لي » بتشديد الذال ، يعني المفرط للخدمتي<sup>(١)</sup> .

### ( د ) الكُبْرَى :

هو أشهر ألقاب الشيخ ، فبعضهم يلقّبه « نجم الكبراء » والبعض يقول « نجم الدين الكبرى » أو « كُبْرَى » ولهذا اللقب تعليقات متعددة .. يقول ابن العماد الحنبلي : وسبق الشيخ أقرانه في صغره إلى فهم المشكلات والغوامض ، فلقّبوه « الطامة الكبرى » ثم كثر استعماله فحذفوا « الطامة » وأبقوا الكبرى<sup>(٢)</sup> . وقد أكّد مؤرخون آخرون هذا التعليل لذلك اللقب ، مع اختلاف عباراتهم .. وعلى هذا يكون اللقب مستمداً من طبيعة الشيخ نجم الدين في النصف الأول من حياته ، ومن كونه ماهراً في الجدل والمناظرة ، فكان كأنه الطامة والمصيبة التي تحل بالمُنَاطِر<sup>(٣)</sup> . إلا أن الدكتور قاسم غني يكشف لنا عن الدلالة الصوفية لهذه الكلمة ، حيث يورد هذين البيتين لحافظ الشيرازي :

فُمٌ حتى نحمل خرقة الصوفي إلى الحانسة

ونحمل الشطح والطامات إلى سوق الخرابات

نحمل إلى العياريين القلندرِيَّة

دلق البسطامي وسجادة الطامات

فترى مترجم الكتاب يقول : طامات جمع طامة ( بتشديد الميم ) ما يرد على لسان السالك في أول سلوكه وخرق العادة والكرامة ، انظر هذه المادة في

(١) الكمشخانوي : جامع الأصول ص ٥٢ .

(٢) ابن العماد الحنبلي . شدرات الذهب في أخبار من ذهب ( دار الآفاق الجديدة - بيروت ) ٧٩/٥ .

(٣) د. عبد المنعم الحفصي : الموسوعة الصوفية ص ٣٣٧ .

( فرهنك مصطلحات عرفاء ) تأليف سيد جعفر سجادي - طبع طهران سنة ١٣٣٩ هـ ش - ففيه تفاصيل أخرى في هذا الشأن<sup>(١)</sup> .

وربما كان هذا المعنى الأخير لكلمة « طامة » هو الأنسب قبوله في تعليل وجه إطلاق هذا اللقب على الشيخ نجم الدين . لكن الذهبي يورد تعليلاً آخر ، فيقول : سمعتُ أبا العلاء الفرضي يقول « إنما هو نجم الكبراء ، ثم خُفِّفَ وَغُيِّرَ فُقِيلَ : نجم الدين الكبرى »<sup>(٢)</sup> .. وعلى ذلك يعقب محقق ( سير أعلام النبلاء ) فيقول : وأبو العلاء الفرضي أدري بما يقول ، وبتلك النواحي<sup>(٣)</sup> .

#### ( هـ ) الخوارزمي الخيوق :

الخوارزمي نسبة مشهورة بين العديد من أهل العلم والفضل في تراثنا ، ممن ينتسبون إلى « خوارزم » وهي ناحية كبيرة ببلاد فارس ، زارها ياقوت الحموي سنة ٦١٦ هجرية - قبل وفاة الشيخ نجم الدين بعامين - فقال في وصفها : خوارزم ليس اسماً للمدينة ، إنما هو اسم للناحية بجملتها ، أما القصبة العظمى فقد يقال لها اليوم « الجرجانية » وأهلها يسمونها « كُرْكانج » .. وأكثر ضياع خوارزم مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين ، وفي النادر أن يكون بها قرية لا سوق فيها ، مع أمن شامل وطمأنينة تامة . والشتاء عندهم شديد جداً ، بحيث إنني رأيت « جيحون » نهرهم ، وعرضه ميل ، وهو جامد ؛ والقوافل والعجل الموقرة ذاهبة وآتية عليه .. والغالب على خلق أهلها الطول والضخامة ، وكلامهم كأنه أصوات الزرازير ، وفي رؤوسهم عرضٌ ولهم جبهات واسعة . والذي شاهدته من بردها أن طرقها تجمد في الوحول ثم يمشى عليها فيطير الغبار منها ، فإن تغيّمت الدنيا ودفت قليلاً عادت وحولاً تغوص فيها الدواب إلى ركبها ، وكنتُ اجتهدت

(١) د. قاسم غنبي : تاريخ التصوف في الإسلام ، ترجمة صادق نشأت ( مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٢ ) ص ٦٢٠ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ( دار الكتب العربية - القاهرة ١٣٩٦ هـ ) ص ١٠٥٠ .

(٣) الذهبي . سير أعلام النبلاء ( مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ) المجلد ٢٢ تحقيق د. سيار هواد ، د. يحيى هلال ص ١١١ هامش (١) .

أن أكتب شيئاً بها ، فما كان يمكنني لجمود الدواة حتى أقربها من النار وأذيتها ، وكنت إذا وضعت الشربة على شفتي التصقت بها لجمودها على شفتي ، ولم تقاوم حرارة النَّفس ، ومع هذا فهي لعمري بلاد طيبة وأهلها علماء فقهاء أذكيا أغنيا ، والمعيشة بينهم موجودة وأسباب الرزق عندهم غير مفقودة ؛ وأما الآن فقد بلغني أن « التتر » وردوها سنة ٦١٨ وخربوها وقتلوا أهلها وتركوها تلوياً ، وما أظن أنه كان في الدنيا لمدينة خوارزم - يقصد عمارها - نظير في كثرة الخير وكبر المدينة وسعة الأهل والقرب من الخير وملازمة أسباب الشرائع والدين ، فإننا لله وإنا إليه راجعون<sup>(١)</sup> .

وقد دخلت خوارزم في هذا القرن ضمن نطاق الاتحاد السوفييتي ، فلما انهار الاتحاد مؤخرًا انهياره المدوي ، صارت ضمن ما يعرف بالجمهوريات الإسلامية الجديدة .

.. أما لقب « الخيوقى » فهو نسبة إلى بلدة « خَيَوق » التي ذكرها ياقوت فقال : بلدٌ من نواحي خوارزم ، وحصن ، وأهل خوارزم يقولون « خَيَوه » وينسبون إليها « الخَيَوقى » وأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم ، فإنهم حنفية<sup>(٢)</sup> .. وهذه الملاحظة المذهبية ، سوف نعود إليها عند الكلام عن مذهب الشيخ نجم الدين .

\* \* \*

أما لقباً « المحدث - الشهيد » فقد كان الأول لاشتغال الشيخ نجم الدين بعلم الحديث النبوي .. وكان الثاني لاستشهاده على هذا النحو الدرامي الذي سنراه في أواخر هذا الفصل .

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ( دار صادر - بيروت ) ٣٩٥/٢ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٤١٥ .



## مولده ونشأته :

في بلدة « خيوق » من بلاد خوارزم القارسة البرد ، ووسط جماعة من المسلمين السُّنَّة ، كان مولد نجم الدين كبرى سنة ٥٤٠ هجرية ، على ما ذكرت غالبية المراجع<sup>(١)</sup> .

ولم يشر المؤرخون إلى الأسرة التي نشأ الشيخ بين أفرادها ، وإن كان الراجح أنها أسرة متواضعة الحال - كمعظم أهل خوارزم - وهذا يظهر من كلام الشيخ في « فوائح الجمال » حيث يذكر أنه بات وهو صبي في دار ، لحراسة أقمشة ، وكان وحيداً خائفاً .. حتى إنه تخيل دخول سارق ، فغشى عليه حتى نصف النهار التالي ؛ إلى آخر ما حكاه الشيخ<sup>(٢)</sup> . وهذه الحكاية تدل على كون الشيخ نشأ فقيراً - وربما يتيمًا - إذ إن اشتغاله بحراسة الأقمشة ، وبياته وحيداً في تلك الدار ، وكون أحداً لم يسأل عن ذلك الصبي المغشى عليه حتى اليوم التالي .. كل هذا يؤكد النشأة الفقيرة ، المهملة ، التي عاناها الشيخ وهو صبي .

ثم اتجه نجم الدين لدراسة الحديث النبوي ، وكان الاشتغال بذلك - آنذاك - أمراً يضمن الرزق ! فطاف يسمع الأحاديث من المحدثين المعروفين ، وارتحل في سبيل ذلك إلى همدان<sup>(٣)</sup> . وسمع الحديث ، ورواه ، ثم عرج إلى دراسة الفقه والتفسير ، فدرس على يد جماعة سنذكرهم عند الكلام عن شيوخه في الفصل الثاني .

وتاقت نفس نجم الدين للتصوف ، فارتحل إلى الأهواز<sup>(٤)</sup> ليتعلم أصول الطريق

(١) بروكلمان ( تاريخ الأدب العربي ) ٧٨٦/١ - كحالة ( معجم المؤلفين ) ٣٤/٢ .

(٢) انظر النص المحقق ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٣) همدان : مدينة جبلية ببلاد فارس ، لها تاريخ قديم . يقول ياقوت : ولا شك عند كل من شاهد همدان بأنها من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها وأرفهها ، وما زالت محلاً للملوك ومعذباً لأهل الدين ( معجم البلدان ٤١٠/٥ ) .

(٤) الأهواز : منطقة فارسية كانت تُعرف باسم « خوزستان » وإذا أريد بها بلدة معينة ، فهي سوق الأهواز وأكثر مناطقها عمراناً .. وهي مناطق شديدة الحر ، وعرة المسالك ، شاقة في أحوالها ؛ وقد ذكر ياقوت الحموي طرفاً من أخبارها ومشاهير رجالها ومن انتسب إليها من الرجال .. انظر ؛ معجم البلدان ٢٨٤/١ وما بعدها .

من الشيخ إسماعيل القصرى ، وظل في خدمته وصحبته زمناً ، حتى خطر يوماً بباله أنه يعلم من علوم الدين أكثر مما يعلمه الشيخ إسماعيل القصرى بكثير ، وأنه على معرفة لا بأس بها بعلوم التصوف ؛ فهو أرقى حالاً من الشيخ الذى أتى ليتعلم منه !  
 وشعر الشيخ القصرى بما يدور في نفس نجم الدين ، فأمره أن يخرج من عنده إلى زيارة الشيخ عمّار بن ياسر البدليسى ، ويظل في خدمته .. فبدأت رحلات نجم الدين الروحية .

### رحلاته وسياحته :

كان تطواف نجم الدين في أول الأمر ، لطلب علوم الدين ؛ أما ارتحاله بعد ذلك ، فكان لطلب رب العالمين . لقد استكمل الشيخ معارفه الدينية ، وأراد أن يعرج إلى الرحلة التدينية ، ويقرن العلم بالعمل .. باختصار : أراد أن يتصوّف .  
 وها هو يرحل من خيوق إلى الأهواز ، فيأمره الشيخ بالرحيل مرة أخرى إلى خدمة الشيخ عمّار . يقول الخوانسارى : فخرج إليه نجم الدين ، وكان في صحبته برهة ، إلى أن خطر بباله ما خطر أولاً - من أن علومه أكثر من علوم الشيخ بكثير - فأحس الشيخ بما هجس في ضميره كما أحس القصرى ، فأشار إليه لسفر مصر للورود على حضرة الشيخ روزبهان الفارسى ، وقال : لا يؤدّبك إلا لطمة منه على قفاك<sup>(١)</sup> .

هكذا كان على نجم الدين أن يرتحل لمصر ، تأديباً له على وقوع خواطره في علم المشايخ ، وسعيًا لتلك اللطمة المنتظرة .. فارتحل لمصر ! ولترك عبد الرحمن جامى يروى تفاصيل تلك الرحلة :

ورد نجم الدين على الشيخ روزبهان بمصر ، فوجده خارج خانقاه<sup>(٢)</sup> يتوضأ

(١) الخوانسارى : روضات الجنات ١/٢٩٦ .

(٢) الخانقاه ؛ مكان خاص يختلج فيه الصوفية للعبادة . يقول المقرئى : الخوانك (= الخوانق) جمع خانكاه ، وهى كلمة فارسية معناها « بيت » وقيل فى أصلها « خانقاه » أى الموضع الذى يأكل فيه الملك . والخوانك حدثت فى الإسلام فى حدود الأربعمئة من سنن الهجرة ، وجعلت لتخلّى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى ( خطط مصر ، ٣/٣٩٩ ) .

بماء قليل . فألقى في زعمه أن الشيخ روزبهان لا يدرى بأى مقدار من الماء يكون الوضوء ! فعرف الشيخ ما يدور بباله ، فأنهى الوضوء ثم ألقى عليه ببقية من الماء .. يقول نجم الدين :

فُعْثِي عَلَىَّ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَخَذْتَنِي رَقْدَةً فِي الْخَانِقَاهُ ، وَكُنْتُ دَخَلْتُهَا مَعَ الشَّيْخِ ، فَرَأَيْتُ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ ، وَيُسْحَبُ النَّاسُ إِلَى جَهَنَّمَ إِلَّا مَنْ كَانَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِشَيْخٍ كَانَ جَالِسًا هُنَاكَ عَلَى كَثِيبٍ ، فَادَّعَيْتُ أَنَا أَيْضًا التَّعَلُّقَ بِهِ ، وَاسْتَخْلَصْتُ مِنْ أَيْدِي الزَّبَانِيَةِ ، وَصَعَدْتُ إِلَى الْكَثِيبِ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ الشَّيْخِ ، لَطَمَ عَلَى قَفَايَ حَتَّى أَكْبَيْتُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَقَالَ : لَا تَنْكُرْ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ بَعْدَ هَذَا ! فَانْتَبِهْتُ بِذَلِكَ مِنْ رَقْدَتِي ، فَإِذَا أَنَا بِمَوْضِعِي ، وَقَدْ فَرَّغَ الشَّيْخُ رُوزْبَهَانَ مِنْ صَلَاتِهِ ؛ فَلَطَمَ عَلَيَّ كَمَا كُنْتُ رَأَيْتُهَا فِي الْمَنَامِ ، وَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ ؛ فَخَرَجَ عَنِّي مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ مَا كَانَ مِنَ الْعُجْبِ وَالِدَّلَالِ (١) .

وأقام نجم الدين زمنًا بمصر ، حيث ظل في صحبة الشيخ روزبهان ، فتعلَّم منه « علم الطريقة » وتلقى على يديه قواعد الطريق الصوفي ، ثم طلب منه الشيخ روزبهان أن يعود لصحبة الشيخ عمار - وقد تَمَّ المراد والتأديب - فارتحل نجم الدين إلى خوارزم مرة أخرى .. لكن الوقائع تدل على أنه لم يعد بسرعة ، وإنما أقام فترة بديار مصر ، إذ ارتحل من القاهرة إلى الإسكندرية ، فسمع الحديث النبوي من الشيخ أبى طاهر السُّلَمَى الأصفهاني ، وكانت هناك تلك الرؤية النبوية التي كُنِّيَ فيها نجم الدين بأبى الجَنَّابِ .

وفي الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية لبث نجم الدين حينًا بإحدى القرى الواقعة على النيل .. وهناك وقع في حب جارية ، واستبد عشقها بقلبه ، فظل أيامًا لا يأكل ولا يشرب إلا النذر اليسير . ويحكى لنا نجم الدين عن أحواله في عشق تلك الجارية فيقول : حتى كثرت نار العشق ، فكنتُ أتَنفَسُ نيرانًا ؛ وكلما تنفستُ نَارًا ، تنفسوا من السماء بجذء نَفْسِي نَارًا ، فتلتقى النيران ما بيني

(١) عبد الرحمن جامي : نفحات الأنس ( طبعة لكهنو - الهند ١٩١٥ ) ص ٣٧٥ .

وبين السماء ، فما كنت أدري من ثمة أين تلتحقان ، فعلمت أن ذلك شاهدى فى السماء<sup>(١)</sup> .

ويبدو أن صورة هذا العشق التهبت فى قلب نجم الدين بعد ما تعلمه من الشيخ روزبهان ! لقد كان هذا الشيخ يرى - كما يقول فى كتابه : عبر العاشقين - أن العشق محمودٌ على أية حال ، سواء كان فى مقام العشق للطبيعات أو للروحيات ، لأن العشق الطبيعى هو منهاج العشق الربانى ، ولا يُستطاع حمل أثقال العشق الإلهى إلا على مثل هذا المركب ، كما لا يُستطاع احتساء روائق صفاء جمال القدم الإلهى إلا فى أقذاح الأفراح هذه - يقصد الصور الحسية - وهذه الجواهر الثلاث ، أى العشق الطبيعى والعشق الروحانى والعشق الربانى ، مستمرة فى الحركة<sup>(٢)</sup> .

وتعد مسألة العشق الحسى والإلهى ، من النقاط الدقيقة فى تاريخ التصوف ؛ فقد رويت أخبارٌ عن عشق كبار المتصوفة - كابن الفارض وابن عربى وعفيف الدين التلمسانى - لبعض الجميلات ، فأثارت تلك الأخبار جدلاً واسعاً بين الصوفية ومنتقديهم ، وبين الباحثين فى التصوف على اختلاف مداخلهم للتصوف وآرائهم فيه<sup>(٣)</sup> .. ولقد اشتهر عن بعض رجال التصوف ، قولهم بأن مطالعة جمال الظاهر الحسى ، فى الجميلات أو المناظر الحسنة ، هو باب للدخول إلى مشاهدات الجمال المطلق لله تعالى ، بعد أن تقيدت بعض تجلياته فى الصور

(١) فوائح الجمال ( النص المحقق ) .

(٢) د. قاسم غنى : تاريخ التصوف ، هامش ص ٥٧٩ .

وكتاب « عبر العاشقين » مخطوط فى مكتبة الدكتور غنى الخاصة ، والنص المذكور هنا فى آخر

الفصل السادس من الكتاب .

(٣) بخصوص عشق ابن الفارض فى شبابه لامرأة ، وشعره الحسى ، يراجع : الديوان ( تحقيق د. عبد الخالق محمود - دار المعارف ١٩٨٤ ) ص ٢١٥ - النابلسى : شرح ديوان ابن الفارض ١٩٠/٢ - د. محمد مصطفى حلمى : ابن الفارض والحب الإلهى ( دار المعارف بمصر ) ص ١٥٤ .. أما عشق ابن عربى وقصته المشهورة مع الفتاة الجميلة الذكية « النظام بنت رستم الكيلانى » فراجع بخصوصها : مقدمة ديوان « ذخائر الأعلاق » الذى هو شرح على ديوان « ترجمان الأشواق » وكلاهما لابن عربى .. وعن تجربة عفيف الدين التلمسانى الحسية ، وأشعاره فى ذلك فىمكن مراجعة مقدمة تحقيقنا لديوانه ( طبعة أخبار اليوم ١٩٩٠ ) ص ٤٥ وما بعدها .

المحسوسة ؛ وهذا ما ذهب إليه أحمد الغزالي - أخو حجة الإسلام أبي حامد الغزالي - وأوحد الدين الكرمانى ، وفخر الدين العراقى<sup>(١)</sup> . أما الغالبية من كبار رجال التصوف فقد منعوا الكلام فى هذا الباب ، وامتنعوا عن الخوض فيه .. ربما لارتقائهم عن درجة الحسن المحسوس إلى مرتبة الجمال المطلق ذاته ، وربما لخشيتهم على العامة من الناس أن يفتتنوا بهذه الأقوال ، وربما لخوفهم على المريدين المبتدئين من أن يخوضوا فى هذا المسلك بغير علم ولا هدى فيزداد تعلقهم بالمحسوس ، ويتعطل عندهم أدبٌ إسلاميٌّ هو غَضُّ البصر .

ونعود لنجم الدين فى رحلاته وسياحاته ، فنراه وهو يقص فى « فوائح الجمال » بعضًا من مشاهداته .. فيقول إنه لقى فقيرًا على طريق كربلاء ، وسمع منه صيحات وزعقات الحال ، فأنكر عليه حاله ؛ ثم بعد زمن ، فهم نجم الدين حقيقة الحال ، بل سار هو صاحب صيحات وزعقات . وإذ يتذكر نجم الدين هذه الواقعة ، نراه يقول عن تلك الصيحات : كنت أسمعها من فقير لقيته فى طريق كربلاء ، فأنكرت عليه ذلك وسألته عنها .. فلما كان بعد ذلك بزمان وصلت إلى هذا المقام ، وعجمت أعواد الصيحات .. فعرضتُ بنان الندمان ، وسبَّحتُ شبيه المتعجب الخيران<sup>(٢)</sup> .

وفى طريق العودة من مصر ، عرج نجم الدين إلى بغداد ، وأقام زمناً بين الصوفية فى مسجد « الشونيزية » وهو يحكى لنا عن بعض ما جرى هناك من وقائع وكرامات ، تخص « الاسم الأعظم » الذى يهبه الله لأولياؤه ، فيتصرفون به فى الوجود ، وتدل حكاية نجم الدين على أن نزوله بغداد لا يمكن أن يكون فى بداية رحلته إلى مصر ، وقد تكون إقامته هذه ، فى رحلة أخرى بعد رحلته المصرية ؛ وهذا هو الأرجح ! ففى الرحلة المصرية ، كان نجم الدين لم يزل مريدًا ، وقد أمره الشيخ روزبهان بالعودة لصحبة الشيخ عمار بن ياسر وخدمته ، فهو إذن ما يزال فى مرحلة الطلب والسير إلى الله . وامتلاكه للاسم الأعظم ، لا يكون إلا فى

(١) د. قاسم غنى : تاريخ التصوف ص ٥٧٩ .

(٢) فوائح الجمال ( النص المحقق ) ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

مراحل متقدمة في الطريق ، فلا يمكن لمريد معرفة هذا الاسم ، فإن عرفه ، لم يعد مريدًا ولم تعد به حاجة إلى شيخ .. وإذا تأملنا قول نجم الدين : ثم إن خادم البقعة - يقصد مسجد الشونيزية - حكى لي بعد مدة « إني رأيتُ فيما يرى النائم أشخاصًا حسبهم ملائكة ، يقولون : إنا أعطينا فلانًا اسم الله الأعظم . وسموني .. إلخ<sup>(١)</sup> . وقوله « بعد مُدة » يؤكد أنه عاد لبغداد في مرحلة متقدمة من سيره إلى الله ، غير أن تلك المرحلة التي كان يعترض فيها على المشايخ ويرحل ليتعلم منهم أصول الطريق .

وعلى ضوء المعلومات المتاحة لنا من خلال المصادر الخاصة بحياة نجم الدين كبرى ، يمكن أن نرسم خطأ لرحلاته وسياحاته الصوفية ، أو بالأحرى خطين .. ففي الخط الأول تظهر المحطات التي توقف فيها ارتحال نجم الدين لطلب الحديث النبوي واستماعه من كل المحدثين ؛ حيث خرج من ( خيوق ) بخوارزم ، فطاف بلاد فارس فسمع الحديث في ( نيسابور ) واستكمل الرحلة إلى ( همدان ) ثم ( أصبهان ) ثم نزل ( مكة ) للحج وسماع الحديث<sup>(٢)</sup> .. وعاد إلى خوارزم ، فمرَّ في طريقه بكر بلاء .

أما الخط الثاني فهو يمثل رحلته لطلب التصوف وسياحته على طريقة الصوفية . فقد خرج من ( خيوق ) إلى ( الأهواز ) لصحبة الشيخ إسماعيل القصرى ، ثم خرج بناءً على أمر الشيخ إسماعيل من الأهواز إلى أرمينية حيث الشيخ عمار بن ياسر المقيم بإحدى نواحيها ( بدليس ) ومنها إلى مصر التي قضى فيها زمناً متنقلاً من ( القاهرة ) إلى ( قرى الدلتا ) ثم إلى ( الإسكندرية ) التي سمع فيها - أيضاً - من الشيخ أبى طاهر السلفى ، وحمل لقب « أبو الجناح » في رؤية رآها بالإسكندرية<sup>(٣)</sup> .. وهى رؤية يمكن اعتبارها من أولى ثمرات الطريق الصوفى الذى سار فيه نجم الدين .

(١) فوائح الجمال ص ٢٤١ .

(٢) انظر ما سياتى عند الكلام عن شيوخ نجم الدين فيما بعد .

(٣) أخطأ الخوانسارى حين ذكر أن هذه الرؤية كانت بعد عودة نجم الدين إلى موطنه الأصلى بخيوق ( انظر ؛ روضات الحيات ١/٢٩٥ ) لأن ذلك يخالف ما رواه نجم الدين بنفسه فى « فوائح الجمال » ، من أن هذه الرؤية كانت بالإسكندرية .

وكان نزول نجم الدين بالإسكندرية في حدود سنة ٥٧٥ هجرية ، لأن الشيخ أبا طاهر السُّلَفى توفى سنة ٥٧٦ هجرية<sup>(١)</sup> بعد أن بلغ من العمر ١٠٤ عامًا ، وقد ذكر نجم الدين في « فوائح الجمال » أنه : كنتُ بالإسكندرية أسمع الأحاديث على الحافظ السُّلَفى الأصفهاني .. وهو شيخٌ مسن ، تُيَّف على المائة بسنين<sup>(٢)</sup> .

ومن ( الإسكندرية ) اتجه نجم الدين إلى ( دمشق ) حيث صحب الشيخ الصوفي ابن أبى عصرون « ابن العصر » ثم اتجه إلى ( بغداد ) حيث أقام حينًا بمسجد الشونيزيه ، ومنها إلى ( بدليس ) التي ظل فيها زمناً بصحبة الشيخ عمار بن ياسر .. ولما آن وقت الرجوع إلى خوارزم ، مرَّ نجم الدين ببغداد ثانيةً ، ثم اتجه إلى ( خيوق ) حيث استقر بها حتى وفاته .

ويبقى في رحلات نجم الدين وسياحاته إشكالٌ .. فهو يقول في « فوائح الجمال » ما نصه : « عشقتُ واحدًا ببلاد المغرب ، فسَلَطْتُ عليه الهمة فأخذته ، وربطته ، ومنعته عن سواى ... إلخ<sup>(٣)</sup> » فهل زار نجم الدين حقًا بلاد المغرب ؟ لا تعطينا المراجع والمصادر الخاصة بحياة نجم الدين ما يفيد بأنه زار بلاد المغرب ، أو حتى شمال أفريقية ، فقد اتجه من مصر إلى بلاد الشرق ولم يكمل سيره غربًا . فما الذى يقصده ببلاد المغرب ؟ يبدو أن الجهات العراقية والشامية والمصرية ، كلها ، كانت تمثل بالنسبة للخوارزميين « بلاد المغرب » إذ تقع مهم ناحية الغرب ، فيكون المحتمل أن الشيخ قصد « المغرب » بهذا المعنى ، لا بالمعنى الذى نستخدمه قاصدين به « مراکش » وما حولها .. وهناك احتمال آخر ، وهو أن تكون « المغرب » هنا جهة رمزية لها دلالتها الصوفية ، لأن الحكاية الغريبة التى يحكيها نجم الدين تفيد بأنها كانت في زمن ولايته - حيث استقر بخوارزم - فمن الممكن أن يكون قد قصد بها معانى بعيدة ، في صورة رمزية تكون فيها « المغرب » دالة على عالم الأجسام أو دنيا الرغبة أو ما شابه ذلك .

(١) راجع ( سير أعلام السلاء ) ٣٨/٢١ .

(٢) فوائح الجمال ص ٢٤١ .

(٣) فوائح الجمال ص ٢٢٠ .

## الولاية :

خرج نجم الدين من خوارزم يطلب علم الحديث ، فعاد إليها محدثاً<sup>(١)</sup> .. ثم خرج مرة أخرى يطلب التصوف ، فعاد ولياً .

وقد بدأت علامات ولاية نجم الدين في الظهور ، إبان إقامته بمصر ، حيث يروى العديد من الوقائع الدالة على ذلك . وحين عاد الشيخ إلى الشيخ عمار ابن ياسر ، كان قد قطع شوطاً على طريق الولاية ، وهو ما يظهر من علاقتهما الروحية معاً ، إذ كان الواحد منهما يرى الرؤية ، فيرى الآخر ما يطابقها .. وسوف نرى أمثلة لذلك عند قراءة النص المحقق لفوائح الجمال .

واكتملت ولاية نجم الدين بعد عودته إلى خوارزم ، فهناك ظل إلى وفاته يرثي المريدين ، ويدعو إلى الحق تعالى<sup>(٢)</sup> . وقد وصفه المؤرخون أثناء إقامته بخوارزم بأنه : « كان صاحب سنّةٍ وحديث ، ملجأً للغرباء ، عظيم الجاه ، لا يخاف في الله لومة لائم<sup>(٣)</sup> » وكان « أكمل الأولياء المرشدين في زمانه ، وأعلم العلماء بين أقرانه وهو صاحب الأحوال الرفيعة ، والمقامات ، والمكاشفات ، والمتشاهدات ، وتجليات الذات والصفات ، والسير في الملكوت والطير في الجبروت ، والفناء في الله في عالم اللاهوت ، ومشرب التوحيد والحقائق ، والتصرف في الأطوار

(١) من مرويات نجم الدين في الحديث النبوي ، ما ذكره الذهبي حين قال : حدثنا أبو عاصم نافع الهندي ، أخبرنا مولاي سعيد بن المطهر ، أخبرنا أبو الحيات أحمد بن عمر سنة ٦١٥ ، قال : قرأتُ على أبي العلاء الحافظ ، أخبرنا علي بن أحمد ، أخبرنا محمد بن محمد .. عن أنس ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : للذين أحسنوا العمل في الدنيا ، الحسنى وهي الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم ( سير أعلام النبلاء ١١٣/٢٢ ) .

(٢) يقول الخوانساري : إن نجم الدين حين عاد من رحلته إلى الشيخ روزبهان : فتوجه إلى خدمة عمّار ثانية ، وكان عنده إلى أن بلغ الكمال ، ونال رتبة الإرشاد ، فأذن له - عمّار - فيه ، وفي الرجوع إلى وطنه الأصلي الذي هو ديار خوارزم ( روصات الجنات ١/٢٩٦ ) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ١١/٥ - الصفدي : الوافي بالوفيات ٧/٢٦٣ .



القلبية ، وإيصال الأفياض القلبية .. فشعّب من ذيل ولايته كثيرٌ من الأولياء<sup>(١)</sup> .

وفي نصّ طريف ، يذكر الكُمشخانوي<sup>(٢)</sup> ما اختصّت به ولاية نجم الدين ضمن خصائص ولاية غيره من رجال التصوف ، فيقول : « اعلم أن لكل من الأولياء خصوصية وهمّة في الحياة والمات ، كتقش الحقيقة والإلقاء في بحر الوحدة والفناء والاستغراق لشاه نقشبندی محمد بهاء الدين ، وقوة التصرف والإمداد لعبد القادر الجيلاني ، وقوة العلم والواردات لعليّ أبي الحسن الشاذلي ، والخارق للعادة والفتوة للسيد أحمد الرفاعي ، والترحم والتعطف للسيد أحمد البدوي ، والسخاء والكرامة لإبراهيم الدسوقي ، والعرفان والإكمال للشيخ الأكبر<sup>(٣)</sup> ، والعشق-محمد جلال الدين الرومي ، والغيبة والخو للإمام السهروردي ، والأوّاه للشيخ حضر يحيى ، والوجد والجذبات لنجم الدين الكبري .. وإن ثبتت هذه الخصلة نوعاً ، لكل الأولياء ؛ إلا أنها خصوص وغاية مقام هؤلاء العارفين ، وكل قوم بما لديهم فرحون<sup>(٤)</sup> » .

(١) الخوانساري : روضات الجنات ٢٩٦/١ والنص منقول عن كتاب « المشجر » للسيد محمد الموسوي النوربخشي .

(٢) هو ضياء الدين أحمد بن مصطفى بن عبد الرحمن الكمشخانوي النقشبندی المهددي الخالدي ، ولد سنة ١٢٢٧هـ ، وتوفي سنة ١٣١١هـ . أصله من « كمشخانه » بتركيا ، ثم نزل مصر وأقام بها وافتتح مطبعة تنشر التراث الصوفي .

ترك عدة مؤلفات ، أهمها كتاب ( جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق ومهمات المريد وشروط الشيخ وكلمات الصوفية واصطلاحاتهم وأنواع التصوف وألف مقام ) وهو عنوان طويل - كما نرى - للكتاب وله أيضاً : راموز الأحاديث على ترتيب حروف الهجاء - جامع المتون في ألفاظ الكفر وتصحيح الاعتقاد والأعمال - روح العارفين وارشاد الطالبين ونحاة الغافلين - لوايح العقول .. ( انظر ترجمته في : معجم المؤلفين ١٧٨/٢ - الأعلام للزركلي - الموسوعة الصوفية للحفني - هدية العارفين للبغدادي - معجم المطبوعات لسركيس - التحرير الوحيز للكوثري - اكتفاء القنوع لفنديك - الأعلام الشرقية لمجاهد - Brockelmann II, 745 ) .

(٣) يقصد : يحيى الدين بن عربي .

(٤) الكمشخانوي : جامع الأصول ص ١٨ ، ١٩ .

واشتهر أمر نجم الدين بخوارزم وما حولها ، وقصده المريدون من شتى البقاع ، فكانت المرحلة الزاهرة من حياته ونشاطه الديني والصوفي .. وفي تلك المرحلة ، لن يكون نجم الدين ولياً فحسب ، بل هو أيضاً : صانع الأولياء ( ولي تراش ) .

### مذهبه :

يحاول مؤرخو الشيعة وباحثيهم المُحدّثين ، إلصاق صفة التشيع بكل شخصية بارزة من الشخصيات الإسلامية التي عاشت في بلاد فارس - بل التي لم تعش هناك أيضاً - وهي مسألة سخيفة من الوجهة البحثية ، إذ تستلزم بالضرورة قيام مؤرخي أهل السنة وباحثيهم بالرد على تلك الدعاوى ودحضها بالوقائع التاريخية والفكرية .. وربما يطول الأخذ والرد في ذلك إلى ما لا نهاية .

وفيما يخص نجم الدين كُبرى من هذا الخلاف البارد ، نرى المؤرخ الشيعي الكبير محمد باقر الخوانساري ( ١٢٢٦ - ١٣١٥ ) وهو يوحى بأن نجم الدين كان من الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، أولئك الذين يعتقدون بإمامة اثني عشر رجلاً من ذرية عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فإذا به ينقل في كتابه المشهور « روضات الجنات في أخبار العلماء السادات » عن مؤرخ شيعي سابق ، ويقول :

« وعن السيد محمد الموسوي النوربخشي العارف ، المعروف بغوث المتأخرين ، أنه ذكر في كتابه الموسوم بـ « المشجر » أن الشيخ نجم الدين كان أكمل الأولياء المرشدين في زمانه . وأعلم العلماء بين أقرانه .. وأن المرشدين له على حقيقة ، لما كانوا اثني عشر ، هم أئمة مذهبه الحق الإمامي ، فلا جرم لم يصحب طول حياته من المريدين والمسترشدين إلا هذه العُدّة<sup>(١)</sup> » .

(١) الخوانساري : روضات الجنات ١/٩٧ .

ويقول الخوانسارى بعد ذلك - مؤكداً ما يوحى به من شيعة نجم الدين - ما نصّه : وفى « شرح ديوان الميبدى » حكاية عن النجم المذكور ، أنه قال : خفقتُ ( كذا ) فأبصرت النبي صلى الله عليه وآله وعلّى معه ، فبادرت إلى علّى فأخذت بيده ، وصافحته ، وألهمت كأنى سمعت فى الأخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وآله ، أنه قال « مَنْ صافح علّياً دخل الجنة » فجعلت أسأل علّياً عن هذا الحديث ، أصحيح هو ؟ فكان يقول : نعم ، صدق رسول الله صلى الله عليه وآله ، مَنْ صافحنى دخل الجنة<sup>(١)</sup> .

ثم يؤكد الخوانسارى ما يدّعيه بطريق آخر ، فيروى عند ترجمته لفريد الدين العطار أنه : ذهب فريد الدين مع والده أيام الطفولة إلى الشيخ نجم الدين الكبرى ، فلقنه أولاً أسماء الأئمة ، ثم الذكر . وقال له « هذا التلقين عن شيخى ، عن شيخه ، إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن جبريل ، عن الله تبارك وتعالى ؛ فلا تُظهر هذا السر إلا لمن جرّبته من المريدين !<sup>(٢)</sup> » .

وسرعان ما يتلقّف هذا الخيط ، الدكتور كامل مصطفى الشيبى - وهو باحث معاصر ممتاز ، لولا تعسّفه الدائم فى ربط التصوف بالتشيع - فنراه يبدأ بالقول : بعد أن فرغنا من بحث المثل الشيعية المباشرة التى اتصلت بالولاية الصوفية ، نعود إلى تناول بعض المثل الصوفية لنتبين مدى تأثيرها بالتشيع ؛ ولهذا فسنعرض للخرقة ثم الصحبة الصوفية ثم السلاسل والطرق الصوفية<sup>(٣)</sup> .

وإذ يعرض الشيبى للطرق الصوفية ، نراه ينقل عن معصوم على - صاحب كتاب : طرائق الحقائق - الذى نقل بدوره عن ميزرا محمد تقى الملقّب بمظهر على شاه فى كتابه « بحر أسرار » أنه قال : لقد جرت الطريقة الحققة بواسطة أربعة أولياء

(١) المصدر السابق ص ٢٩٨ .

(٢) الخوانسارى : روضات الجات ٦٥/٨ .

(٣) كامل الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ( دار المعارف مصر ) ص ٤٢٦ .

من الشيعة المختصين بأهل البيت وانتشرت بين العباد والبلاد ؛ أولاً من مولانا أسد الله الغالب أمير المؤمنين عليه السلام بواسطة كميل بن زياد ... إلخ .

ثم يقول الشيبى : لقد تناول الحاج معصوم على ، هذا الموضوع فذكر أن السلسلة الكميلية « نسبة الخرقه فيها متصله بالنبي<sup>(١)</sup> ألبسها علياً فألبسها الحسن البصرى وكميل بن زياد ، وألبسها كميل عبد الواحد بن زيد ، وهذا ألبسها أبا يعقوب النهرجورى فعمر بن عثمان المكى ، فأبا يعقوب الطبرى ، فأبا القاسم ابن رمضان بن إدريس ، فداود الخادم ، فمحمد بن مالكيلى ، فالشيخ إسماعيل القصرى ، فالشيخ نجم الدين الكبرى<sup>(٢)</sup> » .. وينتهى الشيبى من ذلك كله إلى القول : ويتضح من هذه السلاسل التى أوردناها أن التصوف .. وذلك ينبئ باتصال التصوف بالتشيع ، ذلك الاتصال الظاهر الذى تكرر كثيراً<sup>(٣)</sup> .

.. وفى مقابل تلك المحاولات المستميتة لإلصاق التشيع بنجم الدين كبرى ، نرى شهادات مؤرخى أهل السنة وهى تنأى به عن ذلك ، وتضعه فى مصاف رجال السنة :

يقول ابن نقطة عن نجم الدين « هو شافعى المذهب إمام فى السنّة<sup>(٤)</sup> » .. ويقول السبكي « كان إماماً زاهداً عالماً طاف البلاد وسمع الحديث ، قال ابن نقطة : هو شافعى المذهب إمام فى السنّة<sup>(٥)</sup> » .. ونفس العبارة نجدتها فى الواقى بالوفيات<sup>(٦)</sup> . وفى « سير أعلام النبلاء » يقول الذهبى : نجم الدين الشيخ الإمام العلامة القدوة ؛ سمع من أبى طاهر السلفى وأبى العلاء الهمدانى العطار .. وحَدَّث

(١) صلى الله عليه وسلم !

(٢) د. كامل الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٤٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٤٢ .

(٤) ابن نقطة : التقييد ( مخطوط ) نقلاً عن الذهبى والسبكي والصفدى ، وغيرهم . \*

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ( المطبعة الحسينية - القاهرة ) ١١/٥ .

(٦) الصفدى : الواقى بالوفيات ، طبعة إحسان عباس ( فرانز ستانير - فسبادن ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م )

عنه عبد العزيز بن هلاله ، وخطيب دارية شمش ، وناصر بن منصور العُرضى ، وسيف الدين الباخريزى تلميذه ، وآخرون . قال ابن نقطة : هو شافعى المذهب إمام فى السنة . وقال عن عمر بن الحاجب : طاف البلاد وسمع واستوطن خوارزم وصار شيخ تلك الناحية ، وكان صاحب حديث وسنة<sup>(١)</sup> .

وهكذا تتوالى الشهادات التاريخية مؤكدة سُنِّية نجم الدين كُبرى ، رادةً على الزعم بشييعته<sup>(٢)</sup> .. وفى حقيقة الأمر ، فإن هناك من الدلائل القوية ما يؤكد سُنِّية نجم الدين ، وينفى عنه التشيع بالكلية ، حتى يمكن القول بأن التشيع لم يخطر بباله أصلاً ! فمن تلك الدلائل :

أولاً : إن خوارزم وبلاد فارس لم تكن فى عصر نجم الدين منطقة شيعية ، كما هو الحال فى القرون التالية وحتى اليوم . بل كانت مناطق سنية ، وكانت « خيوق » بالذات من الشافعية .. كما مرَّ علينا عند ذكر ياقوت الحموى لأحوال أهل تلك البلاد ، وهى الأحوال التى عاينها ياقوت بنفسه<sup>(٣)</sup> .

ثانياً : إن القول برجوع السلاسل الصوفية إلى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - لا يعنى شيعية أهل هذه السلسلة أو تلك . فإن شخصية الإمام على ، لها المكانة الكبيرة فى نفوس السُنِّة أيضاً ، ولكن بعيداً عن تهاويل الشيعة .. ومن المدهش والغريب ، أن يستدل باحث كالدكتور الشيبى بذلك ، على شيعية الصوفية أو صلة التصوف بالتشيع . بل إن البنيان الصوفى ذاته ، فى اعتياده على رابطة الشيخ والمريد ، يخالف القاعدة الصوفية الأولى التى تقول بطاعة الإمام المعصوم .. فالأئمة عند الشيعة لهم شروط معينة ، تختلف عن شروط الشيخ لدى الصوفية .

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١١٢/٢٢ .

(٢) انظر المزيد من ترجمات أهل السنة فى القائمة المذكورة بآخر هذا الفصل .

(٣) راجع ما سبق ، وانظر : معجم البلدان ٣٩٥/٢ ، ٤١٥ .. حيث يقول ياقوت : وأهل خيوق شافعية ، دون جميع بلاد خوارزم فإنهم حنفية .

ثالثاً : إن دعاوى الخوانسارى الموحية بشيعة نجم الدين متهافنة ، إذ إن قوله بأن نجم الدين لم يصحب إلا اثني عشر مريدًا - على عدد أئمة الشيعة الاثني عشرية - هو قول لا دليل عليه ، فالمشهور أن نجم الدين صحبه ما لا حصر لهم من المريدين .. أما الحكاية الهزلية عن تلقينه الأسرار للعطار وأخذ العهد عليه بالأمر يصرح بها إلا لمن حرَّبه من المريدين ، فهي حكاية ظاهرة الضعف ؛ فإذا كان العطار آنذاك طفلاً ، فكيف للشيخ نجم الدين أن ييوح له بالأسرار ويأتمنه عليها ! ومن أين جاء لنجم الدين أن هذا الطفل سيكون شيخًا له يريدون مجربون أو غير مجربين !

رابعاً : لا يوجد في كتابات نجم الدين ، وفي تفسيره للقرآن ، ما يُشتَمُّ منه أى فكر شيعى .. بل على العكس تمامًا ، فالرجل قضى حياته يتعلم الحديث النبوى والفقهِ الشافعى ، وصار بعد ذلك معلمًا لتلك العلوم التى يستمسك بها أهل السنة ؛ وما الحكاية التى نقلها الخوانسارى عن « شرح ديوان الميبدى » إلا دليل على انشغاله بعلوم الحديث ، ورغبته فى التثبت من صحة الحديث : مَنْ صافح عليًا دخل الجنة .. ولسوف نرى نجم الدين وهو يقص علينا هذه المعاينة فى « فوائح الجمال »<sup>(١)</sup> مما يعنى أن الخوانسارى لم يقرأ الكتاب - فلو قرأه لما نقل الحكاية عن شرح الديوان المذكور - ولا ندرى كيف يؤكد الخوانسارى شيعة رجل دون أن يقرأ كتبه !

وبعد .. فهذا هو الخلاف حول مذهب نجم الدين يبدو خلافًا مصطنعًا وغيبًا ، كأغلب خلافات السنة والشيعة . ويعلم الله كيف تحزُّ خلافاتهم فى النفس ، بدايةً من اختلافهم حول مذاهب القدماء ، وانتهاءً بخلافاتهم حول جزر الخليج ( العربى - الفارسى ) ومرورًا بالفظائع التى ارتكبتها الفريقان ضد بعضهما على مر التاريخ . ولو شاء الله لهدى الناس جميعًا ، ولو شاء لاجتمعت قوى المسلمين وكفوا عن التناحر والاقْتتال لصالح أعدائهم ! وتلك قصةٌ أخرى .. فلنعد إلى الشيخ نجم الدين :

(١) الص الحقق ص ١٣٨ .

**كراماته :**

لما ارتقى نجم الدين في سلم الولاية بمجاهداته ولطف الله به ، وصار بعد حين واحداً من كبار الأولياء في تاريخ التصوف ؛ كان من الطبيعي أن تروى عنه بعض الكرامات ، كما رويت عن غيره .

ولن نخوض هنا في الكلام عن حقيقة الكرامات وأصولها الشرعية ، فقد سبق لنا الوقوف عند تلك النقطة في أعمال سابقة<sup>(١)</sup> .. لذا نكتفي ببعض الإشارات الموجزة التي تلقى الضوء على جوانب هذا الموضوع . فمن ذلك : إن الكرامة هي حرق للقانون الطبيعي ، وإنها ليست دليلاً على علو مرتبة الولي وليست شرطاً لصحة الحال مع الله - فقد يؤتى الكرامة من لم تكمل فيه الاستقامة - وأنها من جنس معجزات الأنبياء ، إلا أنها لا تقترن بالتحدي كما هو الحال في المعجزة النبوية ؛ وأن ثمة أصول ودلائل شرعية وعقلية على جواز وقوع الكرامات .. هذا على سبيل الإجمال ، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى تلك الكتابات المستفيضة حول هذا الموضوع<sup>(٢)</sup> .

والكرامات المرواة عن نجم الدين قليلة ، على غير العادة مع أمثاله من الكبار .. وهذا يظهر من اقتصار كراماته في ( جامع كرامات الأولياء ) على اثنين فقط ، نقلهما المؤلف عن الشعراني ؛ فقال :

**نجم الدين الكبرى أحد أئمة الصوفية وأكابر الأولياء وسادات الأصفياء ،**

(١) راجع كتابنا : « عبد القادر الجيلاني » ، ص ٧٧ وما بعدها .

(٢) بخصوص مسألة الكرامة وتفصيلاتها ، يمكن الرجوع إلى الفصول الواردة في :

رسالة في المعجزات والكرامات وخوارق العادات ، لاس تيمية ( مكتبة الصحابة ) - إحياء علوم الدين ٤/٤٣٦ - الفتوحات المكية ٣/٤٢٠ - الحكم العطائية ص ١٧٩ - تلخيص الحكم للريفي ص ٣٠١ - نشر المحاسن العالية لليافعي ص ٤٤ - جامع كرامات الأولياء ١/٧ - بهجة الأسرار للشطنوفي ص ٣ - تاريخ التصوف لقاسم غني ص ٣٣٥ .

كما يمكن الرجوع للكرامات المسنونة للصوفية في : حلية الأولياء - الرسالة القشيرية - نفحات الأنس - النور السافر - طبقات الخواص - قلائد الجواهر - مرآة الجنان لليافعي - الطبقات الكبرى للشعراني .. وغير ذلك من كتب الطبقات التي أُرُحِت للصوفية .

ومن كراماته رضى الله عنه أن ملك المغول لما جاء لخراب بغداد وقف خارج بغداد وقال إني أشم في هذا البلد رائحة محمدى كبير فاستأذنه ، فقال الشيخ نجم الدين « ليدخل بضرب هذه الرقبة ، ثم يضرب رقبة فلان وفلان ثم ثلثي أهل البلد ، جفَّ القلم بما هو كائن . » فكان كما قال ، ذكره الشعراني في المنن .. وقال الشعراني أيضًا في الأجوبة المرضية : جاء الشيخ فخر الدين الرازى يطلب الطريق على يد الشيخ نجم الدين الكبرى ، في ألف ضالاب يمشون وراءه من بلاد الري ، فبلغ ذلك الشيخ نجم الدين فقال « إنه لا يطيق الطريق » فلما وصل إلى رباط الشيخ بطلبته ، ظنَّ الناس أن الشيخ يقوم له ويمشي خطوات ، فلم يتحرك له ، فلما سلَّم عليه قال : « يا أخى ؛ ما أقدمك إلى بلادنا ؟ » فقال : « جئت أطلب الطريق إلى الله تعالى » فقال له الشيخ : « لا تطيق ذلك ! » فقال : « بلى أطيق إن شاء الله تعالى » فراجعه مرات ، والشيخ فخر الدين يأبى إلا أن يتلمذ له ، فقال الشيخ نجم الدين للنقيب : « أدخله هذه الخلوة وقل له يدخل يشتغل بالله تعالى » فدخل ، فتوجه الشيخ نجم الدين إلى الله ، فسلبه جميع ما كان معه من العلوم ، فلما شعر بذلك ، صاح بأعلى صوته : « لا أطيق ، لا أطيق » فأخرجه الشيخ وقال له : « أعجبنى صدقك » وقال له : « يا فخر الدين كيف تطلب الطريق إلى الله مع حبك للرياسة على الأقران وتكبرك عليهم ، وما عليك أن تكون عند الله - عزَّ وجلَّ - لا تكون لك إلى غيرك ، ولا دعوى عندك لملك شيء في الوجود » .. فبكى الشيخ فخر الدين وقال : « قد خسرتنا وفاز غيرنا » فقال له الشيخ : « قد صرت من معارفنا ، وكنا نود أن تكون من أصحابنا ، فلم يُقدِّر ذلك ؛ اذهب إلى بلادك بسلام » انتهى ؛ قال الشعراني : فانظر يا أخى إلى الشيخ فخر الدين الذى أجمع الناس على جلالته وجمعه من العلوم ما لم يكن عند غيره ، كيف اعترف بأنه لا يصلح للطريق ، وأدعن للشيخ نجم الدين<sup>(١)</sup> .

(١) النبهانى : جامع كرامات الأولياء ( دار الكتب العربية - القاهرة ١٣٢٩ هـ ) ٢/٢٧٥ وما نقله النبهانى عن الشعراني مذكور في كتابيه :

- لطائف المنن والأخلاق ( دار الفكر ، القاهرة ١٩٧٦ الطبعة الثانية ) .  
- الأجوبة المرضية عن أئمة العلماء والصوفية ( مخطوط ) ورقة ٢٣٦ .



ولا يمكن بحال أن نقبل هاتين الحكايتين ، ففيهما من الخيال ما لا يتفق مع الوقائع .. فالحكاية الأولى غير مقبولة لأن الشيخ نجم الدين توفي سنة ٦١٨ هجرية قبل دخول المغول لبغداد سنة ٦٥٦ هجرية ! وهو لم يستوطن بغداد وإنما خوارزم ! ولا يعقل أن هولاءكو ملك المغول يصل به المقام - وهو الرعوى العنيف - إلى تلك الشفافية التي تجعله « يشم رائحة محمدى كبير » داخل أسوار بغداد ! كما لا يعقل أن يبعث إلى هذا المحمدى - الشيخ نجم الدين - يستأذنه في دخول بغداد .. !

والحكاية الأخرى غير مقبولة أيضاً ، فالرازى لم يؤثر عنه نزوعه إلى التصوف حتى يأتي طالباً الطريق من نجم الدين الكبرى ! ومن غير المعقول أن يأتي طالباً هذا الطريق ومعه ألف من تلاميذه ! كما لا يعقل أن تمحى كل علومه في لحظة ، ثم تعود إليه في لحظة تالية ؛ فإن الله - كما في الحديث النبوى - لا ينتزع العلم انتزاعاً ! ومع ذلك ، فثمة أساس لهاتين الحكايتين ، ثم تطويره كى يصل إلى هذه الصورة . فالشيخ نجم الدين قُتِلَ بالفعل على يد المغول ، والتقى بالفعل بفخر الدين الرازى ؛ ولسوف نرى ذلك على وجه الصحيح في الصفحات التالية . أما الآن ، فقد توقفنا عند هاتين الكرامتين ، وناقشناهما بهدف تحليل ما يرويه المتصوفة من كرامات للصوفية ، واكتشاف الآليات الخاصة بصناعة الأسطورة لدى المتأخرين . ففي الحكاية الأولى نلمح يد الخيال وهي تمتد إلى واقعة استشهاد نجم الدين ، لتدخل بها في سياق تاريخى مختلف يتم فيه تفريغ الأشخاص من محتوهم التاريخى وتصويرهم على هذا النحو المفارق الذى يجعل من « هولاءكو » ملك المغول ، صوفياً له كراماته أيضاً ! في عملية تأليفية تدخل فيما نسميه اليوم بالأدب الفنتازى أو عالم الواقعية السحرية التى تتراجع فيه الحتميات التاريخية والواقعية لتفسح المجال أمام التخيل الجامع الفضفاض الذى ينظر للواقع والتاريخ بعين عجائبية ترى - فقط - ما يؤكد فضل الأولياء على غيرهم .. وهكذا تبدأ عملية « صناعة الكرامات » من واقعة فعلية ، لتحلق بها في عنان السماء . وفي لقاء الشيخين نجم الدين كبرى وفخر الدين الرازى - كما رواه الشعرانى والنهبانى - محاولة للنسج

على منوال قصة موسى والعبء الصالح « الخضر » حيث يعبر الرازي عن علوم الظاهر كما عبّر موسى عليه السلام عن القوانين الظاهرية ، بينما يعبر نجم الدين عن علوم الباطن كما عبّر العبد الصالح عن الحقائق الربانية الباطنة ؛ لتأكيد أولوية الباطن على الظاهر والحقيقة على المظاهر .. والهدف من صنع الكرامة - كما قال بعض المتصوفة - هو تقوية قلوب المريدين وإلهاب الهمم للسعى في طريق التصوف ؛ وهو هدف غير كافٍ لنسج مثل هذه الحكايات ، إلا لمن كان على ضعف ! ولذا كان أوائل الصوفية ، والأكابر من بعدهم - حتى اليوم - لا يعولون كثيرًا على مسألة الكرامات هذه .. فيغلقون بذلك باب الفتنة وباب الهجوم على التصوف ! فالكرامة الحقة عندهم هي الاستقامة ، فإن جرى أمر عجيب على يدى الولي ، فهذا من باب الأسرار التي تكون بين الولي وربه ، وما كانت الأسرار خليقةً بأن تنشر على العامة ؛ ومن هنا سكتوا عنها ، وولوا وجوههم شطر الله المتجلى بالأسرار والحقائق .. ولم يشغلهم غيره .

والكرامة الحقة لنجم الدين كبرى - من وجهة نظري - تكمن فيما أكرمه الله من صبر على المجاهدات الروحية ، وجلّد في تحصيل العلوم ، ونشر للهداية بين الأتباع ؛ كما تكمن في تلك الحقائق الربانية التي تجلّت عليه ، وقصّ طرفاً منها في « فوائح الجمال » وفي غيره من المؤلفات .. أما كرامته العظمية ، ففي واقعة موته .

#### استشهاده :

تلك هي اللوحة الأخيرة في حياة نجم الدين كبرى<sup>(١)</sup> ، وهي أكثر لوحات حياته تفجرًا وامتلاءً بالطابع الدرامي العنيف .. فقد اصطدم الشيخ بأعظم موجهٍ في العصور الوسطى الإسلامية « التتار » تلك الموجة التي انهارت معها الحصون والقلاع ، حتى انتهت بفاجعة لا مثيل لها في تاريخنا القديم « سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ » حيث كان التتار نارًا موقدة ، اندفعت من مشارق العالم الإسلامي لتأكل الأخضر والبأس .

(١) انظر كتابنا : شعراء الصوفية المجهولون ( أخبار اليوم - القاهرة ١٩٩١ ) ص ٤٩ وما بعدها .

بدأت محنة المغول ( التتار ) وفظائعهم ، بسبب حماقة سلطان خوارزم محمد خوارزمشاه الذى اتسعت أطماعه ورغبته فى المزيد من الحكم والسلطة ، فأرسل جيشاً لتخريب بغداد والسيطرة على مركز الخلافة ، إلا أن الجيش تعرّض لعاصفةٍ ثلجية فى كردستان فبددت العاصفة شمله ، ومن تبقى منه تحطّقه الأكراد ، فلم يرجع من الجيش الكبير إلى خوارزم إلا عددٌ قليل<sup>(١)</sup> .

ثم اتجهت أطماع هذا السلطان إلى دولة المغول التى تقع من خوارزم ناحية الشرق ، فأرسل سفارة إلى جنكيز خان لتعزيز العلاقات التجارية معه ، فردّ جنكيز خان عليه بسفارة حملت الهدايا الثمينة من الذهب والأحجار الكريمة ، ومعها رسالة إلى خوارزمشاه يرحّب فيها بتبادل القوافل التجارية ؛ وجاء فى رسالة جنكيز خان ما يلى : « لا يخفى علىّ عظيم شأنك ، وما بلغت من سلطان . وقد علمتُ باتساع ملكك ، ونفاذ حكمك فى أغلب أقاليم الأرض . وإني لأرى مسالمتك من جملة الواجبات . وأنت عندي مثل أعز أولادى .. فإن رأيت أن تهيبىّ للتجار فى الجهتين سبيل التردّد ، عمّمت المنافع وشملت الفوائد » .

وقام خوارزمشاه بعقد معاهدة مع جنكيز خان ، ثم هاجت حماقته لما أعاد النظر فى الرسالة ، فوجد جنكيز خان يعتبره من أبنائه ! فاعتبرها إهانة .. وأرسل جنكيز خان أولى القوافل ، وكانت تتألف من ٤٥٠ رجل كلهم مسلمون ومعهم ٥٠٠ حمل تحمل سلعاً تجارية من الذهب والفضة والمنسوجات الحريرية ويقودها أربعة مبعوثون فقام حاكم « أوترار »<sup>(٢)</sup> التابع لخوارزمشاه بالاستيلاء على القافلة ، وقتل كل رجالها - المسلمين - وأرسل السلع إلى السلطان خوارزمشاه الذى وزّع السلع على تجار بخارى وسمرقند ، وحاز أثمانها لنفسه<sup>(٣)</sup> .

وغضب جنكيز خان ، فأرسل لخوارزمشاه سفارة من ثلاثة رجال ، كيما تحتجّ على الغدر برجال القافلة ومبعوثيه ، وتطلب تسليم حاكم أوترار .. وكانت

(١) د. السيد الباز العرينى : المغول ( دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨١ ) ص ١١٣ .

(٢) بلدة واقعة على حدود خوارزم من جهة الشرق .

(٣) العرينى : المغول ، ص ١١٩ .

السفارة تتألف من رجل مسلم ورجلين من المغول ؛ فما كان من خوارزمشاه إلا أن أمر بقتل المسلم وحلق لحية الرجلين الآخرين ! وهكذا بدأت الحرب ، كما تبدأ أغلب الحروب ، بسبب حماقة أحد الحكام<sup>(١)</sup> .

قاد جنكيز خان الجيش المغولي بنفسه، فاستولى على بخارى واستباحها، ثم اجتاح سمرقند فنكّل بأهلها على أبشع صورة.. وتوالت هزائم خوارزمشاه وفظائع المغول، حتى جاء دور خوارزم - حيث موطن نجم الدين - ولترك ابن العماد يروى:

استشهد الشيخ رضي الله عنه بخوارزم في فتنة التتار ، وذلك أن سلطانها قال للشيخ وأصحابه ، وكانوا نحو ستين<sup>(٢)</sup> : ارتحلوا إلى بلادكم فإنه قد خرجت نارٌ من المشرق تحرق إلى قرب المغرب ، وهي فتنةٌ عظيمة ما وقع في هذه الأمة مثلها . فقال بعضهم للشيخ نجم الدين : لو دعوت برفعها ! فقال : هذا قضاءٌ محكمٌ لا ينفع فيه الدعاء . فقالوا له : أخرج معنا ؟ قال : ارحلوا أنتم ، فإنني سأقتل هاهنا .

ولما دخل الكفار البلد ، نادى الشيخ وأصحابه الباقون ( الصلاة جامعة ) ثم قال : قوموا نتقاتل في سبيل الله . ودخل بيته ، ولبس خرقة شيخه ، وحمل على العدو فرماهم بالحجارة<sup>(٣)</sup> ورموه بالنبل ، وجعل يدور ويرقص حتى أصابه سهم في صدره ، فنزعه ورمى به نحو السماء ، وفار الدم وهو يقول : إن أردت فاقتلني بالوصال أو بالفراق !

ثم مات ودفن في رباطه ، رحمه الله تعالى<sup>(٤)</sup> .

(١) سوف نعود لحماقة هذا الحاكم عند الكلام عن تلميذ نجم الدين كبرى : مجد الدين البغدادي .

(٢) نلاحظ هنا أن عدد أصحاب نجم الدين لم يكن « اثني عشر » كما يقول بعض الشيعة !

(٣) في روضات الجنات، « برمح وحجارة » وفي تاريخ الإسلام « حتى بالحجارة » .

(٤) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ( دار الآفاق الجديدة - بيروت ) ٧٩/٥ والص منقول عن تاريخ ابن الأهدل .

وفي ذكر ما جرى بخوارزم ، يروي ابن الأثير :  
وأما الطائفة التي سيرها جنكيز خان إلى خوارزم ،  
فإنها كانت أكثر السرايا جميعها ، لعظم البلد ، فساروا  
حتى وصلوا إلى خوارزم وفيها عسكر كبير ، وأهل البلد  
معروفون بالشجاعة والكثرة ، فقاتلوهم أشد قتال سمع به  
الناس ، ودام الحصر لهم خمسة أشهر ، فقتل من الفريقين  
خلق كثير ، إلا أن القتلى من التتر كانوا أكثر ، لأن المسلمين  
كان يحميهم السور .

فأرسل التتر إلى ملكهم جنكيز خان يطلبون المدد ،  
فأمدهم بخلق كثير ، فلما وصلوا إلى البلد زحفوا زحفاً  
متتابعاً ، فملكوا طرفاً منه ، فاجتمع أهل البلد وقاتلوهم في  
طرف الموضع الذي ملكوا ، فلم يقدرُوا على إخراجهم ،  
ولم يزالوا يقاتلونهم ، والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة ،  
وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليها ،  
فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون ، فلم يزالوا كذلك  
حتى ملكوا البلد جميعه ، وقتلوا كل من فيه ، ونهبوا كل  
ما فيه . ثم إنهم فتحوا السكر ( السد ) الذي يمنع ماء  
جِيحون عن البلد ، فدخله الماء ، فغرق البلد جميعه  
وتهدمت الأبنية . ولم يسلم من أهله أحد ألبته ، فإن غيره  
من البلاد قد كان يسلم بعض أهله ، منهم مَنْ يختفى ،  
ومنهم مَنْ يهرب ، ومنهم مَنْ يلقي نفسه بين القتلى فينجو .  
وأما أهل خوارزم ، فمن اختفى من التتر غرقه الماء ، أو  
قتله الهدم ، فأصبحت خراباً ياباً :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَتَيْنِ الْحَجُونَ إِلَى الصَّفَا  
أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ  
وهذا لم يُسمع بمثله في قديم الزمان وحديثه<sup>(١)</sup> .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ( نشرة تورنبرج - بريل ١٨٥٣ ) ١٢ / ٣٩٤

تلك هي اللحظة التاريخية الدامية التي استشهد فيها نجم الدين ، وهذه هي واقعة استشهاده كما رواها ابن العماد ، المؤرخ المعتمد . وقد زاد بعضهم في هذه الواقعة أشياء ، منها قولهم إنه حين مات نجم الدين ، كان قابضاً بيده على خصلة من شَعْر مقاتل مغولى ، ولم يتمكنوا من تخليص المغولى من يده إلا بقطع الخصلة ؛ وإلى ذلك يشير جلال الدين الرومى - الذى انتسب والده للطريقة الكبروية - بقوله : نحن قوم نشرب نهر الإمام الصافية بإحدى اليدين ، ونمسك بصفيرة الكافر بثانية الكفين<sup>(١)</sup> .. كما جمع بعضهم ، بحساب الجُمَّل<sup>(٢)</sup> ، مجموع كلمة « حقيقة » فكان ٦١٨ ، ومجموع كلمة « منصور كبرى » فكان أيضاً ٦١٨ وهى سنة وفاة الشيخ<sup>(٣)</sup> .

فإذا عدنا لواقعة استشهاد نجم الدين كما رواه المؤرخون المعتمدون ، وبعيداً عن تلك الإضافات التى وضعها الصوفية المتأخرون ، لوجدنا مجموعة من التساؤلات التى تثيرها لحظة الاستشهاد العارمة هذه : هل أراد الشيخ بموته على هذا النحو ، أن يحقق قدرًا مكتوبًا ؟ أم تراه أراد أن يضرب للمسلمين مثلاً فى عدم الخوف من الموت وفى الاقتحام الذى آخره الشهادة ؟ .. ولماذا كان الشيخ يرقص وهو يموت ؟ هل هى نشوة الاقتراب من الله بمفارقة الدنيا ؟ أم هى الفرحة الروحية بالخروج من أسر الخوف ؟ أم هو ذلك المعنى الذى سيشير إليه جلال الدين الرومى من بعده ، حين قال : لا يفنى فى الله من لم يعرف قوة الرقص ! وأياً ما كان : فيها هو نجم الدين يعلمنا كيف نموت ميتةً مجيدة .

= وقد بدأ ابن الأثير هذا الفصل «ذكر خروج التتر إلى بلاد الإسلام» بقوله : لقد نقيتُ عدة سببٍ مُعرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظانًا لها، كارهًا لذكرها، فأنا أقدم رحلاً وأؤخر أخرى، فتمنّ يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ، وتمنّ يهون عليه ذكر ذلك ؟ ميا ليت أُمى لم تلدى ، وبالي تبنى مُتُّ قبل حدوثها وكنْتُ نسيًا منسيًا .. ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعًا ( الكامل ٣٥٨/١٢ ) .

(١) الموسوعة الصوفية ص ٣٣٧ ، ولم يذكر المؤلف المصدر الذى اعتمد عليه فى ذكر هذا الخبر .

(٢) انظر المقصود بحساب الحمل فى هامش تعليقنا على النص المحقق ص ٢٢٥ .

(٣) ميرزا محمد على مدرس : ریحانة الأدب ١٤٣/٦ .

## مصادر بحثة :

لما كانت هذه الدراسة - فيما نعلم - هي أول ما يكتب بالعربية عن نجم الدين الكبري ، ولما كنا نرى أن الرجل وتصوفه لا يزالان بحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات وجهود المحققين ؛ فسوف نضع فيما يلي قائمة بالمصادر والمراجع التي تعرضت لسيرة نجم الدين وطريقته الصوفية ، لتكون تلك القائمة معيناً لمن أراد استكمال البحث في هذا الموضوع من الدارسين الجدد .. والقائمة مستفادة مما ذكره بروكلمان وفريتز ماير فيما كتبه بالألمانية ، ومما جمعناه واعتمدنا عليه أثناء إعداد تلك الدراسة :

## ( أ ) المصادر العربية المطبوعة :

- السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ( طبعة القاهرة ١٣٢٤هـ ) المجلد الخامس .
- الذهبي : سير أعلام النبلاء ( طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت ) المجلد ٢٢ .
- الذهبي : تاريخ الإسلام ( طبعة دار الكتب بالقاهرة ) .
- الذهبي : العبر في خبر من عبر ( طبعة الكويت ) المجلد الخامس .
- مقداد يالجن : فلسفة الحياة الروحية ( دار الشروق - القاهرة ١٩٨٥ ) .
- الواسطي : ترياق المحبين ( القاهرة ١٣٠٥هـ ) .
- ابن العماد : شذرات الذهب ( دار الكتب العربية - القاهرة ١٣٥١هـ ) المجلد الخامس .
- حاجي خليفة : كشف الظنون ( استانبول ١٩٤٨ ) عدة مواضع .
- إسماعيل حقي : روح البيان ( استانبول ١٢٨٧هـ ) عدة مواضع .
- الصفدي : الوافي بالوفيات ( فسادن - ألمانيا ١٣٨٩هـ ) المجلد السابع .

- اليافعى : مرآة الجنان ( حيدر آباد ١٣٣٩ هـ ) المجلد الرابع .
- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة خوارزم / خيوق .
- القزوينى : آثار البلاد ، مادة خيوق .
- الشعمرانى : لطائف المنن والأخلاق ( دار الفكر ، القاهرة ١٩٧٦ ) .
- النهىانى : جامع كرامات الأولياء ( دار الكتب العربية ) الجزء الثانى .
- الخوانسارى : روضات الجنات ( طهران ١٣٠٦ ش ) المجلد الأول .
- البغدادى : هدية العارفين ( استانبول ١٩٤٧ ) عدة مواضع .
- البغدادى : إيضاح المكنون ( استانبول ١٩٤٧ ) عدة مواضع .
- الحفنى : الموسوعة الصوفية ( دار الرشاد - القاهرة ١٩٩٠ ) .
- قاسم غنى : تاريخ التصوف ( مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٢ ) .
- الأسنوى : طبقات الشافعية ( ديوان الأوقاف - بغداد ١٩٧١ ) المجلد الثانى .
- كحـاله : معجم المؤلفين ( دار إحياء التراث العربى - بيروت ) الجزء الثانى .

### (ب) المخطوطات العربية :

- ابن نقطة : التقييد .
- السنوسى : السلسبيل المعين فى الطرائق الأربعين ( مخطوطة بلدية الإسكندرية ) .
- مجهول : تحفة الفقرا فى ترجمة نجم الدين كبرى<sup>(١)</sup> .
- الكمشخانوى : جامع الأصول ( مخطوطة مصورة - بدون بيانات ) .
- الشعمرانى : الأجوبة المرضية عن أئمة العلماء والصوفية ( مخطوطة بدار الكتب المصرية ) .

(١) ذكره حاحى خليفة فى كشف الطنون ( طبعة استانبول ١٩٤٧ م ) ٢٦٤/١ .



## (ج) المطبوعات الفارسية :

- معصوم على : طرائق الحقائق ( طهران - إيران ١٣١٩ هـ ) .
- عبدالرحمن جامى : نفحات الأنس ( لكهنؤ - الهند ١٣٢٣ هـ ) .
- التستبرى : مجالس المؤمنين ( طهران ١٣٩٩ هـ ) .
- رشيد الدين : جامع التواريخ ( طهران ١٣٢٨ هـ ) .
- النـووى : مجالس النفائس ( طهران ١٣٢٣ هـ ) .
- ميرخواند : روضة الشفاء ( طهران ١٢٧٠ هـ ) الجزء الخامس .
- خواندمير : حبيب السير ( بومباى ١٨٥٧ م ) المجلد الأول .
- غلام اللاهورى : خزانة الأصفياء ( لاهور ١٣١٢ هـ ) الجزء الثانى .
- رضا هدايت : مجموع الفصحاء ( طهران ١٢٩٥ هـ ) الجزء الأول
- رضا هدايت : رياض العرفان ( طهران ١٣١٦ هـ ) .
- ميزرا محمد على : ریحانة الأدب ( تبريز - جنجانة سفق ) المجلد السادس .
- محمد الموسوى : المشجر<sup>(١)</sup> .
- العراقى ( فخر الدين ) : عشاق نامه<sup>(٢)</sup> .
- علاء الدولة السمنانى : فضل الطريقة ( استانبول ١٣٢٥ هـ ) .
- العطار ( فريد الدين ) : تذكرة الأولياء ( طهران ١٣٢١ هـ ) .
- جعفر سجادى : فرهنك مصطلحات عرفاء ( طهران ١٣٣٩ ش ) .

## (د) المخطوطات الفارسية :

- أحمد على خان : مخزن الغرائب ( مخطوطة بودليان رقم ٣٩٥ ) .
- أبو طالب الأصفهانى : خلاصة الأفكار ( مخطوطة بودليان رقم ٣٩١ ) .
- إبراهيم على خان : صحف إبراهيم ( مخطوطة برلين رقم ٦٦٣ ) .
- وجيه الدين أشرف : بحر الزخار ( مخطوطة المتحف البريطانى - لندن ) .

(١) ذكره الحوانسارى فى روضات الخنات ٢٩٦/١ .

(٢) قام المستشرق حون آربرى بشر وترجمة هذا الكتاب بعنوان : أغنية العشاق ( أكسفورد ١٩٣٩ م ) .

- الداغستاني : رياش السراة ( مخطوط بودليان - فارسي / ٥٨ ) .
- محمد علي خان : منتخب الآثار ( مخطوط أكسفورد رقم ٧٣٩ ) .
- عبد الرحمن الجشتي : مرآة الأسرار ( مخطوطة بنكيبور رقم ٦٧٦ ) .
- دارا شيكوه : صفوة الأولياء ( مخطوطة المكتب الهندي - لندن ، رقم ٦٤٧ ) .
- غياث الدين محمود : خير البيان ( مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٠٨ ) .
- الخوارزمي : جواهر الأسرار ( مخطوط كامبردج )<sup>(١)</sup> .

### (هـ) المراجع الأوربية :

- Brockelmann : Geschichte der Arabischen Litterature, Sup. (Leiden) Vol. 1.
- Fritz Meier : Die Fawaih al Gamal (Wiesbaden).
- Encyclopedia of Islam, Art. : TARIKA.

(١) ربما كان هذا المخطوط - على الأرجح - عربياً .

## الفصل الثاني

### شيوخه ومعاصروه

هناك ثلاثة أصناف من الرجال الذين استفاد منهم نجم الدين كُبرى ، الصنف الأول هم شيوخه في علوم الدين ( الحديث - الفقه ) والثاني هم شيوخه غير المباشرين في التصوف ، أولئك الذين تعلّم نجم الدين من كتبهم وأخبارهم .. والصنف الثالث الأخير : شيوخه المباشرين في التصوف .

وقد أشار الذهبي إشارة إجمالية لشيوخ نجم الدين من الفقهاء والمحدثين فقال :  
سمع من أبي طاهر السُّلَمي<sup>(١)</sup> ، وأبي العلاء الهمداني العطار ، ومحمد بن بُنيمان ،  
وعبد المنعم بن الفراوى .. وطبقته<sup>(٢)</sup> . وقد قرن السُّبكي أسماء هؤلاء الشيوخ ،  
بالبلاد التي تتلمذ عليهم فيها نجم الدين فقال : سمع بالإسكندرية أبا طاهر  
السُّلَمي ، وبهمدان الحافظ أبا العلاء ، وبنيسابور أبا المعالي الفراوى<sup>(٣)</sup> .

وفي دراسة فريتزماير ( نقلاً عن ؛ داماد إبراهيم باشا ) ورد النص التالي : سمع  
الحديث بمكة من أبي محمد المبارك بن الطباخ وبالإسكندرية من الحافظ أبي طاهر  
السلفي وأبي الضياء بدر بن عبد الله الحدادي ، وبإصبهان من أبي المكارم أحمد  
ابن محمد اللبان وأبي سعيد خليل بن بدر الرازي وأبي عبد الله محمد بن أبي بكر  
الكيزاني وأبي جعفر بن محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني ومسعود بن مسعود  
الحمال ، وبهمدان من الحافظ أبي العلاء وبنيسابور من أبي المعالي الفراوى<sup>(٤)</sup> .

---

(١) وصف الشيخ نجم الدين هذا الأستاذ المحدث بأنه : الحافظ السُّلَمي الأصبهاني ، وهو شيخ مُس ،  
شافعي المذهب ، سلفي الاعتقاد ، ينف على المائة سنين .. ( انظر النص المحقق ، ص ٢٤١ ) وراجع  
ترجمته الكاملة في : سير أعلام النبلاء ٥/٢١ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١١٢/٢٢ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ١١/٥ والنص المذكور بتمامه في « الوافي بالوفيات ٢٦٣/٧ » .

(٤) Fritz Meier : Die Fawaih, p. 12.

أما شيوخه غير المباشرين في التصوف ، فمن الممكن التعرف إليهم من ثانيا كلام نجم الدين في مؤلفاته ، حيث نراه يذكر : البسطامي ، سهل التستري ، الجنيد ، الواسطي ، سحنون المحب ، السهروردي ( أبو النجيب ) .. وغيرهم ؛ كما نراه يروي بعض الوقائع الروحية عن الخرقاني<sup>(١)</sup> .

وقد استفاد نجم الدين من « الرسالة القشيرية » وهو ما يظهر من قول الخوانساري : ثم إن من جملة ما أظفرتني الله تعالى به في هذه الأواخر ، هو نسخة من « رسالة القشيري » إلى الصوفية ، كُتبت في جرجانية خوارزم الخمية ، كان قد مرت عليها نظرات الشيخ نجم الدين المذكور ، من البداية إلى النهاية ، وكان تاريخ كتابتها سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ، وعلى ظهرها بخط النجم المذكور ما صورته « هكذا أخبرني به شفاهًا ، إجازةً ، الشيخ الإمام الأديب أبو الفضل محمد بن سليمان بن يوسف الهمداني ، بهمدان ، سنة ثمان وستين وخمسمائة ، قال : أخبرنا الشيخ أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري ، قال : أخبرنا والدي الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، قدس الله روحه . وكتب أبو عبيد الله أحمد بن عمر الصوفي بخطه . انتهى .. » وفوق هذه الأسطر .. خط الشيخ الشهيد قطب المحققين ، وقررة عين الواصلين ، صفوة الله في أرضه ، مرشد الخلائق إلى حقيقة الحقائق ؛ أحمد بن عمر الصوفي المعروف بنجم الدين الكُبرى الخيوق<sup>(٢)</sup> ..

(١) يقول الذهبي : هو الراهد القدوة أبو الحسن علي بن أحمد الخرقاني البسطامي ، من قرية ( خرقان ) .. له الكرامات والأحوال ، زاره محمود بن سبكتكين ، فوعظه ، ولم يقبل منه شيئاً . توفى يوم عاشوراء سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، عن ثلاث وسبعين سنة ( سير أعلام النبلاء ١٧/٤٢١ ) .

(٢) انظر ترجمته في : نفحات الأنس ص ٢٢٨ - شدُّ الإزار للجنيد الشيرازي ص ٢٤٣ - ديوان الحلاج ( نشرة ماسينيون ) ص ٣٨٠ - مجموعة نصوص غير منشورة لماسينيون ص ١١٣ - معجم المؤلفين لكحاله ١٧٥/٤ - ترجمة روزبهان البقلي ( بشرة إيفانوف ، كلكتا ١٩٢٨ م ) .

وعن شيوخه في التصوف ، أولئك الذين صحبهم وتلمذ على أيديهم ، يقول نجم الدين : « أخذتُ علم الطريقة عن روزبهان ، والعشق عن ابن العصر ، وعلم الخلوة عن عمّار ، والخرقه عن إسماعيل القصرى » . وسوف نتوقف عند هؤلاء الشيوخ قليلاً ، لتتعرّف إلى المنابع المباشرة التي استقى منها نجم الدين تصوفه .

### روزبهان :

هو أبو محمد روزبهان بن أنى نصر البقلى ، الفسوى ، الشيرازى المصرى ؛ المتوفى ٦٠٦ هجرية . أصله من « شيراز » زار مصر فقضى في القاهرة والإسكندرية زمناً ، حتى عُرف باسم « روزبهان المصرى » ثم عاد إلى شيراز واستمر بالوعظ والتذكير خمسين سنة في الجامع العتيق بمدينة شيراز ، واشتهر في هذه السنوات الخمسين الأخيرة بلقب : شَطَّاح فارس .

ويعد روزبهان من أعظم صوفية الإسلام ، اعتبره الفرس من مفاخر إقليم فارس ومن مقدسات شيراز ! حتى إن الشاعر الفارسى العظيم « سعدى الشيرازى » يُقسم على الله به ، فيقول :

أقسم عليك بذكر الشيخ الكبير وفكره

وبحق روزبهان وبحق الصلوات الخمس

أن تحفظ هذه المدينة المختصة بالرجال الصالحين

من أيدي الكافرين والمتشائمين والظالمين والعمّازين<sup>(١)</sup>

وقد ترك روزبهان العديد من المؤلفات ، منها : تفسير القرآن بعنوان « عرائس البيان في حقائق القرآن »<sup>(٢)</sup> - منطق الأسرار في بيان الأنوار ، وهو

(١) د. قاسم غنى : تاريخ التصوف ص ٥٦٧ والأبيات من ديوان سعدى الشيرازى ( بالفارسية ) .  
 (٢) طبع جزء منه في الهند على هامش كتاب : صفوة الصفاء لابن البرار . وذكر بروكلمان (Gesch. 1, 736) بعض مخطوطاته في : المكتب الهندى بلندن برقم ١٠٧ ، ١١٠٦٤ - مكتبة قاضى عسكر ١٢٤ - حكيم أوغلو ١٠٦ - جار الله ٢٣١ - داماد زاده ١٢٥ - خالص أفندى ١٥٠ ، ١٦٦ - نفيس باشا ١١٧ - عاطف أفندى ٢٤٥ - الأصفية ٢٣٣ - لاله لى ١٨٠ - دار الكتب المصرية ١١/١٥٥ - الموصل ٦٦/٢٥٦ - بيكنبور ١٤٥٤ - لكتشو ١٣١٠ (ط) .

« شرح الشطحيات » بالعربية والفارسية<sup>(١)</sup> - وشرح كتاب « الطواسين » للحلاج ، بالعربية والفارسية<sup>(٢)</sup> - الأنوار في كشف الأسرار<sup>(٣)</sup> - سير الأرواح « المصباح لمكاشفة الأرواح »<sup>(٤)</sup> - كتاب القدسية<sup>(٥)</sup> - مكنون الحديث - حقائق الأخبار - الموشح في المذاهب الأربعة وترجيح قول الشافعي بالدليل<sup>(٦)</sup> .. وله أيضاً رباعيات من الشعر الفارسي منها ما ترجمته :

من أجل الحصول على كأس ، طفئت العالم  
فما قعدت يوماً ولا نمت ليلة  
وعندما سمعت من الأستاذ وصف الكأس  
قلتُ : أنا نفسي مرآة الكأس التي يرى فيها العالم

وقد وردت هذه الرباعية في كتاب روزبهان « عبر العاشقين » التي يملك الدكتور / قاسم غني مخطوطة نفيسة منه ، وقد نقل إلينا منه فصلاً ، يمكن من خلاله أن نتعرف بشكل مباشر على أفكار روزبهان .. يقول الشيخ في الفصل الحادي والثلاثين ( بعنوان : كمال المعشوق ) ما نصّه :

إن الله سبحانه وتعالى ذاته القديمة موصوفةٌ أزلاً وأبداً بصفاته القديمة ، ومن جملة صفات الحق : « الأول ، العشق » وقد عشق ذاته بذاته ، فهو العشق والعاشق والمعشوق ، فصار العشق ذات لونٍ واحدٍ ، لأنه من صفاته تعالى ، وهو منزلةٌ عن تغيير الحدثان . فالعشق واحدٌ ، صفةٌ له قائمةٌ به لا تغير فيها ؛ بل هو عاشق بنفسه لا يجوز له التغيير الحدثاني . وأعرفُ محبة الحق في أن يكون علمه

(١) مخطوطاته في : مكتبة شهيد على رقم ١٣٤٢ - مشهد ١/٤٨ - قاضي عسكر ١٢٧١ .

(٢) نشره المستشرق الفرنسي ، لوى ماسينيون .

(٣) د. قاسم غني : تاريخ التصوف ، ص ٧٥٧ - وتوجد له مخطوطة بعنوان : شرح الحجج والأسرار في مقامات أهل الأنوار والأسرار ، بالمكتب الهندي رقم ١٢٥٢ (Gesch. 1, 763) .

(٤) مخطوطاته في : مكتبة الفاتح برقم ٢٦٥٠ - الأصفية ٢١٦٠ - عاشر أُندي ٢/٤٣٢ .

(٥) توجد له مخطوطة بالمكتبة الولنوية بباريس ، برقم ١٧٤ (Gesch. 1, 736) .

(٦) راجع المزيد من مؤلفاته في : شد الإزار ص ٢٤٤ - معجم المؤلفين ١٧٥/٤ - كشف الظنون ، صفحات ١٩٦ ، ١٠١١ ، ١٠٧٩ ، ١١٣١ - إيضاح المكنون ص ٥٩٧ .

لم يزل محباً بنفسه لنفسه ؛ كمال المحبة ، فالمحبة صفة الحق . فلا تخطئ في الاسم ، فإن العشق والمحبة أمر ! إنه لم يزل عالماً بنفسه وناظراً إلى نفسه بنفسه ، لا يوحد انقساماً في أحديته . ولما أراد - تعالى - أن يفتح كنز الذات بمفتاح الصفات ، تجلّى على أرواح العارفين بجمال العشق ، وظهر لهم بصفات خاصة ، وأنهم حصلوا في كل صفة لباساً ؛ فمن العلم علماً ، ومن القدرة قدرة ، ومن السمع سمعاً ، ومن البصر بصراً ، ومن الكلام كلاماً ، ومن الإرادة إرادة ، ومن الحياة حياة ، ومن الجمال جمالاً ، ومن العظمة عظمة ، ومن البقاء بقاءً ، ومن المحبة محبة ، ومن العشق عشقاً ؛ كانت كل هذه « هو » فبرز « هو » فيهم ، وأثرت الصفات فيهم ، والصفة قائمة بالذات ، فأصبحت صفتهم قائمة من أثر ذلك ؛ لا يوجد من « الحلول » شيئاً في هذا العالم : العبدُ عبدٌ والرَّبُّ رَبٌّ<sup>(١)</sup> .

فأصل العشق قديم ، وعشاق الحق قدماء ! عشقهم بالروح ، والعشق لبلاب الأرض القديمة الذى التفّ حول شجرة روح العاشق . والعشق سيفٌ يقطع رأس الحدوث من العاشق<sup>(٢)</sup> ، وهو ذروة قاعدة الصفات ، فما وصلتها روح العاشق إلا واستسلمت للعشق . وكل من صار معشوقاً للحق ، وعاشقاً للحق ، لا يستطيع النزول من تلك الذروة ، ويصير في العشق متحدًا بالعشق ؛ ولما اتحد العاشق والمعشوق صار العاشق والمعشوق بلون واحد<sup>(٣)</sup> ، وعندئذ يصبح العاشق حاكمًا في إقليم الحق . فعندما غلب عليه الحق ، أصبح قالب صورته جنائياً ، ونفسه روحانية ، وروحه ربانية .

العشق كمال من كمال الحق ، فإذا اتصل بالعاشق ، تحوّل من الحدوث المحض إلى الجلال الإلهي ، ويصبح باطنه ربانياً ، ويطلب معدن الأصل ، ولا يتغير من حوادث الدهور وصروف الزمان وتأثير المكان ؛ فإذا بلغ عين الكمال ، تزول

(١) يقصد : رغم سطوع آثار الصفات وتجليها على العبد ، بحيث يصير ربانياً ، إلا أن مراتب العبودية والربوبية لا تزال محفوظة ، وليس ثمة أى حلول .

(٢) الحدوث بمعنى « الخلقية » والقدّم بمعنى « الألوهية » .

(٣) سئل الحنيد عن المعرفة والعارف فقال : لون الماء ، لون إنائه ا

ستائر الربوبية ! والعاشق الرباني يذهب بالمعدن الأصلي .. وليس في العشق مقصودٌ ، فالعشق مع المقصود ليس بوجود<sup>(١)</sup> :

العشْقُ والمقصودُ كفرٌ والعاشقُ بريءٌ من روحه

وليس للصورة مكان في عالم العشق ، لأن العقل والنفس ليسا معاً في طريق العشق ، فالعشق هو الطائر الصاهر للروح<sup>(٢)</sup> . والعشق والروح ، كالحمام والصقر :

العشْقُ لا يقبل النفس الحية والصقر لا يصطاد الفأرة الميتة

الأمر والنهي منسوخان في طريق العشق !

والكفر والدين حُجبا عن سراى العشق !

والآفاق محترقة بإشراق العشق !

والكون مضمحلٌ تحت حافر فرس العشق !

عند مَنْ كان العشق مرشده يكون الكفر والدين ستار بابه

وجوهرة العشق عُجنت من الأزل ، ولم يكن في ذلك العالم للروح والعقل من طريق<sup>(٣)</sup> ؛ كل مَنْ ظهر له طريق العشق ، يخطف جوهر أوصافه من هذه التربة :

إن كل ما في الكائنات من جزءٍ وكل  
العشْقُ أرقى من العقل والروح « لى مع الله » هو وقت الرجال<sup>(٤)</sup>  
هى أطواقُ قناطر العشق

(١) يقصد : العشق مره عن العرض ، فهو مطلوب لذاته وليس لههدف وراءه .

(٢) يعيد كلام الشيخ ها ، ما ذكرناه من قبل حول ارتقاء الأولياء من الصور الحسية إلى مطالعة الجمال الإلهى ، بحيث يكون الوقوف مع المخلوقات آنذاك بقص .

(٣) إشارة إلى عالم الأرواح قبل خلق الأحساد والنزول إلى هذا العالم ، وهو ما يُعرف بعالم « الدر » الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم .

(٤) الإشارة للحديث النسوى : لى وقت مع الله لا يسعنى فيه ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل .



وليس في العشق مجوسية ولا كفر ، ولا شراسة ولا بلاهة ، وصفةُ العشاق كأل الحيرة .. والخضوع صفةُ المتَّيِّمين :

يَجْعَلُ حِمْلُ العشقِ الطفلَ شيخاً ويجعل العشقُ الباشقُ<sup>(١)</sup> صيادَ البعوضة والجنة مأوى الزاهدين ، والحضرة مثوى العاشقين ! ليس في العشق فجاجة ، وليس في طريقه عجز ولا ضعف .

وكل ما قلناه ، ليس من صفة العشق والعاشق<sup>(٢)</sup> .. ونهايةُ العشق بدايةُ المعرفة .. والعشق في المعرفة مبنًى على الكمال ؛ وإذا اتحد العاشق بالمعشوق ، بلغ مقام التوحيد . وإذا تحجَّر في المعرفة ، فقد أحرز مقام المعرفة .. ونهايةُ العشق إلى هذين المقامين ؛ فإذا صار عارفاً ، تبدو صفات الحق من صفاته . ذلك الذى تكلم بالشطحيات ، إنما أراد أن يقول الحديث السبحانى «ما فى الجبة»<sup>(٣)</sup> وسر «أنا الحق»<sup>(٤)</sup> وإذا لم تعرف ذلك ، فاستمع إلى قول «أسد مرج التوحيد» و«فارس ميدان التجريد» : أبى بكر الشبلى رحمة الله عليه ، فإنه وجد رمز ذلك الحديث ذات يوم فى مجلس الموحدين ، ولما غلبه سكر الوجد قال :

تباركت خطراتى فى تعالاتى فلا إله إذا فكرت آلاى !

وحيث إنهم بلغوا ذلك العالم ؛ صار قلبهم ربانياً ، وقولهم أزلياً وأبدياً .. كما قال أبو سعيد الخراز ، رحمة الله عليه : للعارفين خزائن أودعوها علومًا غريبة ، وأنبياءً عجيبة ، يتكلمون فيها بلسان الأبدية ، ويخبرون عنها بعبارات الأزلية<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

(١) الباشق : نوع من الصقور .

(٢) يشير الشيخ هنا إلى أن حقائق العشق تعلق على اللغة ، ولا تستطيع الألفاظ أن تخر عن حقيقتها .. فهى فقط تقرب الأمر للأذهان .

(٣) عبارة الخلاج : ما فى الجبة إلا الله .

(٤) عبارة الخلاج : أنا الحق .

(٥) روزبهان البقلى : عبر العاشقين ( نقلاً عن تاريخ التصوف لقاسم غنى ص ٥٧٩ وما بعدها ) وقد طبع هذا الكتاب فى طهران سنة ١٩٥٨ معناية هنرى كوربان ومحمد معين .

وبعد .. فهذا هو الشيخ روزبهان الذى لطم نجم الدين لطمَةً جعلته وليًّا !  
والذى أخذ منه نجم الدين علم الطريقة والسلوك الصوفى . فلنتوقف الآن عند  
الشيخ التالى ، على نفس الترتيب الذى وضعه نجم الدين فى قوله : أخذت علم  
الطريقة عن روزبهان ، والعشق عن ابن العصر وعلم الخلوة والعزلة عن عمّار  
والخرقة عن إسماعيل القصرى .

### ابن العصر :

يبدو أن ثمة تصحيحًا وقع عند نقل عبارة نجم الدين عن أساتذته ، أو أن  
( ابن العصر ) هو تسمية مختصرة للشيخ ( ابن أبى عصرون ) فقد بحثنا فى المصادر  
التاريخية ، فلم نجد ابن العصر .. ثم وجدنا إشارة محمد الموسوى النوربخشى الواردة  
فى ( روضات الجنات ) تقول إن نجم الدين : « صحب عمار بن ياسر ،  
وروزبهان الفارسى الكبير المتوطن بمصر ، وأحمد الموصلى ، والقاضى الإمام  
ابن العصر الدمشقى<sup>(١)</sup> » . فبحثنا فى القضاة الدمشقيين ، فلم نجد فى زمن زيارة  
نجم الدين لها ، إلا ابن أبى عصرون .

هو قاضى القضاة ، شيخ الشافعية<sup>(٢)</sup> ، عالم أهل الشام : أبو سعد عبد الله  
ابن محمد بن هبة الله بن المطهر بن على بن أبى عصرون ، التيمى الحديثى الموصلى  
الدمشقى<sup>(٣)</sup> .

(١) الخواسارى : روضات الجنات ٢٩٦/١ .

(٢) الملاحظ ، أن أغلب شيوخ نجم الدين كانوا من الشافعية .. وهو مذهب أهل « حيق » ببلدته .

(٣) فى هامش « سير أعلام النبلاء » ورد ما يلى :

ترجم له العماد الأصهبانى فى القسم الشامى من الحريدة ٣٥١/٢ ، واس الأثير فى الكامل ١٨/١٢ ،  
واس الديبى فى تاريخه : الورقة ١٠٢ ( باريس ٥٩٢٢ ) واسن الصلاح فى طبقاته ورقة ٥٤ ، والنواوى  
فى الطبقات الورقة ٥٩ ، واس حلکان فى الوفيات ٥٣/٣ ، والمذرى فى التكملة : ١/ الترحة ٨٢ ،  
والدهبى فى تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٢ ، والعمر ٢٥٦/٤ ، ودول الإسلام ٧٢/٢ ، والمختصر المحتاج  
إليه : ١٥٨/٢ ، والإعلام الورقة ٢١١ ، ومعرفة القراء الورقة ١٧٣ ، والدمياطى فى المستفاد  
الورقة ٤٥ ، والصفى فى نكت الهميان ١٨٥ ، واس كثير فى البداية ٣٣٤/١٢ ، والسبكى فى الطبقات  
١٣٢/٧ ، واس الملقر فى العقد الورقة ٧٠ ، والحزرى فى غاية النهاية ٤٥٥/١ ، والمقرزى فى السلوك  
١٠٣/١/١ ، واس تغرى بردى فى النجوم ١١٠/٦ ، والنعمى فى القضاة الشافعية ٤٩ واس هداية الله فى  
الضقات ٨٠ ، واس العماد فى الشدرات ٢٨٣/٤ وغيرها .

ولد ابن أئى عـصرون سنة ٤٩٢ هـجـرية ، وتوفى سنة ٥٨٥ هـجـرية بدمشق<sup>(١)</sup> ؛ مما يعنى أن نجم الدين التقى به فى حدود سنة ٥٧٥ هـجـرية ، وهو زمن مروره على دمشق عائداً من مصر .. وزمن تولى ابن أئى عـصرون قضاء دمشق .

وكان ابن أئى عـصرون فقيهاً ، محدثاً ، متصوفاً . تفقه على المرتضى الشهرزورى وابن خميس الموصلى ، وأئى على الفارقى ، ودرس القراءات على الحسين بن محمد البارع وأئى العز القلانسى ، وتلقى الحديث من المسلم السروجى وأئى القاسم بن الحصين وأئى البركات البخارى .. وغيرهم .

وقد تولى التدريس بالمدرسة الغزالية بدمشق ، وأشرف على الأوقاف هناك ، وترك مجموعة من المؤلفات : صفوة المذهب فى نهاية المطلب ( سبعة مجلدات ) - الانتصار ( أربعة مجلدات ) - المرشد ( مجلدين ) - التيسير فى الخلاف ( أربعة أجزاء ) - الذريعة فى معرفة الشريعة - مآخذ النظر - كتاب الفرائض - كتاب الإرشاد - التنبيه فى معرفة الأحكام - فوائد المذهب<sup>(٢)</sup> .

والعشق الذى تعلّمه نجم الدين من شيخه ابن أئى عـصرون ، يظهر فى بعض أبيات هذا الشيخ ، إذ يقول :

أَمْسَتْ حَبْرِي عَنْ حَبِيبِي إِلَيْهِ      وَعَنْ زَفْرَاتِي وَفَرَطِ اشْتِيَاقِي  
لَكَ الْخَيْرُ إِنْ بَقَلْبِي إِلَيْكَ      ظَمًّا لَا يُرْوِيهِ إِلَّا التَّلَاقِي

ويقول :

يَا سَائِلِي كَيْفَ حَالِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ      حَاشَاكَ مِمَّا بَقَلْبِي مِنْ تَنَائِكَا  
قَدْ أَقْسَمَ الدَّمْعُ لَا يَجْفُو الْجُفُونَ أَسَى      وَالنُّومُ لَا زَارَهَا حَتَّى أَلَايِكَا

ولا شك فى أن هذه الأبيات تصوّر حال عاشق متيمّ ، يشكو ألم الفرقة

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٢٥/٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧ .

والبعاد .. ولكن أليس من الأصوب ، أن يكون نجم الدين قد أخذ العشق عن روزبهان ؟ إن كلام روزبهان في العشق لا مثيل له ، وأحواله أيضًا . فالأنسب أن يكون روزبهان هو « مُعَلِّمُ العشق » بالنسبة لنجم الدين ، خاصةً أن تلك الواقعة التي حكى فيها نجم الدين عن عشقه لتلك الجارية - حيث كان يتنفس نارًا - كانت قبل لقائه بابن أى عصرون ، وفور مفارقتة للشيخ روزبهان .

### عَمَّار :

هو أقرب شيوخ نجم الدين إلى نفسه ، وأكثرهم تأثيرًا فيه . فقد طالت الصحبة بينهما ، ولم يصحب نجم الدين بعده شيخًا آخر ؛ وهو كثيرًا ما يردّد : « قال شيخى عمار ... » وكثيرًا ما يحكى عما جرى بينهما من وقائع ومعانيات روحية ؛ وسوف نرى أمثلة لذلك عند قراءتنا نص فوائح الجمال .

والشيخ عمار هو : عَمَّار بن ياسر بن محمد بن عمار بن سحاب الشيباني البديلىسى<sup>(١)</sup> ، نسبة إلى ( بَدْلَيْس ) وهى بلدة من نواحي أرمينية ذات بساتين كثيرة<sup>(٢)</sup> ، كانت لزمن طويل من أهم المدن التجارية .. وهى اليوم مدينة كبيرة يسكنها الأكراد المسلمون والأرمن<sup>(٣)</sup> .

عاش الشيخ عمار ببديلىس وتوفى ودفن بها بعد سنة ٥٩٠ هجرية<sup>(٤)</sup> ، وكان قد تتلمذ فى التصوف على يد الشيخ أبى النجيب السهروردى ، ولبس منه خرقة الصوفية كعلامة على انتظامه فى السلسلة الصوفية الممتدة من السهروردى إلى الجنيد .. وقد لبس نجم الدين الخرقة على يد شيخه عَمَّار للتبرك بها ، كما سيأتى ، فانتظم هو الآخر فى تلك السلسلة .

(١) لم نجد ترجمة وافية مفردة للشيخ عَمَّار البديلىس ، وإنما هناك فقط بعض الإشارات إليه فى : فضل الطريقة لعلاء الدولة السمنانى ، تذكرة المشايخ ، تحفة الررة لمحمد الدين البعدادى ، مرصاد العباد للحسينى ..

انظر Fritz Meier, p - 20

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣٥٨/١ .

(٣) سترك : مادة « بديلىس » بدائرة المعارف الإسلامية ( الترجمة العربية ) ٤٦٠/٣ .

(٤) جاء فى مخطوطة كتاب : « بهجة الطائفة » للبديلىسى ( برلين ٢٨٤٢ ) سماع على المؤلف وإجازة برواية الكتاب ، بتاريخ ٥٩٠ ، وكان السماع وإجازة بخانقاه « النهاية » فى مدينة خلاط ، وهى بلدة أرمينية قرب بديلىس .

وقد أَلَّفَ عَمَّارُ البَدَلِيسِيُّ كَتَابَيْنِ فِي التَّصَوُّفِ ، الأَوَّلُ هُوَ « صَوْمُ القَلْبِ »  
وتوجد منه نسخة في مكتبة برلين ( برقم A ٣١٣٣ ) وقد نقل منها فريتز ماير<sup>(١)</sup>  
الفقرة الآتية :

« .. لهذا قيل : الشيخ في قومه كالنبي في أمته<sup>(٢)</sup> . فجعل لهم في بواطنهم  
وقلوبهم تبصرةً ونورًا ، وبالنور جعل لهم من الهمة جاسوسًا يتجسس في  
القلوب<sup>(٣)</sup> ، فهي ( الهمة ) للقلوب بمثابة المساعي للملوك ، تخبر القلوب<sup>(٤)</sup>  
بخطرات قلوب المريرين . ولها مقام الحراسة والحفظ ، فإلى مَنْ وَجَّهوها ، وبمن  
وَكَلَّوها ، وعلى أى أمر سلَّطوها ؛ أظهرت قوتها وأتمت فعلها وأتقنت حفظها  
وحراستها ؛ لأنها الهمة الفعالة ، خصَّها الله لقلوب الأنبياء والأولياء ، لأجل  
الامتثال والخدمة والسمع والطاعة ؛ فهي في تصرُّف القلب كالمملوك في تصرُّف  
المالك .. فإن قيل : ما الهمة ؟ قيل : سَيَّارُ القَلْبِ ، ومعنى من توابع القلب ،  
فحيث وُجد القَلْبُ وحدث ، وبقدر علوِّ القلب تكون عالية ، وبقدر تصرُّف  
القلب تكون متصرفة » .

وإذا قارنَّا هذه الفقرة بكلام نجم الدين عن « الهمة » في فوائح الجمال ،  
فسوف يرى أثر الشيخ عَمَّارٍ واضحًا في أفكار نجم الدين .. وفي أسلوبه أيضًا  
واختياره لألفاظ معينة مثل لفظة « السيار » التي تتكرر كثيرًا في عبارات  
نجم الدين .

أما الكتاب الآخر للشيخ عَمَّارُ البَدَلِيسِيُّ ، فهو « بهجة الطائفة بالله العارفة »  
وتوجد منه مخطوطة ببرلين ( برقم A ٢٨٤٢ ) وقد نقل منها فريتز ماير<sup>(٥)</sup> النصوص  
الآتية ، التي يمكن من خلالها فهم بعض الجوانب في تصوف الشيخ عَمَّار :

(١) Fritz Meier : Die Fawáih - p 297

(٢) حديث شريف ، أخرجه السيوطي عن الخليلي في مشيخته ( الجامع الصغير ص ١٨٣ ) .

(٣) الإشارة للحديث : اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى نور الله .. ويقال : الصوفية هم جواسيس القلوب !

(٤) يقصد : قلوب الأولياء والمشايخ .

(٥) Fritz Meier : Die Fawáih. p 284 - 286 - 297 - 298 .

« القلب إذا طَهَّرَه الذكر وأخرجه من سجن عبادات صفات النفس ، إلى صفاته الروحانية من صفات عالم الأمر .. صار القلب والملائكة في هذه القاعدة سواء . فانظر إلى صفة عبدِ قلبه بمثابة الملائكة ، كما كان في الأزل قبل مجاورة الأجسام<sup>(١)</sup> ، ما شأنه عند الله ، وما شأن علوِّ حاله في الأحوال .. قال قائل : ما علامة عبدٍ اتصف قلبه بصفة الملائكة ؟ قال : إذا كان قلب العبد مالكا لتصرف مملكة ظاهره وباطنه ، فصورته صورة الآدميين ، وفعله وحركاته وسكناته من فعل الملائكة المقرَّين . قال قائل : كيف يكون مالكا بمصالح باطنه وظاهره ؟ قال : أن يكون عقله أمرا على شهوته ، وعلمه أمرا على جهله ، وشرعه أمرا على طبعه ، وقلبه أمرا على نفسه .. فإذا حصل للعبد هذا ، فهو آدمي الصورة ملكي الصفة رباني الاستغناء ؛ وبهذا صار الإنسان أعلى شأنًا من الملائكة<sup>(٢)</sup> .

والذكر على الحقيقة ، ذكرُ القلب لا ذكر اللسان . وذكرُ القلب - عند النهاية - يقتضى رفع الحجاب . والذكر على الحقيقة ، مَنْ هو مذكور الحق ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾<sup>(٣)</sup> .. أى اذكروني ذكرا يستوجب مني الذكر لكم . ومعنى ذكر الحق للعبد ، نظره إليه وإقباله عليه وقرئته منه ؛ وهذا ذكره في نفسه ، كما قال : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه<sup>(٤)</sup> . ولهذا في الحقيقة شرح يطول .

وذكر القلب نوعان : نوع استغناسٍ ونوع استغراق . فنوع الاستغناس في مقام اللطائف ، ونوع الاستغراق في مقام مشاهدة ذكر الحق إياه<sup>(٥)</sup> .. وقد قال الله تعالى : أنا جليس من ذكرني .

(١) الإشارة إلى عالم الأرواح قبل خلق الأجساد ( عالم الدر ) .

(٢) الإشارة إلى أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ( أصل النوع الإنساني ) .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٥٢ .

(٤) حديث قدسي .

(٥) راجع فصل « في الاستغراقات » في فوائح الجمال .

.. فولَّى له الولاية على نفسه لا على غيره ، وولَّى له الولاية على نفسه وعلى أناس قليل ، وولَّى له الولاية على نفسه وعلى غيره مطلقاً .. فالولَّى المقيد هو الذى وُلِّى ولم يعلم أنه وُلِّى ، حسن الله أخلاقه وأحواله وأقواله ، فالخلق منه فى دَعَةِ وراحة ، وينتفعون منه بشيءٍ من أحواله فى كل حال ، وبشيءٍ من دعواته ؛ لأنه يُستجاب له فى نفسه فى كل حال ، ويُستجاب له فى غيره إلا فى حالٍ دون حال .. والولَّى الذى وُلِّى على نفسه وعلى أناس قليل ، فهو أيضاً مقيد التصرف على بعض دون بعض ، فالخلق ينتفعون به على قدر ولايته وتصرفه .. والولى الذى له التصرف على نفسه وعلى غيره ؛ هو الذى أُطلق تصرفه .. والولى الذى له التصرف على نفسه وعلى غيره ؛ هو الذى أُطلق تصرفه ، وهذا وُلِّى مطلق ، وتصرفه مُطلق ، وكل مَنْ وصل إليه ظهرت بركة تصرفه عليه ؛ فهو غياث الخلق»<sup>(١)</sup> .

ومن جملة هذه النصوص تتضح طبيعة تصوف الشيخ عَمَّار ، فهو تصوفٌ يهتم بالجانب العملى المتمثل فى الذكر ومقاومة رغبات النفس ، ويعوّل على الشريعة ويحرص على إيراد أصول أفكاره من الآيات القرآنية والأحاديث القدسية والنبوية ، وهو أخيراً تصوفٌ عميق النظرة للولاية والأولياء . وكلها خصائص تظهر أيضاً فى تصوف نجم الدين كبرى ، ولذا نقول إن أثر الشيخ عَمَّار كان الأقوى فى العالم الصوفى لنجم الدين .

والآن ، نتوقف عند الشيخ إسماعيل القصرى :

### القصرى :

هو آخر شيوخ نجم الدين بحسب ترتيب العبارة « أخذت علم الطريقة عن روزبهان ، والعشق عن ابن العصر ، والخلوة والعزلة عن عمار ، والخرقه عن إسماعيل القصرى » ومع ذلك ، فهو أول مشايخ نجم الدين فى الطريق ، وفى الترتيب الزمنى لصحبته المشايخ .. وهو أيضاً شيخه المباشر فى السلسلة .

(١) من هذا المقام قال عبد القادر الجيلانى : قدمى على عنق كل وُلِّى لله . وقال : أنا المحظوظ ، أنا الملاحظ ، أنا المتصرف فى غيرى .. ( راجع كتابنا : عبد القادر الجيلانى ، باز الله الأشهب ) .

والقصرى نسبةً إلى « قصر رُوناش » وهو كما يقول ياقوت : من كور الأهواز ، وهو الموضع المعروف بِدِزْبُهْل ومعناه « قلعة القنطرة » يُنسب إليه جماعة وافرة ، منهم : أبو إبراهيم إسماعيل بن الحسن بن عبد الله القصرى ، أحد العباد المجتهدين ، قُرئ عليه في سنة ٥٥٧<sup>(١)</sup> .

وقد سلك القصرى طريق الصوفية على يد الشيخ محمد بن مالكي ( مانكيل ) ولبس منه الخرقة ، ثم استقر في خانقاه بناها في دِزْبُهْل ( دزبولى ) بالأهواز . وفي هذه الخانقاه ، كانت صحبة نجم الدين للشيخ القصرى ، وكان تلقّيه خرقة الصوفية ؛ يقول السمنانى : وقد لبس الشيخ أبو الجناح نجم الدين الكبرى خرقة الأصل من شيخ الورى إسماعيل القصرى في خانقاهه بدزبولى خوزستان<sup>(٢)</sup> .. ومعنى هذا أن نجم الدين قد لبس الخرقة مرتين ، وانضم بالتالى لاثنتين من السلاسل الصوفية على النحو التالى :

السلسلة الأولى : « نسبة الخرقة فيها متصلة بالنبي ﷺ ، ألبسها على بن أبى طالب ، فألبسها الحسن البصرى وكميل بن زياد ، وألبسها كميل عبد الواحد بن زيد ، وهذا ألبسها أبا يعقوب النهرجورى ، فعمرو بن عثمان المكى ، فأبا يعقوب الطبرى ، فأبا القاسم بن رمضان بن إدريس ، فداود الخادم ، فمحمد بن مالكي ، فالشيخ إسماعيل القصرى ، فالشيخ نجم الدين الكبرى » وقد ذكرها الحاج معصوم على ، على هذا النحو<sup>(٣)</sup> .

(١) ياقوت : معجم البلدان ٣٥٧/٤ وبخصوص ترجمة القصرى ، راجع : فضل الطريقة للسمنانى ص ١٠٠ ، تذكرة المشايخ ص ٢٣٤ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٣٣ ، مرآة الجنان لليافعى ٤٠/٤ ، الرسالة الفتوية للحمداى ( مخطوط آياصوفيا رقم ٢٨٧٣ ) طرائق الحقائق لمعصوم على ٥٠/٢ ، نفحات الأنس لعبد الرحمن حامى .. (Fritz Meier. p. 17) .

(٢) السمنانى : فضل الطريقة ص ١٠٠ .

(٣) معصوم على : طرائق الحقائق ( بالفارسية ) ٣٩/٢ - نقلاً عن التسيبى : الصلة ص ٤٤٠ .



السلسلة الثانية ؛ وتمتد على النحو التالى : « من أبى القاسم الجنيد ، إلى ممشاد الدينورى ، إلى أحمد بن سياه ، إلى فرج الزنجاني ، إلى محمد بن عمويه ، إلى عبد الله البكرى ، إلى أبى النجيب السهروردى ، إلى عمار بن ياسر ، إلى نجم الدين كبرى » وقد ذكرها السنوسى على هذا النحو<sup>(١)</sup> .

وقد أشار ابن العماد للسلسلتين إجمالاً حين قال عن نجم الدين إنه : « رحل الأقطار راكباً وماشياً ، وأدرك عن المشايخ ما لا يحصى كثرةً ، ولبس خرقة التصوف النهرجورية من الشيخ إسماعيل القصرى ، والسهروردية للتبرك من الشيخ أبى ناصر عمار بن ياسر<sup>(٢)</sup> ..

وهكذا اتصلت السلسلتان عند نجم الدين كبرى ، الذى يعد من الوجهة الصوفية « ملتقى بحرين » وسوف تُسند إليه بعد ذلك سلسلة خاصة به ، ستعرف باسم « السلسلة الذهبية الكبروية » .. وقد كان من الممكن أن يكتفى نجم الدين بلبس الخرقة على يد القصرى ، لكنه أراد - كما تقول مصادر حياته - أن يلبسها أيضاً من شيخه عَمَّار ، للتبرُّك بها ؛ ولكن تظل الخرقة الأصلية هى خرقة إسماعيل القصرى ، وهى التى نعتقد أنه لبسها يوم استشهاده .

\* \* \*

وقد عاش الشيخ نجم الدين فى مرحلة خصبة من تاريخ الإسلام ( ٥٤٠ : ٦١٨ هجرية ) وطاف بديار المسلمين شرقاً وغرباً ، مما يعنى أنه عاصر مَنْ لا حصر لهم من أعلام الرجال فى كل الفنون والمعارف .. علوم الدين واللغة والتصوف والطب والفلك والمنطق والفلسفة ، وغيرها .

ولا شك فى أن الشيخ نجم الدين قد عرف فى تطوافه العديد من هؤلاء الأعلام ، فاستفاد منهم بشكل مباشر أو غير مباشر ؛ فلما ارتقى هو فى سلم الولاية

(١) محمد على السنوسى : السلسيل المعين فى الطرائق الأربعين ( مخطوطة مكتبة بلدية الإسكندرية رقم

٣٨٠٣ / ح تصوف ) ورقة ٣٥ ب .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٧٦/٥ .

واستكمل علومه الدينية ، صار مفيداً لأهل زمانه الذين قصدوه لينهلوا من علمه ويتبركوا ببقائه .. إذ كان : « شيخ تلك الناحية - خوارزم - وكان صاحب حديث وسنة ، ملجأً للغرباء ، عظيم الجاه »<sup>(١)</sup> ..

وكانت لنجم الدين لقاءات ووقائع مع بعض معاصريه ، أمثال الحافظ عبد العزيز بن الحسين بن هلاله ( توفي ٦١٧ هجرية )<sup>(٢)</sup> وهو من كبار علماء الحديث في عصره ؛ يقول ابن هلاله : جلستُ عند الشيخ نجم الدين في الخلوة مراراً ، وشاهدتُ أموراً عجيبة ، وسمعتُ مَنْ يخاطبني بأشياء حسنة<sup>(٣)</sup> ..  
أما أشهر معاصري الشيخ نجم الدين ، وصاحب الواقعة المشهورة معه ؛ فهو الإمام فخر الدين الرازي .

### الرازي :

هو الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ، الملقب بابن خطيب الري ، وُلد سنة ٥٤٢ هـ وتوفي سنة ٦٠٦ هجرية ؛ وقد ترك الرازي أكثر من مائة كتاب في شتى المعارف ، أشهرها تفسيره الكبير « مفاتيح الغيب » الذي فسّر فيه الفاتحة وحدها في مجلد ضخّم .. وقد بلغ الرازي درجة جعلت البعض يعتبره مجدد الإسلام في المائة السادسة<sup>(٤)</sup> ، وكان يأمر الملوك فيأتمرون ويعتفهم فيقبلون منه ذلك ، ويطلب منهم الحجىء إلى حلقة درسه فيمثلون<sup>(٥)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ١١٢/٢٢ - طقات الشافعية الكبرى ١١/٥ - الوافي بالوفيات ٢٦٣/٧ - شذرات الذهب ٨٠/٥ .

(٢) من العماد : شذرات الذهب ٧٨/٥

(٣) وردت هذه العبارة في معظم المصادر الخاصة بتحم الدين . ويعلق الذهبي عليها بقوله : لا وجود لمن حافظت في حنوتك مع جوعك المرط ، بل هو سماع كلام في الدماغ الذي قد طاش وفاش وبقي قرعه كما يه للمرسى والمعمور بالحصى والحجون ، فاحزم بهذا واعبد الله بالسس الثابتة تفلح ! ( سير أعلام النبلاء ١١٢/٢٦ ) وهذا التفسير المعنى للأحوال الصوفية سوف يكون من أشهر وجوه النقد للمتصوفة حتى يوم .

(٤) استناداً لحديث : بعث الله هذه الأمة في كل مائة سنة من يمدد لها دينها .

(٥) ظهر ترجمة الرازي في : روضات الحيات ١٩٠/٤ - الوافي بالوفيات ٢٤٨/٤ - نزهة =

وفي أواخر القرن السادس الهجري ، كان الشيخ نجم الدين قد عاد إلى بلاده ، واستوطن خوارزم ملقياً عصا الترحال زهداً في الدنيا مريباً للمريدين . وفي تلك الفترة ، زار فخر الدين الرازي خوارزم وهو في أهبّة لا مثيل لها ؛ يقول الخوانساري : « ومن جملة ما يشهد بثروته العظيمة ، ما نقله المحدث النيسابوري عن بعض كتب المعتزلة ، أنه لما توجه فخر الدين الرازي من مملكة خوارزم إلى خطة خراسان ، كان له ألف بغل ؛ ولا حصر لما كان عنده من الذهب والفضة ، ولما وصلت مقدمة حاشيته إلى خراسان ، كانت ساقيتها في خوارزم »<sup>(١)</sup> ..

وفي رحلة الرازي الخوارزمية هذه ، التقى فخر الدين الرازي بالشيخ نجم الدين الكبرى .. يقول طاشكبرى زاده :

« سمعتُ رجلاً ثقة عالمًا عابداً زاهداً عارفاً صادقاً ، أنه حكى أن الإمام ( الرازي ) لما دخل هُراة<sup>(٢)</sup> أتاه مَنْ بها من العلماء والصلحاء والسلاطين والأمراء . وسأل يوماً : هل بقي أحد تخلف عن زيارتنا ؟ فقال أصحابه : نعم ، بقي رجلٌ صالح منقطعٌ في زاوية . قال الإمام : أنا رجل واجب التعظيم ، وأنا إمام المسلمين ، فلم لم يزرني ؟ فقالوا لذلك الرجل كلام الإمام ، فما تكلم بشيء أصلاً . ووقع الخلاف بينهما ؛ فصنع أهل البلدة طعاماً ،

= الأرواح للشهرزوري ص ٣٩٢ - الكامل في التاريخ ١٢/١٢٠ - مرآة الزمان ٨/٥٤٢ - عقود الحمان لابن الشعار ( مخطوط ) ذيل الروضتين ص ٦٨ - عيون الأنبياء ص ٤٦٢ - وفيات الأعيان ٤/٢٤٨ - تاريخ الإسلام ١٨/١/٢٣٢ - سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠٠ - طبقات الشافعية الكبرى ٥/٣٣ - البداية والنهاية ١٣/٥٥ - لسان الميزان ٤/٤٢٦ - النجوم الزاهرة ٦/١٩٧ - شذرات الذهب ٥/٢١ .. وهناك العديد من الدراسات المعاصرة حول الرازي ، منها : الرازي مفسراً للدكتور محسن عبد الحميد - فلاسفة الإسلام ( ابن سينا ، الغزالي ، الرازي ) للدكتور فتح الله حليف .

(١) الخوانساري : روضات الجنات ٨/٤٢ .

(٢) هراة بلدة في خراسان .

فدعوهما ، فأجابا الدعوة . واجتمعا في حديقة ، فسأله الإمام عن سبب تخلفه عن إتيانه فقال : أنا رجل فقير لا شرف في زيارتي ، ولا نقص في تخلفي عنها . قال الإمام : هذا هو جواب أهل الأدب ( يعنى الصوفية ) فقل لى حقيقة الحال . فقال ذلك الرجل : لأى شىء وجبت زيارتك ؟ قال : أنا إمام المسلمين ، وواجب التعظيم . قال : إن افتخارك هو بالعلم ، ورأس العلم معرفة الله تعالى ، فكيف عرفته تعالى ؟ قال : بمائة برهان . قال الرجل : البرهان لإزالة الشك ، والله تعالى جعل فى قلبى نوراً لا يدخل معه الشك ، فضلاً عن الحاجة إلى البرهان .

فأثر هذا الكلام فى قلب الإمام ، فتاب فى ذلك المجلس على يديه ، ودخل الخلوة ، وفُتح له ما فُتح ، وبعدها خرج عنها صنّف التفسير الكبير .. وقال الناقل لهذه الحكاية : وكان ذلك الشيخ ، أبو الجناب نجم الدين الكبرى ، قدّس الله سرّه<sup>(١)</sup> .

وقد روى الذهبى قصة هذا اللقاء ، فقال :

وقد ذهب إليه فخر الدين الرازى صاحب التصانيف ، وناظر بين يديه فقيهاً فى معرفة الله تعالى وتوحيده ، فأطالا الجدل . ثم سألا الشيخ نجم الدين عن علم المعرفة ، فقال : واردات تردّ على النفوس ، تعجز النفوس عن رَدّها . فسأله الإمام الرازى : كيف الوصول إلى إدراك ذلك ؟ قال : بترك ما أنت فيه من الرياسة

(١) طاشكبرى رادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ( حيدر آباد ١٣٢٩هـ ) ٤٥٠/١ .

والحظوظ .. فقال الرازى : هذا ما أقدر عليه .  
وانصرف . وأما رفيقه فإنه تزهد وتجرّد وصحب  
الشيخ<sup>(١)</sup> .

وقصة اللقاء كما يرويها طاشكبرى زاده أكثر حرارةً ومراعاةً لحسن الخاتمة ،  
لكن رواية الذهبى أكثر معقولة وقبولاً . وربما كان الجزء الأخير فقط فى رواية  
طاشكبرى زاده هو المصنوع ، أما الحوار الوارد فى الجزء الأول فهو يتلاءم ويتوافق  
مع ما رواه الذهبى .. ومن وجوه الضعف فى رواية طاشكبرى زاده ، قوله إن  
اللقاء كان ببلدة ( هُراة ) والراجح - لأسباب عديدة - أنه كان بإحدى بلاد  
خوارزم ، كما أن دخول الرازى للخلوة أمر مستبعد ، وتأليفه « مفاتيح الغيب »  
بعد خروجه أمر أبعد ، لأن تفسير الرازى ملئ بروح التحدى<sup>(٢)</sup> التى تجافى روح  
المتصوفة ، وتفسيره أبعد ما يكون عن التفاسير الصوفية . ومع ذلك ، فرواية  
طاشكبرى زاده أهون مما رواه الشعرانى عن لقاء الرجلين !

لقد أجمع المؤرخون على أن الرازى التقى بالشيخ نجم الدين ، لكن اللقاء لم  
يسفر عن توبة الرازى ودخوله طريق الصوفية . بل على العكس ، ثار خلاف  
شديد ، انتهى بفاجعة ، بين الرازى وتلميذ نجم الدين : مجد الدين البغدادى .

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١١٢/٢٢ .. وأيضاً : طبقات الشافعية ١١/٥ ، الوافى ٢٦٣/٧ .

(٢) انظر ؛ فلاسفة الإسلام للدكتور فتح الله خليف ( دار الجامعات المصرية ١٩٧٩ ) ص ٣٢٩ .

## الفصل الثالث

# تلاميذه وطريقته

### صانع الأولياء :

مرّ علينا - في الفصل الأول - أن الشيخ نجم الدين عُرف بلقب : صانع الأولياء ( ولى تراش ) لكثرة من تخرجوا على يديه من أهل الولاية . لكن بعض المؤرخين يتوسّع في هذا الباب ، فنجد إشارة جزافية مثل « وقد تخرج على يديه معظم الأولياء » وهي مسألة ينبغي أخذها بشيء من الحذر ! صحيح أن الشيخ نجم الدين كان أوحده وقتة علماً وحالاً ، فلا نجد في زمنه من يدانيه في الجانب الشرقي من العالم الإسلامي .. ومع ذلك ، فالجانب الغربي الممتد من بغداد حتى المغرب الأقصى ، كان يزخر بالولاية والأولياء آنذاك ؛ ولذا ينبغي وضع تلك الإشارة الجزافية في سياقها التاريخي والجغرافي .

ومما يستوقف النظر ، أيضاً ، في هذا الباب . أن بعض المؤرخين يضع العديد من مشاهير رجال التصوف ضمن دائرة مريدى الشيخ ؛ فمن ذلك ما نراه عند الخوانسارى الذى يذكر ضمن مريدى نجم الدين : فريد الدين العطار ، جلال الدين الرومى ، شهاب الدين السهروردى<sup>(١)</sup> .

وفيما يخص العطار ، اعتمد الخوانسارى - وغيره - على فقرة من كتاب « مظهر الصفات » وفيها يقول العطار : ذهبت مع والدى في أيام الطفولية إلى الشيخ نجم الدين الكبرى ، فلقننى أولاً أسماء الأئمة ، ثم الذكر .. إلخ<sup>(٢)</sup> وهي عبارة سجّلنا عليها بعض الملاحظات عند الكلام عن مذهب الشيخ نجم الدين ، ونضيف إليها ما يلى :

(١) الخوانسارى : روضات الجنات ١/٢٩٧ .

(٢) المرجع السابق ٨/٦٥ .

أولاً : ولد فريد الدين العطار ما بين عامي ٥٤٥ ، ٥٥٠ هجرية . وقد رجع نجم الدين كبرى إلى خوارزم وتولى تسليك المريدين بعد سنة ٥٨٠ هجرية ، مما يعنى أن العطار كان قد شَبَّ عن أيام الطفولية المشار إليها .

ثانياً : إن كتاب « مظهر الصفات » ويسمى أيضاً « مظهر العجائب » هو كتابٌ مدسوسٌ على العطار ، وقد قطع الدارسون بعدم نسبته إليه<sup>(١)</sup> .

وهكذا يتضح فساد الرأى القائل بتلمذة العطار للشيخ نجم الدين ، وإن كان ذلك لا يعنى أن العطار لم يسمع بنجم الدين ، فالثابت أنه عرفه وأشار إليه في بعض أبياته ( توفى العطار سنة ٦٢٧ هجرية ) وهى إشارة استخدم فيها العطار الفعل الماضى ، مما يفيد بأن الأبيات قيلت بعد وفات نجم الدين بعدة سنوات<sup>(٢)</sup> .

وبخصوص مولانا جلال الدين الرومى ( صاحب المثنوى ) فقد ولد هذا الشاعر العظيم سنة ٦٠٤ هجرية ، وتوفى ٦٧٢ هجرية .. ولم يدخل الرومى طريق الصوفية إلا سنة ٦٤٢ هجرية - بعد وفاة نجم الدين بزمان طويل - وذلك بعد لقاء الرومى بالشيخ شمس الدين التبريزى الذى أخرجه من عالم الفقه إلى عالم التصوف<sup>(٣)</sup> .

والخلط الذى وقع فيه الخوانسارى ، راجع إلى أن « بهاء الدين ولد » الذى هو « والد » جلال الدين الرومى ، كان من تلاميذ الشيخ نجم الدين .. ومن هنا انتسب جلال الدين للكبروية ، لكنه لم يكن من تلاميذ نجم الدين أو مريديه المباشرين كما ذكر الخوانسارى .

أما الخلط الأشد الذى وقع فيه الخوانسارى ، فهو قوله بأن شهاب الدين

(١) انظر الدراسة التى قام بها الدكتور بديع جمعة فى مقدمة ترجمته لمنطق الطير لفريد الدين العطار ( دار الأندلس - بيروت ١٩٨٤ ) ص ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢ .

(٣) راجع قصة هذا اللقاء العارم بين الرومى والتبريزى ، فى مقدمة الترجمة التى قام بها الدكتور محمد عبد السلام كفاى لديوان : المثنوى ( المكتبة العصرية - بيروت ) ٤/١ وما بعدها .

السهروردي ( المقتول سنة ٥٨٧ هجرية ) كان من مريدي نجم الدين ! وهو قول لا تؤيده أية شواهد في ترجمات السهروردي الكثيرة ، بما فيها أشهر ترجمة له ، أعنى تلك التي وضعها تلميذه شمس الدين الشهرزوري<sup>(١)</sup> . ولقد ترك السهروردي بلاد فارس وجاء إلى الشام - وقُتل بها - في الوقت الذي ارتحل فيه الشيخ نجم الدين إلى خوارزم - وأقام بها - فلم يلتقيا . بل وروى عن شهاب الدين السهروردي عبارة مشهورة قبل وفاته ببضعة أعوام ، يقول فيها « هو ذا سنى قد بلغ إلى قرب ثلاثين سنة ، وأكثر عمري في الأسفار والاستخبار والتفحص عن مشارك مطَّلَع على العلوم ، ولم أجد من عنده خبرٌ عن العلوم الشريفة ، ولا مَنْ يُؤمن بها » وهي عبارة أوردتها معظم الذين ترجموا للسهروردي ، وهي تفيد بأنه لم يلتق بشيخ أقنعه ! فكيف يتفق ذلك مع الزعم بأنه كان مريدًا لنجم الدين ؟

والآن .. لنترك تلك المناقشة ، ونحدث عن أولئك ( الأولياء ) الذين تتلمذوا بالفعل على الشيخ نجم الدين ، وسلكوا الطريق على يديه . ولنقتصر - لكثرتهم - على المشاهير منهم .

### الباخرزي :

هو ، كما يقول الذهبي<sup>(٢)</sup> : الإمام القدوة ، شيخ خراسان ، سيف الدين أبو المعالي سعيد بن المُطَهَّر بن سعيد بن علي القائدي الباخري نزيل بخارى ، كان إمامًا محدِّثًا ورعًا .. صحب الشيخ نجم الدين الكبري ، وروى عنه الحديث وليس منه الخرقه<sup>(٣)</sup> .

والباخرزي نسبةً إلى « باخرز » وهي بلدة من نواحي نيسابور ، يقول ياقوت : أصلها « باه هرزه » لأنها مهب الريح ، باللغة البهلوية ، خرج منها جماعة

(١) الشهرزوري : تاريخ الحكماء = نزهة الأرواح وروضة الأفراح ، تحقيق د. عبد الكريم أبو شويرب ( جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - ليبيا ١٩٨٨ ) ص ٣٧٥ وما بعدها .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٦٣/٢٣ .



كثيرة من أهل الأدب والفكر والشعر<sup>(١)</sup> .. وقد توفي الباخري سنة ٦٥٩ هجرية ، وفقاً لما ذكره الصفدي<sup>(٢)</sup> والذهبي<sup>(٣)</sup> وابن العماد<sup>(٤)</sup> . أما بروكلمان ، فقد شَطَّ بعيداً حين ذكر أن وفاته كانت سنة ٦٩٤ هجرية<sup>(٥)</sup> ، دون ذكر للمصدر الذي اعتمد عليه في تحديد هذا التاريخ البعيد عن الصواب !

وقد أطلال الذهبي - علي غير عادته - في ترجمة سيف الدين الباخري ، فكان مما قاله : « وُلد بباخرز ، وهي ولاية بين نيسابور وهُراة ، وصحب نجم الكبرى ، وبهاء الدين السلامي ، وتاج الدين محمود الأشنهي ، وسعد الدين الصرام الهروي .. وحجَّ في صباه ، ثم دخل بغداد وقرأ على السهروردي - يقصد أبا النجيب - ثم قدم خوارزم . ولما خَرَّب التتار بخارى ، أمر نجم الدين الكبرى أصحابه بالخروج من خوارزم . وقال للباخري : « اذهب إلى ما وراء النهر » وفي تلك الأيام هرب خوارزمشاه ، فقدم سيف الدين الباخري إلى بخارى وقد احترقت ، وما بها موضع ينزل به ، فتكلم بها ، وتجمع الناس إليه »<sup>(٦)</sup> .

وهكذا كان الباخري إحدى النوى التي بذرها الشيخ نجم الدين في الأرض الخراب التي مَرَّ عليها التتار ، انتظاراً للزمن الذي تعود فيه الحياة لسابق عهدها .. وهو ما كان بالفعل .

ويحكى الذهبي : ولما جاء محمود يلواج إلى بخارى ، أخذ يعدُّ الناس ويأخذ من الرأس ديناراً ، والعشر من التجارة ؛ فدخل على سيف الدين فرأى وجهه يشرق كالقمر ، وكان الشيخ جميلاً بحيث إن نجم الدين الكبرى أمره لما أتاه أن

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١/٣١٦ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ١٥/٢٦٢ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٦٨ .

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ٥/٢٩٨ .

(٥) Brockelmann : Cesch. I, p. 810.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٦٤ - والنص نقله الذهبي عن ابن الفوطي الذي يقول « قرأت في سيرة الباخري لشيخنا مناهج الدين النسفي .. » مما يعني أن هناك ترجمات مفردة للباخري ، وذلك يشهد بمكانته المميزة .

يتنقّب لثلاث يفتتن به الناس ! فأحبّ يلواج الشيخ ، ووضع بين يديه ألف دينار ، فما التفت إليها .. وكان بايقوا ( قائد مغولي ) ظالمًا غاشمًا سفَّاكًا ، قتل أهل ترمذ حتى الدواب والطيور والتحق به كل مفسد ، فشغبوه على الباخريزي ، فطلبه إلى سمرقند مقيّدًا ؛ فقال الباخريزي « إني سأرى بعد هذا الدلّ عِزًّا » فلما قرب من سمرقند مات بايقوا ، فأطلقوا الشيخ وأسلم على يديه جماعة ( من التتار ) وعُرف الشيخ بين التتار بألغ شيخ ، يعنى الشيخ الكبير ، وبذلك كان يعرفه هولاكو . وقد بعث بركة بن توشى بن جنكز خان إليه رسولاً ليأخذ له العهد بالإسلام ( وسوف يساعد بركة هذا المسلمين ضد هولاكو ابن عمه ) وكان لبركة أخ أصغر منه اسمه « باتوا » وكان مع كفره يحبُّ الشيخ ، فلما عرف أن أخاه بركة قد صار مريدًا للشيخ ، فرح واستأذنه في زيارة الشيخ ، فأذن له ، فسار من بلغار إلى خند ثم إلى أترار ، ثم أتى بخارى ، فجاء بعد العشاء في الثلوج فما استأذن إلى بُكرة . يقول الذهبى : فحكى لى مَنْ لا يُشك في قوله أن بركة خان قام تلك الليلة على الباب حتى أصبح ، وكان يصلى في أثناء ذلك ، ثم دخل فقبّل رجل الشيخ ، وصلى تحية البقعة ؛ فأعجب الشيخ ذلك .. وأسلم جماعة من أمراء بركة خان ( المغوليين ) وأخذ الشيخ عليهم العهد ، وكتب له الأوراد والدعوات ، وأمره بالرجوع ، وكان عنده ستون زوجة فأمره باتخاذ أربع وفراق الباقيات ففعل ، ورجع وأظهر شعار ملة الإسلام ، وأسلم معه جماعة ( من التتار ) وأخذوا في تعلّم الفرض ، وارتحل إليه الأئمة .. ثم كانت بينه وبين ابن عمه هولاكو حروب ، ومات بركة خان في ربيع الآخر سنة خمس وستين - وستائة - وكانت خيراته متواصلة إلى أكثر العلماء<sup>(١)</sup> .

وهكذا هدى الله ، بلطفه الخفى ، حكام المغول (التتار) إلى الإسلام، على يد الباخريزي تلميذ نجم الدين الكبري، الذى ضرب أستاذه أروع الأمثلة في التضحية بالنفس وهو يجاهد في سبيل الله بالرمح والحجر - وكان الجد الأول لأطفال الحجارة في الانتفاضة الفلسطينية المعاصرة - ولقد استفرز إسلام بركة خان حفيظة

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٦٦ .

هولاكو ، وحينما حاول هولاكو أن يفرض سلطانه على الجانب الشمالى لجبال القوقاز ، أنزل « نوغاى » حفيد أخى بركة ، الهزيمة الساحقة بجيوش هولاكو<sup>(١)</sup> .. وقد حدث التقارب بين بيبرس - بطل عين جالوت - وبين بركة خان ؛ يقول المؤرخون المعاصرون : والمعروف أن بركة كان يميل إلى نصرة المسلمين ، بل إنه وجّه اللوم إلى هولاكو لما أقدم عليه من نهب المدن الإسلامية وتخريبها ، ومن اغتيال الخليفة ببغداد ، ودعا الله أن يعينه على الانتقام لهذه الدماء البريئة<sup>(٢)</sup> .

ونعود لسيرة الباخرزى ، حيث يقصُّ علينا الذهبى : وكان الخليفة المستعصم يهدى من بغداد إلى الباخرزى التحف ، من ذلك مُصحفٌ بخط الإمام علىّ رضى الله عنه . وكان مظفر الدين حاكم شيراز يهدى إلى الشيخ فى السنة ألف دينار ، وأهدت له « ملكة » بنت « أذربك » حاكم أذربيجان سِنَّ النَّبِيِّ ﷺ الذى كُسر يوم أحد ، وكان « منكوقان » الحاكم المغولى يبعث إليه بأموال كثيرة ، وكذلك وزيره محمود يلواج الذى كان إذا جاء إلى الباخرزى يقبّل العتبة ويقف حتى يأذن الشيخ له بالدخول ، ويقول : إن أبى فعل ذلك ، وإن للشيخ الباخرزى هبة فى قلوب ملوكنا ( المغول ) حتى لو أمرهم بقتلى لما توقفوا .. وكان الباخرزى يمنع التتار من قصد العراق ، ويفخّم لهم أمر الخليفة . ومات الشيخ سيف الدين الباخرزى فى العشرين من ذى القعدة ، سنة ٦٥٩ هجرية ، فأعتق له أربعمائة مملوك ، وأوصى أن يكفّن فى خرقة شيخه نجم الدين الكبرى<sup>(٣)</sup> .

وأشهر مؤلفات الباخرزى الصوفية ، وربما مؤلفه الوحيد ، هو كتاب « وقائع الخلوة » الذى ذكر فيه ما كان يعاينه فى الخلوات التى أدخله إليها شيخه نجم الدين .. والكتاب مخطوط ، توجد منه نسخة خطية بمكتبة ليدن برقم ٢٢٥٢ ، ونسخة أخرى فى بانكيبور برقم ١/٥٦<sup>(٤)</sup> .

(١) العرينى : المغول ص ٢٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٧ .

(٣) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٦٨ .

(٤) Brockelmann : Gesch. I, p. 810 .

## مجد الدين البغدادي :

هو الشيخ مجد الدين شرف بن مؤيد بن أبي الفتح البغدادي . يقول علاء الدولة السمناني : اتفقت ولادة الشيخ مجد الدين في الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥٥٦ (هجريّة) واستشهد بخوارزم ليلة الاثنين التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست عشرة وستائة ، رضي الله عنه<sup>(١)</sup> .. ويقول عبد الرحمن جامي : كان تلميذاً للشيخ نجم الدين فظلاً يأخذ عنه إلى أن دخل في روعه أنه قد تفوّق على شيخه ، فقال « كنا بيضاً على ساحل البحر ، فضمّنا الشيخ نجم الدين تحت جناحيه ، وما زال يحمينا حتى أفرخنا ، فلما صرنا بطيطات قفزنا إلى البحر ، وبقي الشيخ على الشاطئ ! » فدعى عليه الشيخ نجم الدين أن يموت غرقاً في البحر الذي قفز إليه ، وقد كان ، فإن ملك خوارزم سَكَرَ ، فأمر بإغراقه<sup>(٢)</sup> .. فألقى به في نهر جيحون<sup>(٣)</sup> .

ويلقى لنا الخوانساري بعض الضوء على واقعة موت مجد الدين البغدادي ، فيذكر أثناء ترجمته لفخر الدين الرازي ؛ ما نصه : « وكانت بين الرازي وبين الشيخ مجد الدين البغدادي الواعظ المشتهر في ذلك الزمان مشاحنات شديدة ومباعدات مديدة ، بحيث انجر الأمر بينهما إلى أن صدر أمر السلطان بإغراق ذلك الرجل في الماء ، بعد أن سعى بعض تلامذة الإمام فخر الدين الرازي عنده في ذلك<sup>(٤)</sup> .. ويرى الدكتور / فتح الله خليف في دراسته عن الرازي ، أن الإمام فخر الدين كان فيه من غلظ القلب ما جعله يطلب من خوارزمشاه أن يعتقل أخاه ركن الدين الرازي - وكان كثير الغيرة والحسد والتشنيع على فخر الدين - فاعتقله السلطان في إحدى القلاع إلى أن مات في معتقله ! ويعقب الدكتور خليف على ذلك بقوله : ولا شك أن سلوك فخر الدين الرازي تجاه أخيه يدل على غلظ في القلب

(١) السمناني : فضل الطريق ص ١٠١ ( نقلاً عن ؛ Fritz Meier : Die Fawah. P 40 )

(٢) د. الحفنى : الموسوعة الصوفية ص ٣٣٨ .

(٣) د. قاسم غنى : تاريخ التصوف ص ٧٥٧ - وقد نقل الحفنى وقاسم غنى عن ( نفعات الأوس ) لعبد الرحمن جامي .

(٤) الخوانساري : روضات الجنات ٥٧/٨

وجحد لروابط الدم والأسرة ، فإن كان الرازي قد لجأ إلى السلطان في تنحية شقيقه عن طريقه على هذا النحو ، فنحن لا نستبعد تأمر الرازي وسعيه لدى السلطان لقتل الشيخ مجد الدين البغدادي<sup>(١)</sup> .

ونعتقد من جانبنا أن الخلاف بين الرازي ومجد الدين البغدادي لم يكن هو السبب المباشر والوحيد لتلك النهاية المحزنة التي لقيها مجد الدين ، فإن كنا لا ننكر الخلاف بين الرجلين ، ولا نستبعد تأمر الرازي عند السلطان لقتله .. إلا أن الرازي توفي سنة ٦٠٦ هجرية أى قبل مقتل نجم الدين بعشرة أعوام كاملة ، ولا نظن أن تأثير « تلامذة الرازي » كان من القوة بحيث ينصاع له السلطان . ومن هنا نرى أن السبب الأقرب هو أن مجد الدين البغدادي - وكان واعظاً - لم يكن على وفاق مع السلطان خوارزمشاه ، ذلك الحاكم الأحمق الذي أرسل جيشاً للاستيلاء على بغداد ففشل ، وقتل القافلة التي أرسلها هولاء للتجارة<sup>(٢)</sup> فنجح في إشعال فتنة التتار . فالراجح أن مجد الدين البغدادي كان معارضاً لتلك السياسة الهوجاء التي ينتهجها خوارزمشاه ، فلما جهر بمعارضته على منبر الوعظ ، أوغل صدر السلطان ضده فأمر بإغراقه في لحظة سُكر ، أو لحظة استماع لوشايات تلامذة الرازي .

ويرى المؤرخون أن مقتل مجد الدين البغدادي على هذا النحو كان من أسباب الهزائم المتلاحقة التي لقيها خوارزمشاه على يد التتار ، وفشله في مَدِّ سلطانه إلى عاصمة الخلافة وخلع الخليفة الناصر .. يقول الدكتور العرينى : « على أن الانقسام في أسرة السلطان خوارزمشاه ، كان مصدره ما ساد من أحقاد وعداوات مريرة بين أفراد الأسرة ، وكان خوارزمشاه يحرص على أن يستجيب لرغبات أمه .. يضاف لذلك أن ما أقدم عليه السلطان خوارزمشاه من قتل مجد الدين البغدادي ، من كبار المتصوفة وقتذاك ، أغضب رجال الدين الذين كان في أشد الحاجة لمساندتهم<sup>(٣)</sup> » .

(١) د. فتح الله خليف : فلاسفة الإسلام ص ٢٨٣ .

(٢) كان أفراد هذه القافلة ، وعددهم ٥٠٠ رجل وثلاثة مبعوثون ، كلهم من المسلمين ؛ وهذا يعنى أن الذى

بدأ بقتل المسلمين كان خوارزمشاه وليس هولاء !

(٣) د. السيد الباز العرينى : المغول ص ١١٦ .

وقد تألم الشيخ نجم الدين الكبرى للمصير الذى لقيه تلميذه مجد الدين البغدادى ، فدعا على خوارزمشاه .. ولما حاول الأخير أن يسترضيه ، قال له « ذلك مكتوب ولا مهرب منه ، ستموت وأموت معك ، ومعنا خلق كثير » وقد مرَّ علينا ما ذكره ابن الأثير فى كتابه ( الكامل ) من أن التتار قتلوا كل من كان بخوارزم ، حتى الأطفال والطيور والبهائم .

ولمجد الدين البغدادى مجموعة من المؤلفات الصوفية ، منها « رسالة سفر » و « رسالة السلوك » وتوجد منها اليوم نسخة مخطوطة ضمن المجموعة الخطية رقم ٥٩٨ بمجلس شورى ملنى بطهران<sup>(١)</sup> . وأشهر أعماله كتاب « تحفة البررة فى المسائل العشرة » وقد ذكر له بروكلمان نسخة وحيدة فى طهران<sup>(٢)</sup> ، واعتمد فريتز ماير على نسخة أخرى ببرلين تحت رقم ٣٠٨٨ ، ونقل منها عدة فقرات تدور كلها حول التربية الصوفية وبعلاقة الشيخ بالمريد وما يراه الصوفى من معانيات ورؤى فى خلوته<sup>(٣)</sup> .

### نجم الدين داية :

هو الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن شاهاور بن أنو شروان<sup>(٤)</sup> ابن أبى النجيب الرازى الأسدى<sup>(٥)</sup> .. المعروف بنجم الدين الرازى ، ونجم الدين داية ، والحافظ ابن شاهاور .. وأشهر ألقابه « داية » كان محدثاً ، صوفياً ، شاعراً . ولد سنة ٥٦٤ بخوارزم ، وتلقى التصوف على يد الشيخ نجم الدين الكبرى ، ثم ارتقى فى الولاية ، وارتحل إلى بغداد فتوفى بها سنة ٦٥٤ هجرية<sup>(٦)</sup> .

(١) د. قاسم غنى : تاريخ التصوف ص ٧٥٧ .

(٢) Brockelmann : Gesch. Sup. I p. 785

(٣) Fritz Meier : Die Fawail p. 40

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ٢٦٥/٥ .

(٥) Brockelmann, p. 803

(٦) راجع ترجمته الوافية فى ( نفحات الأنس ) لجامى ، طبعة لكتنو ص ٣٨٥ : ٣٨٧ .

وترجع شهرة نجم الدين داية ومكانته ، إلى هذا العدد الكبير من المؤلفات التي تركها ، ولا تزال موجودة إلى اليوم . فمن تلك المؤلفات ما يلي :

### ١ - بحر الحقائق والمعاني في تفسير السبع المثاني :

وهو تفسير صوفي للقرآن ، على طريقة « لطائف الإشارات » للقشيري والتأويلات النجمية ، وإن كان الدكتور سيد عبد التواب يعتبره « أكبر وأكمل تفسير صوفي »<sup>(١)</sup> وقد سار فيه الشيخ نجم الدين داية على قاعدة التأويل الصوفي التي أبان عنها بقوله : « فاعلم أن مقتضى الدين ، ألا يؤول المسلم شيئاً من الأعيان مما نطق به القرآن والأحاديث ، بالمعاني . وعليه أن يصورها كما جاءت وفسرها النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة وعلماء السلف ، اللهم إلا أن يكون محققاً ، خصّه الله بكشف الحقائق والمعاني والأسرار وإشارات التنزيل وإشارات التأويل »<sup>(٢)</sup> . وقد وضعه باللغة العربية .

### ٢ - مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد :

يعرفنا الدكتور قاسم غنى بهذا الكتاب ، فيقول : « هو أحد كتب الصوفية المحببة باللغة الفارسية التي بالإضافة إلى إحاطة مؤلفها بمسائل الصوفية وتطبيق التصوف على الآيات والأحاديث والتأويلات العرفانية ، نراه قد استعمل حسن الذوق في كتابته الفارسية . وقد انتهى المؤلف على حد قوله ، من تأليف كتاب مرصاد العباد ، سنة ٦٢٠ في مدينة سيواس ، ويشتمل على خمسة أبواب وأربعين فصلاً . طُبع منه ملخص في طهران ، يسمى « منتخب مرصاد العباد » سنة ١٣٠١ هجرية ، والنسخة الكاملة منه طُبعت سنة ١٢٥٢ هجرية المطابقة لسنة ١٣١٢ شمسية<sup>(٣)</sup> ، بسعى واهتمام المرحوم السيد حسين شمس العرفاء ، في طهران<sup>(٤)</sup> . »

(١) د. سيد عبد التواب عبد الهادي : الرمزية الصوفية في القرآن الكريم (دار المعارف - سلسلة كتابك) ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٧ - والكتاب في جملته ، بحث مختصر في خصائص تفسير نجم الدين الرازي ، مقارناً - في أحيان قليلة - بغيره من التفاسير الصوفية .

(٣) هو تقويم خاص : استحدثه الإيرانيون المعاصرون |

(٤) د. قاسم غنى : تاريخ التصوف ص ٧٦٠ .

## ٣ - منارات السائرين ومقامات الطائرين :

يقول حاجي خليفة: «هو للشيخ نجم الدين .. المعروف بداية - أوله الحمد لله المتوحد في ذاته... إلخ ، ذكر فيه أنه التمس منه بعض أصحابه تأليف كتاب في شرح مقامات العارفين شاملاً لكرامات السالكين جامعاً لمنازل السائرين . وإن كنت قد صنفت قبل هذا بنيف وثلاثين سنة كتاب مرصاد العباد ، ولكنه مؤلف بالعجمية ، وقد حرم من فوائده أهل العربية ، فأردت أن يكون هذا مؤلفاً بالعربية . وجعله على فاتحة وخاتمة ، ووضع للمقامات عشرة أبواب<sup>(١)</sup> .»

وقد ذكر بروكلمان عدة مخطوطات لهذا الكتاب : مخطوطة مكتبة ليبزج رقم ٢/١٩١ - مخطوطة ليدن رقم ٢٢٤٧ - مخطوطة الموصل رقم ٣٢/١٩٢<sup>(٢)</sup> .. وقد عرفت مؤخرًا ، أن الأستاذ / سعيد عبد الفتاح أعد نشرة من الكتاب ودفع بها للطبعة ، وأظنه اعتمد على مخطوطة منه بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

## ٤ - رسالة العاشق والمعشوق :

وهي رسالة بالفارسية ، شرح فيها نجم الدين دايدة قول أبي الحسن الخرقاني « الصوفي غير مخلوق ! » وهي من عبارات الخرقاني المستشكلة التي تحتاج لتأويل<sup>(٣)</sup> . ومن هذه الرسالة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس ، تحت رقم ٥/٧٦٠ بعنوان « رسالة العاشق والمعشوق » ومخطوطة أخرى بمكتبة جاز الله بتركيا ، تحت رقم ٢٠٦١ بعنوان « العاشق والمعشوق في شرح قول الخرقاني : الصوفي غير مخلوق » على ما يذكر بروكلمان ، الذي انفرد بذكر هذه الرسالة<sup>(٤)</sup> .

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٨٢٣ .

(٢) Brockelmann : Gesch. p. 804 = 2

(٣) راجع ما قلناه من الخرقاني عند الكلام من مشايخ نجم الدين كبرى .

(٤) Brock. p. 804 = 3



### ٥ - معيار الصدق في مصداق العشق :

وهي رسالة ، فيما يبدو ، مفقودة . فلا توجد لها نسخ خطية معروفة ، كان حاجي خليفة<sup>(١)</sup> والبغدادى<sup>(٢)</sup> قد أشارا إليها .. ومن المحتمل أن تلك الإشارات إلى رسالة « العاشق والمعشوق » ذاتها ، وجدها حاجي خليفة بهذا العنوان وتابعه البغدادى في ذلك .

### ٦ - رسالة العشق والعقل :

وهي رسالة مؤكدة النسبة للشيخ ، توجد منها نسخة خطية في طهران تحت رقم ٢/٥٩٨ - ذكرها بروكلمان<sup>(٣)</sup> - وأشار إليها الدكتور قاسم غنى بقوله : في مجموعة خطية تشتمل على سبعة كتب ورسائل ، محفوظة تحت رقم ٥٩٨ في مكتبة مجلس الأمة ( شوراي ملي ) رسالة بالفارسية تنسب إلى نجم الدين الرازي ( الداية ) تسمى « رسالة في العشق والعقل » كتبها في جواب رجل طلب منه بيان كمال العشق وكمال العقل ، وتاريخ كتابة تلك الرسالة سنة ٧٠٤ ( هجرية ) واسم الكاتب « أبو الفتوح جلال الجمالى » أتم كتابتها في المدرسة العلائية ببلدة سبزوار<sup>(٤)</sup> .

### ٧ - سراج القلوب :

انفرد بروكلمان بذكره ، اعتمادًا على مخطوطة وحيدة بمكتبة وين Wien برقم ٢٩/١٩٦٣<sup>(٥)</sup> .

### ٨ - سلوك أرباب النعم :

ذكره كحالة<sup>(٦)</sup> ، وأشار بروكلمان إلى نسخة خطية له في بانكيبور<sup>(٧)</sup> .

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٧٤٤ .

(٢) البغدادى : هدية العارفين ص ٤٦١ .

(٣) Brock. p. 804 = 4

(٤) د. قاسم غنى : تاريخ التصوف ص ٧٦٠ هامش (١) .

(٥) Brock. p. 804 = 5

(٦) كحالة : معجم المؤلفين ١٢٢/٦ .

(٧) Brock. p. 804 = 6

## ٩ - كشف الحقائق وشرح الدقائق :

انفرد البغدادي بذكره<sup>(١)</sup> . وقد ذكر حاجي خليفة كتاب يشابهه في العنوان هو « كشف الحقائق في حساب الدرج والدقائق » للشيخ شهاب الدين المجدى المتوفى ٨٥٠ هجرية ، وهى فى علم الفلك<sup>(٢)</sup> ! وهناك كتاب بنفس العنوان لعزير النسفى .

## ١٠ - تحفة الحبيب :

ذكرها كحالة وبروكلمان<sup>(٣)</sup> .

## ١١ - حسرة الملوك :

ذكره كحالة وبروكلمان :

## ١٢ - أشعار صوفية :

ألف الشيخ أكثر من مائة رباعية شعرية - بالفارسية - بعنوان « التمثل » وأوردها فى كتابه « مرصاد العباد » وقد ذكر الدكتور قاسم غنى منها :

الغاية من وجود الإنسان والجان هى المرأة

وهدف القصد من العالمين هو المرأة

القلب مرآة جمال ملك الملوك

وهذان العالمان غلاف تلك المرأة !

(١) البغدادي : هدية العارفين ص ٤٦١ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٤٨٦ .

(٣) معجم المؤلفين ١٢٢/٦ - ٨ = Brock. p. 804 : وقد ذكر حاجي خليفة عدة كتب بهذا العنوان ، وهى : تحفة الحبيب الملحوظ لعلمى الميزان والعروض لشمس الدين بن الإمام ، تحفة الحبيب فيما يبهجه من رياض الشهود والتقريب لابن عطية ، تحفة الحبيب مجموعة من الأشعار الفارسية جمعها الفخرى الفارسى المتوفى ٩٣٥ هجرية من دواوين الأكابر ( كشف الظنون ص ٣٦٥ ) .

ومنها :

كل من كان قلبه مملوءًا بالنار من العشق  
تكون كل قصة يحكيها جذابة  
إنك قليل ما تسمع قصة العاشقين  
فاسمع واسمع فإن كل قصصهم لطيفة

ومنها :

إن العشق باقية شجيرة الشباب  
والعشق رأس مال الحياة الخالدة  
وإذا أردت ماء الحياة ، كالحضر  
فإن ينبوع ماء الحياة هو العشق<sup>(١)</sup>

والروح المتجلية في تلك الرباعيات ، تشهد بأن نجم الدين داية كان بالفعل  
خليفة ومتابعًا لنجم الدين الكبرى ، الذي كان بدوره خليفة ومتابعًا لآثار العشاق  
الملتهمين من أمثال روزبهان وابن أبي عصرون .

على لالا :

وهو واحد من تلامذة نجم الدين كبرى ومريديه المشار إليهم . لم يحظ بالكثير  
من عناية المؤرخين ، اللهم إلا ما ذكره عبد الرحمن جامى في « نفحات الأنس »  
وما ذكره علاء الدولة السمناني في « فضل الطريقة » حيث يقول :

« توفي رضى الدين على بن سعيد ( ابن عبد الجليل الغزنوى ) اللالا ، في  
ثالث ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وستائة ، ودُفن بأسفرايين الكورفان وهى قرية  
من قرى أسفرايين .. ولالا ، اسم سمّاه به الشيخ يوسف الهمداني ، إذ جعله  
رقيب أصحابه . وأهل مرو يقولون للرقيب ( لالا ) وكان أبوه ( سعيد ) غزنويًا ،

(١) د. قاسم غنى : تاريخ التصوف ص ١٠٤٧ .

خرج في طلب العلم ، ودُفن بجوين وله من العمر مائة وثلاثة وخمسون ! وتأهل ( تزوج ) بعد المائة ، وله أولاد كثيرة ، أصغرهم شيخ طريقتنا : علي لالا «<sup>(١)</sup> . وللشيخ لالا ترجمة فارسية في تذكرة المشايخ ، للسمناني ، مما يعنى أنه كان همزة الوصل بين السمناني والشيخ نجم الدين الكبري ، ولذا اعتبرت السمنانية أحد الطرق المتفرعة عن الطريقة الكبروية .. كما سنرى بعد قليل .

### سعد الدين الحموي :

هو تلميذ نجم الدين كبرى وخليفته في الطريقة من بعده : سعد الدين محمد ابن المؤيد بن عبد الله بن علي ، الحموي ، الصوفي ، الجويني ؛ يُعرف بسعد الدين الحموي ، وبابن حمويه .

ومع كثرة المصادر التي أرّخت للشيخ سعد الدين<sup>(٢)</sup> ، إلا أن هناك اختلافًا بين المؤرخين في سنة مولده ووفاته . فيجعل بروكلمان مولده ما بين سنة ٥٨٧ هجرية ، وسنة ٥٩٥<sup>(٣)</sup> .. والتاريخ الأول أكثر قبولاً لدينا ، والمستبعد هو التاريخ الآخر ؛ وإلا فكيف يكون مولده سنة ٥٩٥ متفقاً مع تلمذته لنجم الدين وخلافته للكبروية من بعده في سنّ الثالثة والعشرين ، إذ توفي شيخه - كما أسلفنا - سنة ٦١٨ هجرية .

والاختلاف الأشدُّ بين المؤرخين ، حول تاريخ وفاة الشيخ سعد الدين .. فقد سجّله فصيح الخواقي في كتابه ( مجمل فصیحی ) سنة ٦٤٩ هجرية<sup>(٤)</sup> ، وجعله

(١) د. قاسم غني : فضل الطريقة ص ١٠١ ، ١٠٢ ( عن Fritz Meier : Die Fawāih. 42 ) .

(٢) ترجم له الذهبي في العبر ، والياقبي في مرآة الجنان ، وجامي في نفحات الأنس ، وحمد الله المستوفى في تاريخه ، وابن العماد في شذرات الذهب ؛ وغير ذلك .

(٣) Brocklmann : Gesh. p. 803.

(٤) أورد الدكتور قاسم غني هذا الخبر ، اعتماداً على نسخة خطية من كتاب فصیح الخواقي ، ضمن مكتبة الحاج محمد آقا النخجواني ( انظر ؛ تاريخ التصوف ص ٧٠٥ هامش (٣) ) .

الذهبي وابن العماد سنة ٦٥٠ هجرية<sup>(١)</sup> ، وهو في تاريخ حمد الله المستوفى سنة ٦٥٨<sup>(٢)</sup> ، وعند بروكلمان : ما بين ٦٥٠ و٦٥٨ هجرية<sup>(٣)</sup> !

وكانت وفاة الشيخ في خراسان ؛ فهو بعد أن تلقى التصوف والخرقه من يد الشيخ نجم الدين بخوارزم ، ارتحل إلى الشرق وسكن سفح جبل قاسيون بدمشق ، ثم رجع إلى خراسان - موطنه - وظل فيها حتى وفاته .

وللشيخ سعد الدين مجموعة من المؤلفات الصوفية ، طُبِعَ منها بالقاهرة - سنة ١٣٢٨ هجرية - مجموعة رسائل<sup>(٤)</sup> بعناية محمد كُرد علي ، وله أيضًا :

#### ١ - محبوب القلب :

مخطوطة برلين تحت رقم ٤٠٨٤ ، وآيا صوفيا برقم ٨/٢٠٥٧ ، وجار الله برقم ١٠٧٨ ورقم ١٠٩٦ ، وبروسه تحت رقم ٧٧ .. ولم يطبع .

#### ٢ - سَجَنَجَلُ الأرواح :

مخطوطة الفاتح رقم ٢٦٤٥ ، وجار الله ١٥٤١ ، ومشهد ١٠٧/٢٩ .. وهو - كما يبدو من عنوانه - باللغة الفارسية .

#### ٣ - لطائف التوحيد في غرائب التفريد :

توجد منها مخطوطة وحيدة بمكتبة عاطف أفندي باستانبول ، برقم ٢٢٤١ .

#### ٤ - رسالة المصباح :

مخطوطة بآيا صوفيا ، تحت رقم ٣٨٣٢<sup>(٥)</sup> .

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ٢٥٢/٥ .

(٢) انظر تاريخ التصوف لقاسم غني ص ٧٠٥ .

(٣) Brock, p. 803.

(٤) فيها رسالته الشهيرة : علوم الحقائق وحكم الدقائق .

(٥) Brock, p. 803.

وللشيخ سعد الدين الحموي مكانته الخاصة بين تلامذة نجم الدين كبرى ، باعتباراه خليفته في مشيخة الطريقة التي ستعرف في عهده باسم الطريقة الكبرى الذهبية<sup>(١)</sup> .. ويطلق على إسناد مشايخها اسم : سلسلة الذهب ! تمييزاً للفرع الذي كان سعد الدين الحموي شيخه ، عن بقية الطرق التي تفرعت فيها الطريقة الكبرى .

### فروع الكبرى :

كان تلامذة الشيخ نجم الدين ، ممن ذكرناهم هنا - ومن لم نتوقف عندهم لكثرتهم<sup>(٢)</sup> - هم الجيل الأول من طريقة الشيخ التي عُرفت بالكبروية . ثم تفرعت الكبرى مع الأيام إلى فروع عديدة ، صار لكل فرع منها شيخ ومريدون ، انتسبوا لنجم الدين كبرى بطرق متعددة . وأغلب هذه الطرق ، عاشت في القرون التالية ببلاد فارس ؛ وقد ذكرت المراجع من هذه الفروع :

\* الكبرى الهمدانية : أسَّسها السيد علي الهمداني المتوفى سنة ٧٨١ هجرية ، وهي خلاصة الكبرى في كشمير .

\* الكبرى النورية : أسَّسها الشيخ نور الدين الإسفراييني .

\* الكبرى الركنية : نسبةً إلى ركن الدين علاء الدولة السمناني المتوفى ٧٤٥ هجرية .

(١) في مستدرك الدكتور كمال الشيبى ، بقول : ذكر الدكتور أحمد ناجى القيسى في كتابه « عطار نامه » بعدد ١٩٦٩ ص ٢٨١ ، أنه لم تكن الكبرى تسمى بالذهبية ؛ وقد وهم كامل مصفى الشيبى في ذلك ، والنوربحشية أيضاً لا تسمى بالذهبية خلافاً لما أورده ا ويرد الدكتور الشيبى على ذلك بقوله : هذا الحكم احتجادي محض لا يقوم على دليل متصل بتمسقة تاريخية ، والظاهر أن الخطأ المطبعي الذي وقع في تحايد الموضوع الذي استقيا منه هذا الخبر من « طرائق الحقائق » هو الذي شجَّع أستاذنا المذكور على رمينا بالوهم ، وإلا ما فعل ذلك ، لعلمه يقيناً بأن « طرائق الحقائق » من أوثق المراجع فيما يتصل بالطرق الصوفية الفارسية ، لقد كان هذا وهم وهم ( الصلة بين التصوف والتشيع ص ٥٥٨ ) والحقيقة أن تسميه الكبرى بالذهبية وارد في معظم المصادر التي أرحت للطرق الصوفية ، وليس « طرائق الحقائق » وحدها التي انصردت بذلك .

(٢) منهم : نانا كمال الدين الخزندى ، جمال الدين كيل ( الحيلى ) ، ساد الدين ولد الرومى ( والد مولانا جلال الدين صاحب المنبرى ) .. وغيرهم .

★ الكبروية الجردوسية : وهى آخر الفروع الأربعة الأصلية التى تفرعت إليها الكبروية فى القرن الثامن الهجرى .

★ الذهبية الاغتشاشية : فرع كبروى من الكبروية ، أسَّسه الشيخ إسحق ختَلانى فى القرن التاسع الهجرى ، وهو يتصل بالسيد عبد الله المشهدى .

★ النوربخشسية : فرعٌ خراسانى أسَّسه الشيخ محمد نور بخش ، المتوفى ٨٦٩ هجرية .

★ العيدروسية : فرعٌ يبنى من الكبروية .

★ الفردوسية : فرع هندى من الكبروية<sup>(١)</sup> .

وقد تميزت هذه الفروع بنفس الخصائص التى ظهرت فى تصوف شيخها الأول « نجم الدين الكبرى » فكلها - رغم اختلاف مشايخها المؤسسين - تهتم بإبراز الطابع الشرعى للتصوف ، وتؤكد الأصول الشرعية للحقائق الصوفية<sup>(٢)</sup> .. وكلها تعنى بالرؤى والمنامات<sup>(٣)</sup> .. وكلها تعول كثيراً على أهمية الخلوات والأذكار<sup>(٤)</sup> .

(١) بخصوص فروع الكبروية ، يمكن الرجوع إلى : جامع الأصول ، السلسيل المعين ( باللغة العربية ) طرائق الحقائق ، ترياق المحين ( بالفارسية ) كما يمكن مراجعة المادة التى حررها « ماسينيون » بدائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان : طريقة .

(٢) يظهر ذلك من مراجعة النصوص الصوفية التى كتبها تلاميذ نجم الدين كبرى .

(٣) فى إشارة دقيقة لحمد بن على السنوسى ، يقول فى معرض حديثه عن الطريقة الخلوتية ، ما نصه : ولهذا الطائفة وللسادة الكبروية ، اعتناء بتفسير الرؤيا ( السلسيل المعين ، ورقة ٢٠ ب ) . وذلك ما تؤكدته الإشارات الكثيرة للرؤى فى كتابات الشيخ نجم الدين ، ومن بينها فوائح الجمال .

## الأذكار الكبرى :

في « فوائح الجمال » سوف نرى الاهتمام الكبير الذي يوليه نجم الدين الكبري للذكر والأذكار<sup>(١)</sup> ، وقد ورثت طريقته - بفروعها العديدة - هذا الاهتمام . وفي مخطوطته « السلسيل المعين في الطرائق الأربعين » يفرد السيد محمد ابن علي السنوسي ، فصلاً للكبروية ؛ يقول فيه :

وأما طريق السادة الكبروية ، فهم المنتسبون إلى الأستاذ نجم الدين كبري رضي الله عنه ، وقد اشتهر جماعة من أهل سلسلته بالخرقة ، وهم الهمدانية والنورية والركنية والجردوسية . وطريقتهم في الذكر ، أن يجلس المرید متربّعاً ، متوجّهاً للقبلة ، واضعاً يده على ركبته ، مغمضاً عينيه ، ضامّاً شفّتيه ، مطرقاً رأسه إلى السُّرة .

ويبدأ المرید بلفظة ( لا ) ويمدها إلى فوق رأسه بالمد التام ، ويقيم رأسه قائلاً ( إله ) ويشير إلى جانب الثدي الأيمن . ثم يقيم رأسه بلفظ ( إلا ) ويمد ( الله ) مدّاً طويلاً ويشير برأسه إلى الجانب الأيسر مع حبس النَّفْس وملاحظة المعنى .. هذا في الخلوة .

وأما في وقت الصحبة ، فيحتارون الجهر بالذكر . خصوصاً المبتدئ . واختار الهمدانيون الإسرار بالذكر مطلقاً ، إلا بعد فريضة الصبح . وأنهم يقرأون « الأوراد الفتحية » في الحلقة بالجهر ، وبعد العصر « الأوراد العصرية » وهما لشيخ هذه العصبة ، السيد علي الهمداني . وقد ذكر الإمام الجامي ، وغيره ، أن سيدنا علي الهمداني صحب ألفاً وأربعمائة ولى ، وأنه أخذ من كل واحدٍ ذكراً وجد ذلك الشيخ ثمرته ، فجمعها ، ثم لما زار النبي ﷺ رآه ، وقد أعطاه شيئاً وقال له : تحذ هذه الأوراد الفتحية .

(١) سنرى في مؤلفات الشيخ ، رسالة بعنوان « فصل في فضل الذكر » .



وشيوخ الطائفة الركنية ، مولانا ركن الدين علاء الدولة السّماني . له في كيفية الذكر بالكلمة الطيبة ( لا إله إلا الله ) جلسة معينة وزيادة في الضروب ، وهو أن يجلس الذاكر متربعا .. وهذه الكيفية أخذها الشيخ يحيى السجستاني من حضرة المكاشفة من رسول الله ﷺ .

ولشيخ الخرقة النورية ، سيدنا نور الدين الاسفرائيني ، كيفية أخرى في الذكر . وهو أن يجلس .. ومن شأنهم أن لا يلقنوا المريد هذا الذكر إلا بعد صيام أربعة أيام ، ويغتسل في اليوم الرابع ، ثم يتلقنه . ومن شأنهم سكن الخناقات ( الخناقاوات = جمع : خانقاة ) وهي شبيهة بالرحبة التي بناها عمر رضى الله عنه في ناحية المسجد ، وقال مَنْ كان يريد أن ينشد أو يلفظ شعراً أو يرجع صوته ، فليخرج إلى هذه الرحبة . رواه مالك في الموطأ<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

ولا تزال الطريقة الكبروية ، بفروعها ، حية إلى اليوم ببلدان إيران ، خاصةً أصفهان ومشهد . وقد أشار فريتز ماير إلى أن الطريقة اليوم خامدة ، لا يوجد بها ما يثير<sup>(٢)</sup> .. بينما أخبرني الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا - شفاهاً - أن الكبروية اليوم تعد من أوسع الطرق انتشاراً في إيران ، وهي طريقة نشطة ! وأظن أن الكبروية المعاصرة تحتاج اليوم إلى دراسة متعمقة ، تكشف ما انتهى إليه الحال . ولا شك أن هذه الدراسة لا يستطيع القيام بها إلا باحث إيراني ، أما أمثالنا ، فالأمر مستحيل بالنسبة لهم .. بعد أن فرقت الحدود بين بلاد الإسلام ، وتقطعت السبل بين المسلمين بعد اختلاف حكاهم في هذا الزمان الرديء !

(١) محمد بن علي السنوسي : السلسيل المعين في الطرائق الأربعين ( مخطوطة بلدية الاسكندرية رقم ٣٨٠٣ / ج تصرف ) ورقة ٣٣ ب وما بعدها .

(٢) Fritz Meier : Die Fawaih. p. 252.

## الفصل الرابع أسلوبه ومؤلفاته

### أسلوب الشيخ :

يتميز أسلوب الشيخ نجم الدين بتلك التلقائية وهذا التدفق الذي نلمحه عند غيره من الصوفية ذوى الأصول الفارسية ، سواء لدى الشعراء من أمثال الحلاج والطار وجمال الدين الرومى ، أو لدى الناثرين من أمثال عبد القادر الجيلانى وروزبهان البقلى - الذى مرَّ علينا كلامه العارم فى العشق - وغيرهما .

وأول ما يبدو من تلقائية الأسلوب عند الشيخ نجم الدين ، هو عدم حرصه على استخدام الغريب من الألفاظ ، بل تنساب كلماته سهلة ، دافئة ، لا يراعى فيها صناعة لفظية ولا تكلف بلاغى . وهو يكتب فى أمر ، ثم يعرج إلى آخر ، وربما عاد للأول ؛ وكأنه يملئ خواطر سنحت بها المنح والأوقات ، فنراه يعرض لفضل الذكر - مثلاً - ثم يقص مجموعة من الرؤى والوقائع ، ويعود فى فصل آخر للكلام عن الذكر ونتائج الأذكار والخلوات .. كل ذلك بأسلوب سهل ممتع يميل القلب إلى نبرته الصادقة .

وكلام الشيخ مفعم بالتضمينات القرآنية وضرب الأمثال ، فحين يتناول مراتب العرفان يضرب لذلك مثلاً بالينبوع والبحر والسواقى ، وحين يتناول الشهوات النفسية يضرب لها مثلاً بالحية .. وهكذا ، وضرب الأمثال - كما قال الغزالي<sup>(١)</sup> - يقصد به تقريب المعنى للأذهان ؛ ولذا نراه فى كتابات الصوفية الذين قاموا بتربية المريدين ، لحرصهم على إيصال المعنى على أفضل صورة .. وقد كان الشيخ نجم الدين - كما رأينا فى الفصل السابق - واحداً من الشيوخ المريين .

---

(١) الغزالي : إحياء علوم الدين ٢٣/٤ .

كما يتميز أسلوب الشيخ بقدر من الرمزية ، فهو يجرى على طريقة الصوفية في الإشارة . لكن الملاحظ أنه لا يتقيد بقاموس المصطلح الصوفي تمام التقيد ، بل يستخدم اصطلاحات جديدة كأن يشير للسالك العارج إلى المقامات بلفظ « السيار » وهو لفظ لم يستخدمه من قبله إلا شيخه عمّار البديسي ، وإن كان قد استخدم بعد نجم الدين بزمن طويل ، إذ نراه في كتابات الكشخانوي<sup>(١)</sup> . وهناك اصطلاحات خاصة بالشيخ نجم الدين لا نراها عند السابقين عليه أو اللاحقين ، كلفظي « الجمود والخمود » فالجمود عنده يقترب من مفهوم « التخلية » عند الصوفية - لكنه لا يتطابق معه في الدلالة - والجمود حال يتعاقب مع الجمود<sup>(٢)</sup> .

كما يلجأ الشيخ أحياناً إلى استغلال التشابه اللفظي بين كلمتين ، لكي يستخرج من ذلك معاني جديدة ؛ كاستغلاله للتشابه بين « قلب - قلب » وغير ذلك من التشابهات .. وهي طريقة كان ابن عربي من بعده ، أبرع من طبّقها واستفاد منها<sup>(٣)</sup> .

ومن الظواهر الأسلوبية عند الشيخ نجم الدين ، ما نراه من لجوء إلى تحقيق المزيد من المعنى عن طريق الإضافة . فهو إذا استخدم كلمة « الوجود » راح يضيف إليها من الإضافات ما يوسّع في معناها ويأخذ بها في مسارات جديدة؛ فنرى عنده: وجود منسى، وجود حسي، وجود نفسي، وجود العالم.. ولا يُشترط هنا أن يكون الوجود بمعنى (الانطولوجيا) لأنه يستخدمه أيضاً بالمعنى الشعوري والمعرفي والافتراضي. ومسألة «الإضافة» هذه، نراها أيضاً عند ابن عربي المتأخر قليلاً عن الشيخ نجم الدين (توفي ابن عربي بدمشق سنة ٦٣٨ هجرية) فقد كان

(١) الكشخانوي : جامع الأصول ، ص ١٧ ( الحاشية ) .

(٢) انظر الفصل الخاص بذلك في فوائح الجمال ، بعنوان : الجمود والجمود في طريق القوم .. ( والقوم لفظة صوفية يراد بها أهل الطريق ) .

(٣) كنا نعتقد أن ابن عربي هو أول من استخدم هذه الطريقة ( انظر ؛ شرح مشكلات الفتوحات المكية ، بتحقيقنا ، دار سعاد الصباح - القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٢٠ ) .

هو الآخر مولعا بالإضافات<sup>(١)</sup> ، لكن الصلة بين الرجلين مفقودة ، ومن المستبعد أن يكون ابن عربى قد تأثر بنجم الدين فى هذا الشأن .

ومما يلفت النظر فى أسلوب الشيخ نجم الدين ، تلك الصور الخيالية الرائعة ، التى نراها عند متصوفة الفرس على وجه العموم .. وهى صور تأتى فى السياق كما لو كانت عن غير عمد ، ومع ذلك فهى مميزة وباهرة ؛ كتلك الصورة التى تقابلنا فى « الفوائح » عن : البحار الغارقة فيها الشمس !

ويستخدم الشيخ فى خطابه للمريد لفظ « يا حبيبي » وهو نداء خاص به ، كما اختص نداء « يا غلام » بالإمام عبد القادر الجيلانى ، ونداء « أى سادة » بالشيخ أحمد الرفاعى<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وقد ترك الشيخ نجم الدين مجموعة من المؤلفات ، لم يخرج واحدٌ منها عن نطاق التصوف - بما فى ذلك تفسيره للقرآن - ومع أن عادة الرجال فى زمنه أن يشاركوا بوضع المؤلفات فى فنون أخرى ، إلا أنه آثر أن يقصر جهده التأليفى على ميدان التصوف ، ولم يؤلف فى غيره رغم اشتغاله بعلم الحديث النبوى والفقہ على المذهب الشافعى .. وأهم مؤلفات الشيخ :

### الأصول العشرة :

وهى رسالة صوفية صغيرة الحجم ، تُعرف أيضاً باسم « بيان أقرب الطرق » وتوجد منها عدة نسخ مخطوطة : المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٧٩٦٦ ، دار الكتب المصرية ٩/٢٥٣ مجاميع ( بعنوان : أقرب الطرق إلى الله ) المكتب الهندى

(١) تقول الباحثة الممتازة ، المتيِّمة نان عربى ، الدكتور سعاد الحكيم : ...بالإضافة هى الصيغة اللغوية الهامة التى أدعها ابن عربى ، والتى فتحت آفاق اشتقاقٍ لا محدودة أمام الإنسان الصوفى للتعبير عن تجربته ومشاهداته ( ابن عربى ومولد لعة جديدة ، الطبعة الأولى ، ص ٨٤ ) .

(٢) انظر : الفتح الربانى للشيخ عبد القادر الجيلانى ( طبعة البانى الحلبي ) البرهان المؤيد من كلام الشيخ أحمد الرفاعى ( طبعة دار الشعب ) .

بلندن رقم ١٢٥٦ ، دار الكتب بالقاهرة رقم ١/٢٦٨ ، ليدن رقم ٢٢٣٠ ،  
مانشستر ١٠٧ / E ، بانكيبور ١٣/٩٥٩ ( بعنوان : بيان أقرب الطرق ) رامبو  
١/٣٤٢ ( بعنوان : رسالة في السلوك ) رامبو ١/٣٢٩ ، راغب باشا بتركيا  
١٤٥٣ ( بعنوان : الأصول العشرة ) بلدية الإسكندرية رقم ٣٧٥٨/ج ( بعنوان :  
رسالة في الطريق ) .

وفي مكتبة جامعة القاهرة نسخة نفيسة من الرسالة ، ضمن مجموعة من  
الرسائل الصوفية المشاة بحليات ذهبية ورسومات ملونة ( تحت رقم ٦٩١١/  
تركي ) بعنوان : رسالة نجم الدين الكبرى . ونص الرسالة :

« قال الشيخ الإمام الأجل الزاهد العابد البارع الورع الفاضل الكامل  
سلطان الطريقة والحقيقة سيد الشهداء، نجم الدين الكبرى، قدس الله روحه:  
الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق، فطريقنا الذي نشرع في شرحه، أقرب  
الطرق<sup>(١)</sup> إلى الله، وأوضحها وأرشدنا. وذلك لأن الطرق مع كثرة عددها،  
محصورة في ثلاثة أنواع؛ أحدها: طريق أرباب المعاملات، بكثرة الصوم والصلاة  
والزكاة<sup>(٢)</sup> والحج والجهاد وتلاوة القرآن، وغيرها من الأعمال الظاهرة؛ وهو  
طريق الأخيار، فالواصلون بهذا الطريق في الزمان الطويل أقل من القليل.

وثانيها: طريق أصحاب المجاهدات والرياضات في تبديل الأخلاق<sup>(٣)</sup> وتزكية  
النفس وتصفية القلب وتحلية الروح والسعي فيما يتعلّق بعمارة الباطن؛ وهو طريق  
الأبرار، فالواصلون بهذا الطريق أكثر من ذلك الفريق<sup>(٤)</sup>، ولكن الوصول من  
ذلك، من النوادر. كما سئل ابن منصور<sup>(٥)</sup> - عن إبراهيم الخواص<sup>(٦)</sup> - في أي

(١) ساقطة من الأصل المخطوط ، وأصلحهاها اعتمادًا على ما ورد في نسخة راغب باشا ، التي نقل منها فريتز  
ماير ( ص ٢٨٥ ) الفقرة الأولى .

(٢) في الأصل المخطوط : الصلوة والركوة .

(٣) يقصد ؛ تبديل الصفات المحمودة بالصفات المدمومة ، وهو ما يعرف بالتخلية والتخلية .

(٤) في الأصل : الطريق ، والتصويب من نسخة راغب باشا .

(٥) الحلاج ( الحسين بن منصور ) .

(٦) يقصد ؛ رواية عن الخواص ... والحلاج هنا هو السائل .

في أى شيء تروض نفسك ؟ قال : أروض نفسي في مقام التوكل منذ ثلاثين<sup>(١)</sup> سنة ! فقال : أفنيت عمرك في عمارة الباطن ، فأين أنت من الفناء في الله .

وثالثها : طريق السائرين إلى الله والطاهرين بالله ، وهو طريق الشُّطَّار من أهل المحبة ، السالكون بالجدبة ؛ فالواصلون منهم في البدايات أكثر من غيرهم في النهايات . فهذا الطريق المختار مبنئ على الموت بالإرادات - كما قال النبي عليه السلام : « موتوا قبل أن تموتوا »<sup>(٢)</sup> - وهي محصورة في عشرة أصول :

أولها ( التوبة ) : وهي الرجوع إلى الله بالإرادة ، كما أن الموت رجوعٌ بغير الإرادة ، لقوله تعالى : ﴿ ارجعنى إلى ربك .. ﴾<sup>(٣)</sup> وهي الخروج من الذنوب كلها ؛ والذنبُ : ما يحجبك عن الله ، من مراتب الدنيا والآخرة . فالواجب على الطالب ، الخروج<sup>(٤)</sup> من كل مطلوب سوى الله ؛ كما قيل : وجودك ذنبٌ لا يقاس به ذنب<sup>(٥)</sup> .

وثانيها ( الزهد في الدنيا ) : وهو الخروج من متاعها وشهواتها ، قليلها وكثيرها ، مالها وجاهها ؛ كما أن الموت يُخرج منها . وحقيقة الزهد : أن يزهد في الدنيا والآخرة ؛ قال النبي عليه السلام : الدنيا حرامٌ على أهل الآخرة ، والآخرة حرامٌ على أهل الدنيا .. وهما حرامان على أهل الله .

وثالثها ( التوكل على الله ) : وهو الخروج من الأسباب والتسبب<sup>(٦)</sup> بالكلية ، ثقةً بالله ، كما هو بالموت . قال الله تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾<sup>(٧)</sup> .

ورابعها ( القناعة ) : وهي الخروج من الشهوات النفسانية والتمتعات

(١) في الأصل : ثلاثين .

(٢) حديث مشهور يعتمد عليه الصوفية كثيراً في قولهم بإماتة شهوات النفس ورغباتها .

(٣) سورة الفجر ، آية ٢٨ .

(٤) في هامش المخطوطة : فالواحب على الكاتب يخرج ا

(٥) هو شطر بيت شعري ( من بحر الطويل ) .

(٦) أى الاكتساب .

(٧) سورة الطلاق ، آية ٣ .

الحيوانية ، كما هو بالموت ؛ إلا ما اضطرَّ من الحاجة الإنسانية ، فلا يسرف في المأكول والملبوس والمسكن ، ويقتصر على ما لا بد منه لقوته .

وخامسها ( العزلة ) : وهى الرجوع عن مخالط الخلق ، بالانزواء والانقطاع ، كما هو بالموت ؛ إلا عن خدمة شيخ واصلٍ مربِّ له ، وهو كالغسل للميت ، فينبغى أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغسل ، يتصرَّف فيه كما شاء<sup>(١)</sup> ؛ ليغسله بماء الولاية عن جنابة الأجنبية ولوث الحدث . وأصل العزلة عزل الحواس بالخلوة عن التصرُّف في المحسوسات ، فإن كل آفة وفتنة وبلاء ابتلاء الروح بها ؛ وكانت تقوية النفس وتربية صفاتها فيها<sup>(٢)</sup> ، دخلت من رُوْرنة<sup>(٣)</sup> الحواس .. وبها استتبت النفسُ الروحَ إلى أسفل السافلين ، وقيدته<sup>(٤)</sup> بها ، واستولت عليه . فبالخلوة وعزل الحواس ، منقطع مدد النفس عن الدنيا والشيطان ، وإعانة<sup>(٥)</sup> الهوى والشهوة ؛ كما أن الطبيب - فى معالجة المريض - يستعمل أولاً : الاحتماء لما يضرُّه ويزيد فى علل مرضه ؛ فينقطع بذلك عنه ، مددُ المواد<sup>(٦)</sup> الفاسدة التى ينبعث بها المرض<sup>(٧)</sup> .. وقد قيل : الحمية رأس كل دواء<sup>(٨)</sup> . ثم يعالجه بمسهل يزيل عنه المواد الفاسدة ، وتتقوى به القوى الطبيعية والحرارة الغريزية ، ليزول عنه المرض بدفع الطبيعة وتجدد<sup>(٩)</sup> الصحة . فالمسهل ههنا ، بعد الاحتماء . وتنقية المواد ، الذكر الدائم .

(١) فى الحديث الشريف : المؤمن بين يدي ربه ، كالميت بين يدي الغاسل .

(٢) يقصد ؛ أن الحواس تقوى النفس وترى صفاتها المذمومة .

(٣) الرورنة : كلمة فارسية معربة تعنى ( الكوة ) .

(٤) يقصد ؛ قيدت الروح .

(٥) فى الأصل : نامانة .

(٦) فى الأصل : مواد .

(٧) فى الأصل : به المرض ويبقى به المواد .

(٨) المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء .. عبارة شهيرة من أقوال الطبيب الجاهلى « الحارث بن كلدة » اعترها البعض من الأحاديث النبوية .

(٩) عبر واضحة فى الأصل .

وسادسها ( ملازمة الذكر ) : وهى الرجوع عن ذكر ما سوى الله بالنسيان . قال تعالى : ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾<sup>(١)</sup> .. فأما النسبة المسهلة بالذكر - وهو كلمة « لا إله إلا الله » - فبأنه معجون مركب من النفى والإثبات ، فبالنفي يزيل المواد الفاسدة التى تولد منها مرض القلب وقيود الروح وتقوية النفس وتربية صفاتها - وهى الأخلاق الذميمة النفسانية والأوصاف الشهوانية وتعلقات الكونين - وبإثبات « إلا الله » ونوره ، تحصل<sup>(٢)</sup> صحة القلب وسلامته عن البرذائل من الأخلاق ، بانحراف مزاجه الأصيل . ويستوى<sup>(٣)</sup> مزاجه - بنوره وحيوته - بنور الله تعالى ، فيتجلى الروح بشواهد الحق ، وتتجلى ذاته وصفاته : وأشرق أرض النفس بنور ربها<sup>(٤)</sup> ، وزالت عنها ظلمات صفاتها<sup>(٥)</sup> ؛ ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾<sup>(٦)</sup> .. فعلى قضية ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾<sup>(٧)</sup> تبدل الذاكرية بالمدكورية ، والمدكورية بالذاكرية ؛ فيفنى الذاكر بالذكر ، ويبقى المذكور خليفة للذاكر ، فإذا طلبت الذاكر وجدت المذكور ، وإذا طلبت المذكور وجدت الذاكر :

فإذا أبصرتنى أبصرتـــه      وإذا أبصرتـــه أبصرتنا<sup>(٨)</sup>

(١) سورة الكهف ، آية ٢٢ .

(٢) فى الأصل : يحصل .

(٣) فى الأصل : استوى .

(٤) الآية : وأشرق الأرض بنور ربها .

(٥) صفات النفس هند الصوفية : الجهل - الحرص - الجشع ... إلخ .

(٦) سورة إبراهيم ، آية ٤٨ .

(٧) سورة البقرة ، آية ١٥٢ .

(٨) شعر الحلاج :

نحن روحان حللنا بدننا  
وإذا أبصرتـــه أبصرتنا

أنا من أهوى ومن أهوى أنا  
فإذا أبصرتنى أبصرتـــه



سابعها ( التوجُّه إلى الله ) وهو الخروج عن كل داعية يدعو إلى غير الحق - كما هو بالموت - فلا يبقى له مطلوب ولا محبوب ولا مقصود ولا مقصد ، إلا الله . ولو عرضت<sup>(١)</sup> عليه مقامات جميع الأنبياء والمرسلين ، لا يلتفت إليها بالإعراض من الله لحظة . قال الجُنيد رحمة الله عليه : لو أقبل صدِّيقٌ على الله ألف ألف سنة ، ثم أعرض عنه لحظة ، فما فاتته أكثر مما ناله .

ثامنها ( الصبر ) وهو الخروج عن حظوظ النفس بالمجاهدة والمكابدة - كما هو بالموت - والثبات على فطامها عن مألوفاتها ومحبوباتها ، لتزكيتها وحمود شهواتها ، والاستقامة على الطريق المثلى بتصفية القلب وتجليه الروح . قال تعالى : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾<sup>(٢)</sup> .

وتاسعها ( المراقبة ) : وهي الخروج عن حوله وقوته - كما هو بالموت - مراقباً لمواهب الحق ، متعرضاً لنفحات ألطافه ، معرضاً عما سواه ، مستغرقاً في بحر هواه ، مشتاقاً إلى لقائه .. إليه قلبه ، لديه روحه ، يئنُّ<sup>(٣)</sup> به عليه ! ويستعين منه ، يستغيث إليه . حتى يفتح الله باب الرحمة - لا يمسك لها - يغلق عليه باب عذابه ، لا يفتح له . وتتورُّ بنور ساطع من رحمة الله ، وعن النفس تزول ظلمة أمّارية النفس<sup>(٤)</sup> في لحظة ما لا تزول بثلاثين سنة بالمجاهدة والرياضات<sup>(٥)</sup> . وهم الأخيار ، بل تبدّل سيئات النفس بحسنات الروح ، لقوله تعالى : ﴿ يبدّل الله سيئاتهم حسنات ﴾<sup>(٦)</sup> . وهم الأبرار ، بل تكون حسنات الأبرار سيئات المقربين - بحسنات ألطافه - لقوله تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾<sup>(٧)</sup> . فهذه الزيادة حسنات ألطاف الحق : وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده<sup>(٨)</sup> .

(١) في الأصل : عرض .

(٢) سورة السجدة ، آية ٢٤ .

(٣) في الأصل : يأن .

(٤) الإشارة إلى « النفس الأمارة » .

(٥) في «امش المخطوطة : قال الله تعالى . « إلا من رحم ربى » .

(٦) سورة الفرقان ، آية ٧٠ .

(٧) سورة يونس ، آية ٢٦ .

(٨) الآية : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .. سورة المائدة / ٥٤ .

وعاشرها ( الرضا ) وهو الخروج عن رضا النفس بالدخول في رضا الله ، بتسليم الأحكام الأزلية والتفويض إلى تدبيره<sup>(١)</sup> الأبدية بلا إعراض ولا اعتراض - كما هو بالموت - كما قال بعضهم :

وكلت إلى المحبوب أمرى كله وإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا<sup>(٢)</sup>

فمن يموت بإرادته عن هذه الأوصاف الظلمانية ، يحييه<sup>(٣)</sup> الله بنور عنايته ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾<sup>(٤)</sup> . . أى : من كان ميتاً في أوصاف الظلمانية في شجرة الإنسانية ، جعلناه<sup>(٥)</sup> بأوصاف الربانية وجعلنا له نوراً من أنوار جمالنا يمشى به ، أى بذلك النور ؛ كقوله تعالى ﴿ يمشى به في الناس ﴾ أى في سائر الناس بالفراصة ، ويشاهد أحوالهم ؛ ﴿ كمن مثله في الظلمات ﴾ أى كمن بقى في ظلمات شجرة الإنسانية ﴿ ليس بخارج منها ﴾ لا بزهرية المؤمنية ، ولا بثرارية النبوية .

\* \* \*

ذلك هو النص الكامل لرسالة « الأصول العشرة » أو « أقرب الطرق إلى الله » أو « رسالة السلوك » وكلها عناوين مستمدة من كلام الشيخ وعباراته ، وقد أوردنا نص الرسالة بتمامه استكمالاً للفائدة ، ورغبةً في تقديم المزيد من أعمال الشيخ للقارئ المعاصر .

(١) في الأصل : تدبيره .

(٢) في الهامش : وإن شاء أبقاني وإن شاء اتلفني ، وفوقها حرف ن ( مما يعنى أن الناسخ رجع إلى نسخة أخرى ) والبيت من بحر الطويل ، والشطر المذكور في الهامش غير مستقيم الوزن ولا القافية .

(٣) في الأصل : فيحييه !

(٤) سورة الأنعام ، آية ١٢٢ .

(٥) في الأصل : جعلنا .

## رسالة السفينة :

وهي رسالة أقصر من السابقة ، وأشد تركيزاً . توجد منها نسخة مخطوطة بمكتبة آيا صوفيا ( برقم ١٦٩٧ ) ونسخة مع مخطوطة جامعة القاهرة المشتملة على رسالة « الأصول العشرة » .. ونص رسالة السفينة هو :

« قال الشيخ نجم الدين الكبرى، قدّس الله روحه: الشريعة كالسفينة، والطريقة كالبحر، والحقيقة كالدرّ.. فمن ترك هذا الترتيب لم يصل إلى الدرّ. فأول شيء وجب على الطالب، الشريعة. والمراد بالشريعة، ما أمر الله تعالى ورسوله من الوضوء والصلاة والصوم وأداء الزكاة والحج وترك الحرام، وغير ذلك من الأوامر والنواهي .

والطريقة، الأخذ بالتقوى<sup>(١)</sup> وما يقربك إلى المولى من قطع المنازل والمقامات .. وأما الحقيقة فهي الوصول إلى المقصد، ومشاهدة نور التجلّي . كما قيل في الصلاة : إن الصلاة خدمة وقربة ووصلة ؛ فالخدمة هي الشريعة، والقربة هي الطريقة، والوصلة هي الحقيقة . كما قيل : الشريعة أن تعبد، والطريقة أن تحضره، والحقيقة أن تشهده .

قيل : ما الخلوة؟<sup>(٢)</sup> قال : الخلوة انقطاع من الخلق إلى الخالق . لأنه سفر النفس إلى القلب، ومن القلب إلى الروح، ومن الروح إلى السر، ومن السر إلى الخالق الكلي .. ومسافة هذا السفر بعيدة جداً بالنسبة إلى النفس، قريبة جداً بالنسبة إلى الله .

طهارة الشريعة بالماء، وطهارة الطريقة بالتخلية عن الهوى وطهارة<sup>(٣)</sup> الحقيقة خلوة القلب عما سوى الله تعالى .. صلاة الشريعة بالأذكار والأركان، وصلاة

(١) في الأصل : يتقوى .

(٢) في الأصل : الخلوة .

(٣) الفقرة التالية ساقطة من المخطوطة، وأوردناها اعتياداً على ما نقله فريتماير من نسخة آيا صوفيا رقم

الطريقة بالانحلاع عن الأكوان والتوجُّه بالكلية إلى الرحمن واستفراغه بذات المناجاة في كل مكان وزمان وصوم الشريعة بالإمساك عن الطعام والشراب ، وصومُ الطريقة الإمساك عن الأوهام شغلاً لمحبة رَبِّ الأنام . زكاةُ الشريعة من كل عشرين مثقالاً نصف مثقال ، وزكاةُ الطريقة التصدُّق بكل المال<sup>(١)</sup> .

ولو<sup>(٢)</sup> رأيت شخصاً يطير في الهواء أو يمشى على البحر ، أو يأكل النار ، وغير ذلك مما يشبه الكرامات ؛ وهو يترك فرضاً من فرائض الله تعالى ، أو سنة من سنن النبي عليه الصلاة والسلام ؛ فاعلم أنه كذاب في دعواه ، وليس فعله كرامات ، بل هو سحر . والله أعلم .

### رسالة الهائم :

قيل عن هذه الرسالة إنها « لم يؤلَّف مثلها في الطريقة »<sup>(٣)</sup> وعنوانها الكامل هو « رسالة الخائف الهائم من لومة اللائم » وتوجد منها عدة أصول مخطوط ، منها مخطوطة بالمكتب الهندي بلندن ( رقم ١٢٥٥ ) ومخطوطة بآيا صوفيا رقم ١٦/٢٠٥٢ ، ومخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٦ ، ومخطوطة بطهران رقم ٥٩٨<sup>(٤)</sup> .

ورسالة الهائم شديدة الشبه بفوائح الجمال ، ففيهما استعراضٌ مطوَّل للطريق إلى الله ، وعلاماته ومقاماته .. وفيهما أيضاً ذكْرٌ للوقائع والمعانيات الروحية التي عاينها الشيخ نجم الدين . وبمقارنة ما ورد في تلك الرسالة بما ورد في فوائح الجمال ، نرى العديد من الموضوعات التي يتكرر ذكرها في المؤلِّفين ، ولكن بصيغة مختلفة .. فمن ذلك ما يحكيه الشيخ نجم الدين من وسوسة الشيطان له - وهو في الخلوة - قائلاً :

(١) قال أحد الفقهاء لأبي بكر الشبلي : كم يكون في خمس من الإبل ؟ قال : شاة في واجب الأمر ، وفيما يلرنا كلها !

(٢) هنا ينتهي الجزء الساقط من مخطوطة جامعة القاهرة .

(٣) ربحانة الأدب ١٤٣/٦ - روضات الجنات ٢٩٧/١ .

(٤) Brocklmann : Gesch. Ip. 787 .

« إني (١) كنتُ أجاهد في الله فجاء الشيطان ليشوّش عليّ الخلوّة والمجاهدة ، فقال : إنك رجلٌ عالمٌ مُتَّبِعٌ آثار رسول الله ، فلو اشتغلت الآن بطلب الآثار - عن المشايخ الحُفَّاظ - وأحاديث الرسول ، كان خيراً لك من هذا ، ولو بقيت في المجاهدة يفوت عليك المشايخ الكبار وإسنادهم العالی .. فكرت أن أزيغ بوسوسته ؛ فهتفت هاتِفٌ : مَنْ يسمع الأخبار من غير واسطة ، حرامٌ عليه سماعها بوسائط ! وتذكرتُ قول الشيخ محمد بن الحسين السلمى في آخر عمره : أستغفر الله ، علوُ الإسناد من زخارف الدنيا .

فعلمتُ أن هذا الخاطر من وساوسه ، فنقيته وانتهيت . فانتقل إلى وسوسة أخرى ، فقال : ما أحسن ما تعرف حيلي ووساوسى ، فلو جمعتها ، وجعلتها كتاباً سمّيته « كتاب حيل المرید على المرید » كان ذلك دُخْرًا لك في الدنيا والآخرة ، يستمسك به الطالبون لله تعالى ، وينجون به من مكائد الشيطان وحيله .. فهملتُ بذلك ، وجمعتها ، فنبهنى الشيخ رحمه الله : إن هذا أيضاً من مكائد الشيطان وحيله ، ليقطع عليك الوقت والأنس والذكر وجمعية القلب .. فانتبهت وانتهيت .

وهذه الواقعة المذكورة في « رسالة الهائم » نراها بصيغة أخرى في « فوائح الجمال » مع بعض الزيادات هنا أو هناك (٢) . وفي الكتابين - أيضاً - نرى تناول التفصيلي لفضل الذكر والأذكار ، وأهمية « دوام الذكر » باللسان مع حضور القلب ، وأثر الذكر في نفس الذاكر ... إلخ (٣) .

ولولا طول الرسالة ، لأوردنا نصّها الكامل ، اعتماداً على مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة . ولذا سنكتفى بهذه الإشارات ، أملاً في أن تخرج هذه المخطوطة إلى النور ، محقّقة ، في مقبل الأيام .

(١) Fritz Meier : Dia Fawaih. p. 280.

(٢) رسالة الهائم ، ورقة ٦٨ ب ( ذكرها ماير ص ٢٨٠ ) - فوائح الجمال ( النص المحقق ) ص ١٤٤ .

(٣) رسالة الهائم ، ورقة ٦٤ أ - فوائح الجمال ص ٢١٤ .

## تفسير القرآن ( التأويلات النجمية ) :

للسوفية نظرتهم الخاصة لآيات القرآن ، ولهم في معاني التنزيل رؤى ومعان عميقة الغور ، وذلك وفقاً لمنهجهم الذوقى فى تناولهم للقرآن ، وقد وضع العديد من الصوفية تفسيرات ذوقية للقرآن - كالكشيري والسلمى والقاشانى<sup>(١)</sup> ونجم الدين داية - عبَّروا فيها عن حقائق القرآن الكريم كما تجلَّت لهم .

ويذكر المؤرخون أن الشيخ نجم الدين « فَسَّرَ القرآن العظيم فى اثنى عشر مجلداً »<sup>(٢)</sup> وهو التفسير المعروف باسم : التأويلات النجمية . وقد ذكره بروكلمان بعنوان « عين الحياة فى التفسير »<sup>(٣)</sup> مشيراً إلى نسختين مخطوطتين له فى استانبول والموصل<sup>(٤)</sup> . كما أخبرنى الدكتور حسن عباس زكى بأن هناك مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية ، لكنى لم أظفر بها .

وقد اعتمد على تفسير نجم الدين اثنان من المفسرين ، الأول تلميذه نجم الدين داية ( المتوفى ٦٥٤ هجرية ) فى تفسيره : بحر الحقائق والمعانى فى تفسير السبع المثانى<sup>(٥)</sup> . والآخر هو إسماعيل حقى البروسوى ( المتوفى ١١٢٧ هجرية ) فى تفسيره : روح البيان فى تفسير القرآن .

وتفسير البروسوى عبارة عن مجموع عدة تفسيرات سابقة ، ذكرها المؤلف فى المقدمة ، ومنها « تفسير نجم الدين الكبرى » الذى يشير إليه البروسوى بتفسير النجم أو بالتأويلات النجمية . وقد نقل البروسوى نصوص الشيخ فى تفسيره ، بحيث يمكن استخراج نص « تفسير نجم الدين » من مجلدات « تفسير

(١) ينسب تفسير القاشانى إلى « ابن عربى » وقد طبع عدة طبعات منسوبة إلى الشيخ الأكبر !

(٢) سير أعلام النبلاء ١١٢/٢٢ - طبقات الشافعية ١١/٥ - الوافى بالوفيات ٢٦٣/٧ .

(٣) ذكره حاجى خليفة بنفس العنوان ( كشف الظنون ١١٨١ ) والبغدادى بعنوان : عين الحياة فى تفسير القرآن ( هدية العارفين ٩٠ ) .

(٤) Brocklmann : Gesch. I, p. 787. ونسخة استانبول توجد بمكتبة كوبرلى ، برقم ٤٩/تفسير .

(٥) بخصوص تفسير نجم الدين داية ، يمكن الرجوع إلى كتب الدكتور سيد عبد الثواب : الرمزية الصوفية فى القرآن الكريم ( دار المعارف - مجموعة كتابك رقم ١٢٢ ) حيث اعتمد عليه المؤلف كثيراً .

البروسوى : روح البيان « وهو ينقل النص بكامله مسبقاً بعبارة : « وفي تفسير نجم الدين » : و « في التأويلات النجمية » .. أو يضع النص عقب الآية القرآنية ، ويختتمه بقوله : « كذا في التأويلات النجمية » ..

ومن خلال ( روح البيان ) استخرجنا تفسير الشيخ نجم الدين وتأويلاته للفتحة :

﴿ الحمد لله رب العالمين \* الرحمن الرحيم ﴾ الحمد شامل الثناء والشكر والمدح ، ولذلك صَدَّر كتابه بأن حمد نفسه ، بالثناء في ﴿ لله ﴾ والشكر في ﴿ رب العالمين ﴾ والمدح في ﴿ الرحمن الرحيم \* مالك يوم الدين ﴾ ثم ليس للعبد أن يحمد بهذه الوجوه الثلاثة حقيقةً ، بل تقليدًا ومجازًا . أما الأول ، فلأن الثناء والمدح بوجهٍ يليق بذاته أو بصفاته ، فرغ معرفة كنههما ؛ وقد قال الله تعالى ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ . وأما الثاني ، فكما أن النبي عليه السلام ، لما خوطب ليلة المعراج بأن « أثن على » قال « لا أحصى ثناء عليك » وعلم أن لا بد من امتثال الأمر وإظهار العبودية ، فقال « أنت كما أثنت على نفسك » فهو ثناءٌ بالتقليد ، وقد أمرنا أيضًا أن نحمده بالتقليد بقوله : ﴿ قل الحمد لله ﴾ كما قال ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ : كذا في التأويلات النجمية<sup>(١)</sup> .

﴿ مالك يوم الدين ﴾ .. وفي التأويلات النجمية : الإشارة في ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أن الدين في الحقيقة الإسلام . يدل عليه قوله تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ والإسلام على نوعين ، إسلامٌ بالظاهر ، وإسلامٌ بالباطن ! فإسلام الظاهر بإقرار اللسان وعمل الأركان ، فهذا إسلامٌ جسدي ، وأجسداني ظلمي ، ويُعبَّر عن الليل بالظلمة . وأما إسلام الباطن ، فبانسراح القلب والصدر بنور الله تعالى ، فهذا الإسلام الرواحاني نوارني ، ويُعبَّر عن اليوم بالنور . فالإسلام الجسداني يقتضي إسلام الجسد لأوامر الله ونواهيه ، والإسلام الرواحاني يقتضي

(١) إسماعيل حقي البروسوى : روح البيان في تفسير القرآن ( طبعة ١٢٨٧ هجرية ) المجلد الأول

استسلام القلوب والروح لأحكام الأزلي وقضائه وقدره . فمن كان موقوفاً عند الإسلام الجسداني ، ولم يبلغ مرتبة الإسلام الروحاني ، فهو بعدُ في سير ليلة الدين متردّدٌ ومتميّزٌ ، فيرى ملوكاً وأملاًكاً كثيرةً ، كما كان حال الخليل عليه السلام ﴿ فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ﴾ ﴿ ومن تنفَّسَ صباحُ سعادتِهِ ، وطلعت شمسُ الإسلام الروحاني من وراء جبل نفسه من مشرق القلب ، فهو على نور من ربه ، فيضحى في كشف ﴿ يوم الدين ﴾ فيكون ورْدُ وقته « أصبحنا وأصبح الملك لله » فيشاهد بعين اليقين ، بل يكشف - حقَّ اليقين - أن الملك لله ، ولا مالك إلا ﴿ مالك يوم الدين ﴾ . فإذا تجلَّى له النهار ، وكُشِفَ بالملك جهاراً ؛ يخاطبه وجاهاً ، ويناجيه شفاهاً ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

ومن لطائف ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أن مخالفة الملك توئل إلى خراب العالم وفناء الخلق ، فكيف مخالفة مالك الملوك ؛ كما قال الله تعالى في سورة مريم ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه ﴾ والطاعة سبب المصالح ، كما قال تعالى ﴿ نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى ﴾ فعلى الرعية مطاوعة الملوك ، وعلى الملوك مطاوعة ملك الملوك لتتنظم مصالح العالم .

ومن لطائفه أيضاً ، أن « ملك يوم الدين » يبيّن أن كمال ملكه يعد له ، حيث قال ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ فالمَلِكُ المجازي إن كان عادلاً حقاً ، دَرَّتْ الضروع ونمت الزروع ؛ وإن كان جائراً ، كان باطلاً فارتفع الخير .. يحكى أن « أنوشروان » انقطع في الصيد من القوم ، فانتهى إلى بستان ، فقال لصبيّ فيه « اعطني رُمّانة » فأعطاه ، فاستخرج من حبّها ماءً كثيراً سكّن به عطشه ، فأعجبه ، وأضمر أخذ البستان من مالكة ! فسأله أخرى ، فكانت عفصة قليلة الماء ، فسأل الصبي عنه . فقال : لعل الملك عزم على الظلم ! فتاب بقلبه ، وسأله أخرى ، فوجدها أطيب من الأولى .. فقال الصبي لعل الملك تاب ! فتنبّه أنوشروان ، وتاب بالكلية عن الظلم ، فبقى اسمه مخلدًا بالعدل ، حتى روى عن رسول الله ﷺ أنه تفاخر فقال : وُلدت في زمن الملك العادل (١) .



﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال في التأويلات النجمية : في قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ رجع إلى الخطاب من الغيب ، لأنه ليس بين المملوك ومالكة إلا حجاب مُلك نفس المملوك . فإذا عبر عن حجاب ملك النفس ، وصل إلى مشاهدة مالك النفس . كما قال أبو يزيد ( البسطامي ) في بعض مكاشفاته : إلهي ، كيف السبيل إليك ؟ قال له ربه : دع نفسك ، وتعال ! فلنفس أربع صفات : أمانةً ، ولوامةً ، ومُلهمةً ، ومِطمئنةً ؛ فأمر العبد المملوك بأن يذكر مالكة بأربع صفات : بالصفة الإلهية ، والربوبية ، والرحمانية ، والرحيمية . فيعبر بعد مدح الإلهية ، وشكر الربوبية ، وثناء الرحمانية ، وتمجيد الرحيمية - بقوة جذبات هذه الصفات الأربع - من حجاب ممالك الصفات الأربع للنفس ، فيتخلص من ظلمات ليلة رين نفسه ، بطلوع صبح صادق ﴿ مالك يوم الدين ﴾ فيبقى العبد عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء ، فيرحمه مالكة ، ويذكره بلسان كرمه على قضية وعد ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ ويناديه ويخاطب نفسه ﴿ يا أيها النفس المطمئنة ﴾ ثم يجذبه من غيبة نفسه إلى شهود مالكية رَبِّه ، يجذبه ﴿ ارجعي إلى ربك ﴾ فيشاهد جمال مالكة ويناديه نداءً عبدي خاشع ذليل عاجز<sup>(١)</sup> .

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ .. وفي التأويلات النجمية : إن أقسام الهداية ثلاثة : الأولى هداية العامة ، أي عامة الحيوانات ، إلى جلب منافعها وسلب مضارها .. وإليه أشار بقوله تعالى ﴿ أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ وقوله ﴿ وهديناهم لنجدنا ﴾ .

والثانية هداية الخاصة ، أي المؤمنين ، إلى الجنة .. وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ يهديهم ربهم بإيمانهم .. ﴾ .. الآية .

والثالثة هداية الأخص ، وهي هداية الحقيقة إلى الله ، بالله .. وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ وقوله ﴿ إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين ﴾ وقوله ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ وقوله

(١) روح البيان ١٨/١ .

﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ أى كنت ضالاً فى تيه وجودك ، فطلبتك بمجودى ، ووجدتك بفضللى ولطفى ، وهديتك بمجذبات عنايتى ونور هدايتى إلى ، وجعلتك نوراً فأهدى بك إلى من أشاء من عبادى ، فمن اتبعك وطلب رضاك ، فنخرجهم من ظلمات الوجود البشرى إلى نور الوجود الروحانى ، ونهديمهم إلى صراط مستقيم . كما قال تعالى ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين \* يهدى به الله ﴾ والصراط المستقيم هو الدين القويم ، وهو ما يدل عليه القرآن العظيم ، وهو خلق سيد المرسلين صلوات الله عليهم ، فيما قال تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ هم الذين أخطأهم ذلك النور فضلوا فى تيه هوى النفس ، وتاهوا فى ظلمات الطبع والتقليد ، فغضب الله عليهم ، مثل اليهود<sup>(١)</sup> ..

\* \* \*

وهكذا يغوص نجم الدين الكبري فى بواطن آيات الفاتحة ، ويستجلى بواطن المعنى اعتماداً على ذوق الصوفى وتعلقه بالبعدين من الحقائق ، ولذا فإن ما يقدمه الشيخ نجم الدين هو « تأويلات » وليس « تفسير » إذ إن التفسير هو شرح المعنى على ما يقتضيه ظاهر الأمر ، أما التأويل فهو القراءة العميقة لباطن النص . ولا يشغل الشيخ نفسه فى تأويلاته بالقضايا السطحية التى انشغل بها علماء الظاهر ، فهو إن توقف عند الآية ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ لا يدخل فى تلك المناقشات النظرية حول طبيعة الاستواء ، بل يوجه الأمر كله ناحية المعنى الصوفى فيقول : أى استتمّ وتمكّن تجليه على عرش استعدادات المظاهر السماوية الروحانية والمظاهر الأرضية الجسمانية ، ما تجلى لعرش استعداد شىء ، إلا بحسب قابليته وقبوله ، لا زائد ولا ناقص<sup>(٢)</sup> وهكذا تكون قضية الاستواء فى التأويلات النجمية مرادفة لقضية التجليات فى المفهوم الصوفى ، بل إن قضية الوجود بأسره ، هى عند الشيخ قضية تجليات .. فهو يتأول قوله تعالى ﴿ هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ﴾ فيقول : هو الذى تجلّى للأشياء كلها بذاته الموصوفة

(١) روح البيان ٢٤/١ .

(٢) روح البيان ١٣٢/٦ .

بالصفات الست « الحياة ، العلم ، والقدرة ، الإرادة ، السمع ، البصر » إذ تجلّى الوجود لا يكون إلا مع لوازمه ولواحقه ، كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ ﴾ والتسبيح يستلزم الحياة ، وما يترتب عليها من العلم بالتسبيح وبالمسبح ، ومن القدرة على التسبيح ، والإرادة بتخصيص المسبح ، ومن السمع إذ كل مسبح لا بد له من استماع تسبيحه ، ومن البصر إذ لا بد لكل مسبح أن يشاهد المسبح في بعض مراتب الشهود<sup>(١)</sup> . وفي قوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴾ يقول الشيخ : خلق كل شيء بحسب الوجود فيه ، فسوى تسويةً يصل بها الفيض الإلهي المعد له بحسب استعداده الفطري<sup>(٢)</sup> .

ولا يزال تفسير الشيخ - أو تأويلاته - ينتظر عناية الباحثين والدارسين ، إذ إن الدراسة والبحث في هذا العالم الرحب ، من شأنهما الكشف عن الكثير من آفاق المعرفة الصوفية .

### الرباعيات :

ترك الشيخ نجم الدين مجموعة من الأشعار على شكل « رباعيات » وهو شكل مشهور من أشكال الشعر الفارسي . ولم تمتد يد الدارسين بعد إلى تلك الرباعيات المتناثرة التي لا يضمها ديوان واحد ، وهي لم تنزل في أصولها الفارسية ، ولم يترجم منها - فيما نعلم - أية أجزاء إلى اللغة العربية .

وكنا قد عقدنا فصلاً في كتابنا « شعراء الصوفية المجهولون » حول شعر نجم الدين كبرى ، فجمعنا عدداً من رباعياته المذكورة في ( ریحانة الأدب ) و ( روضات الجنات ) وترجمناها - بمعاونة الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا - فكان من جملة ذلك قوله :

(١) روح البيان ١٣٢/٦ .

(٢) روح البيان ٦٦٨/٦ .

(٣) انظر كتابنا « شعراء الصوفية .. » ص ٥١ وما بعدها .

حاکمان در زمان معزولى همه شبلى ويايزيد شونند  
بازجون برسر عمل آيند همه جون شمير و جون يزيد شونند

وترجمة الرباعية :

- الحکام فى وقت عزلم
- کلهم الشبلى وأبو يزيد
- وإذا عادوا لسلطتم
- فکلهم مثل شمير ومثل يزيد

يريد الشيخ أن يقول : إن ذوى السلطان لا دوام لحالمهم ، ففى أوان ابتعادهم وإقصائهم عن الحكم ، نجدهم زهاداً كالصوفية ( أبى بكر الشبلى ، أبى يزيد البسطامى ) فإذا عادوا للسلطة ، نسوا زهدهم وصاروا من أهل الظلم والبطش أمثال ( شمير بن ذى الجوشن ) قاتل الحسين فى كربلاء ، و ( يزيد ابن معاوية ) الذى نكّل بآل بيت النبوة . والرباعية فى مجملها إشارة إلى تلاعب خمر السلطة بعقول البشر ..

وفى رباعية أخرى ، يصف الشيخ حال الإنسان الفقير المعدم ، فيقول :

کر جهودى قراضة أى دارد خواجه نامدار وفرزانة است  
وأنکه دين دارد وندارد مال کر همه بو على است ديوانة است

وترجمتها :

- لو أن يهودياً لديه فئات مال
- فهو يكون السيد والوجيه
- من لديه الدين وليس لديه المال
- يصير مجنوناً ، ولو كان أباً على

وهنا إشارة إلى سلطان المال على نفوس البشر ، فها هو اليهودى يتملك ويسود بالمال ، وها هو المعدم يصيبه الجنون ، حتى لو كان رئيس الحكماء أباً على ابن سينا ..

وفي رباعية صوفية يقول الشيخ :  
 أين لا له رخان كه أصلشان أز جكل أست  
 يارب كه سرشت باكشان أزجة كل أست  
 دل را ببرند وقصد جان ميز كنند  
 أينست بلا وكرنا زيشان جه كله أست<sup>(١)</sup>

وترجمتها :

- ذوات الحدود التي تشبه الشقائق ، وأصلهن من شَجَل<sup>(٢)</sup> .
- يارب ، من أية طيبة عجبتهم الطاهرة ؟
- إنهنَّ يسلبنَّ القلب ، ثم يتوجهن إلى الروح .
- وهذا بلاء ، وليس للشكوى منهن سبيل !

وهنا يستخدم الشيخ الرموز الصوفية ، فيشير بذوات الحدود الوردية إلى تجليات الجمال الإلهي في الكون .. تلك التجليات التي تذهب بعقول المحققين من الأولياء ، المندهشين تحت سطوة الجمال الأزلي ، فلا يملكون اعتراضاً أو شكوى .  
 وأخيراً ، يرمز الشيخ للواردات الإلهية بحَبَّة الشعير ، ويقول بوجوب التضحية في سبيل تلك الحبة بالدنيا وما فيها :

درکوی تو مید هند جانی بجوی      جان راجا محل كه کاروانی بجوی  
 از تو صنمة جوی جهسانی آرزد      زین جنس كه مائیم جهانی بجوی<sup>(٣)</sup>  
 وترجمتها :

- في حَيْك ، يضحون بالروح لقاء حَبَّة شعير !
- وما الروح ( إنهم يضحون ) بقافلة في مقابل حَبَّة الشعير .
- فإن حَبَّة منك أيها الحبيب ، تساوى عالمًا .

(١) الرباعيات الثلاث السابقة ، ذكرها ميزرا محمد علي مدرس في كتابه : ریحانة الأدب .

(٢) شجل : مدينة فارسية من بلاد ما وراء النهر مشهورة بالنساء الجميلات .

(٣) هذه الرباعية ذكرها الخوانساري في « روضات الجنات » قائلاً : ومن جملة أشعار الشيخ نجم الدين ، نقل الشيخ أبي هاشم الكازروني ، هذه الرباعية ..

– فلنبحث في مقابليها ، عن دنيا كاملة ممن هن على شاكلتنا .

\* \* \*

وهناك مجموعة أخرى من المؤلفات التي نسبها المؤرخون والمفهرسون للشيخ نجم الدين ، لكننا لم نطلع عليها لتثبت من نسبتها إليه .. ضمن تلك المؤلفات :

- ١ – سيرُ الحدس<sup>(١)</sup> .
- ٢ – طوابع التنوير<sup>(٢)</sup> .
- ٣ – رسالة الطرق<sup>(٣)</sup> .
- ٤ – منازل السائرين ومنهاج السالكين<sup>(٤)</sup> .
- ٥ – سكنات الصالحين<sup>(٥)</sup> .
- ٦ – آداب المريدين .
- ٧ – الرسالة الكبرى .
- ٨ – مقدمة مختصرة مفيدة .
- ٩ – فصل في فضل الذكر .
- ١٠ – رسالة في السلوك .

(١) ذكره البغدادي في هدية العارفين ( ص ٩٩ ) وعنوانه غريب على لغة التصوف بعامة ولغة الشيخ نجم الدين بخاصة .

(٢) ذكره البغدادي ( هدية العارفين ص ٩٠ ) وللبياضوى كتاب بعنوان قريب : طوابع الأنوار .

(٣) ذكرها البغدادي ( هدية العارفين ص ٩٠ ) وكحاله ( معجم المؤلفين ٣٤/٢ ) وفي كشف الظنون ( ص ٨٧٦ ) ما يفيد بأنها رسالة « الأصول العشرة » .

(٤) في روضات الجنات ( ٢٩٥/١ ) ما نصه : نجم الدين الكبرى صاحب كتاب منازل السائرين وغيره .. وفي ربحانة الأدب ( ١٤٣/٦ ) : منازل السائرين ومنهاج السائرين ، كشف الظنون ذكره .. وبالرجوع إلى كشف الظنون لم نجد ! والموجود هناك : منازل السائرين للهروي ، منهاج السالكين لإسماعيل الأنقروى .. ولعل الإشارة تكون لمنازل السائرين للشيخ نجم الدين داية ( تلميذ الشيخ ) .

(٥) المؤلفات من ٥ : ١٠ ذكرها بروكلمان ( Gesch.I, 787 ) ونعتقد أن رقم (٧) ورقم (١٠) هما إحدى رسالتى الشيخ « الأحوال العشرة – السفينة » ورقم (٩) هو فصل من فوائح الجمال أو رسالة الهائم .

وتحتاج هذه المؤلفات إلى مراجعة نقدية لما هو مخطوط منها ، لإثبات صحة نسبتها للشيخ . أما المفقود منها ، فلا سبيل للكشف عن صحة نسبته إلا مع ظهور نسخة خطية منه ، أو وجود اقتباسات في مؤلفات الصوفية ، أو إشارة مؤكدة من بعض تلاميذ الشيخ المباشرين ؛ وكلها أمور لا تتوفر لنا الآن .. فلنتحدث عن الكتاب الأشهر للشيخ .

### فوائح الجمال وفوائح الجلال :

هو أشهر مؤلفات الشيخ وأكثرها استيعاباً لحياته الروحية .. تحدّث فيه عن شتى الموضوعات الصوفية ، وذكر فيه العديد من الوقائع التي عاينها في خلواته وخلال صحبته للمشايع . ولا يوجد أدنى شك في نسبة هذا الكتاب للشيخ نجم الدين ، بل يعد الكتاب ترجمة ذاتية للشيخ - أو تصوير لرحلة عروجه - وهو مذكور له في معظم المصادر إما كاملاً « فوائح الجمال وفوائح الجلال »<sup>(١)</sup> وإما مختصراً « فوائح الجمال » .. وهو في معجم المؤلفين : فوائح الجمال وفوائح الجلال<sup>(٢)</sup> !

وكلمتي « فوائح ، وفوائح » من الألفاظ ذات المذاق الصوفي ، وقد جعلهما العديد من المؤلفين عناوين لكتبهم ، فمن ذلك : الفوائح الإلهية والمفتاح الغيبية ( تفسير صوفي ) للشيخ بابا نعمة الله النخجواني - فوائح الأسرار في شرح مقدمة التشريح للعلامة كمال الدين السيواسي - فوائح الأسرار الإلهية لمجهول - فوائح السور للغزالي<sup>(٣)</sup> - فوائح الأسرار للمبيدي - فوائح أزهار الحقائق ولوائح أنوار الطرائق لكمال الدين الحلبي - الفوائح الجنانية في المدائح الروضانية للإدكاوي - فوائح عُرف الصفا في مدائح السيد أبي الوفا للسندوني - فوائح المسك العبوق في لوائح السلك الدسوقي لكمال الدين الحلبي - الفوائح المكية والروائح المسكية لابن بشاشة<sup>(٤)</sup> .. وأصحاب هذه المؤلفات جميعاً ، عدا الغزالي ، متأخرون زمنًا

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ص ١٢٩٢ .

(٢) كحاله : معجم المؤلفين ٣٤/٢ .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ص ١٢٩٣ .

(٤) البغدادى : إيضاح المكنون ٢٠٣/٢ .

عن الشيخ نجم الدين ؛ مما لا يُستبعد معه أنهم استفادوا منه في وضع عناوين كتبهم ! أما قبل الشيخ نجم الدين ، فلا نكاد نجد كتباً بعنوان الفوائح أو الفوائح .  
وفي الكتاب إشكال ، فقد ذكر العديد من المترجمين والمفهرسين ، أن الكتاب بالفارسية<sup>(١)</sup> .. مع أن النسخ التي بين أيدينا كلها بالعربية ، حتى مخطوطات الكتاب الموجودة في طهران<sup>(٢)</sup> ، ولا توجد أية مخطوطات منه بالفارسية . ونعتقد أن مرد الإشكال إلى أن أحد المفهرسين - ولعله حاجي خليفة - قد ذكر أن الكتاب بالفارسية ، سهواً منه ، فنناقل السهو الذين اعتمدوا عليه ونقلوا عنه دون تدقيق .

\* \* \*

والآن .. لندخل في عالم الشيخ نجم الدين كبرى من خلال كتابه « فوائح الجمال » في تلك النشرة المحققة ؛ فنذكر أولاً طريقة التحقيق ، ثم نقدّم النص المحقّق للكتاب .

(١) كشف الظنون ص ١٩٩٢ .. هدية العارفين ص ٩٠ - ریحانة الأدب ٦/١٤٣ .

(٢) يقول الدكتور قاسم غنى : توجد رسالتان باللغة العربية للشيخ نجم الدين الكبرى في مجموعة المخطوطات تحت رقم ٥٩٨ في مكتبة مجلس الأمة الإيراني ( مجلس شورای ملی ) إحداهما الرسالة المسماة بفوائح الجمال وفوائح الحلال ، وتاريخ كتابتها سنة ٧٠٩ وثنائهما الرسالة المسماة بالهائم ، وهي ناقصة .. تاريخ التصوف ، ص ٧٥٨ ) .



# منهج التحقيق

## نسخ التحقيق :

اعتمدنا في إخراج النص المحقق لكتاب « فوائح الجمال » على ثلاثة أصول :  
اثنان منهما نسخٌ خطية باليد ، من مكتبة الدكتور/ حسن عباس زكى<sup>(١)</sup> .  
بالإضافة إلى نشرة فريتز ماير للكتاب ، وهى النشرة التى طبعت فى فِسْبَادَن بألمانيا  
سنة ١٩٥٨ . التى اعتمد فى إخراجها على المخطوطات التالية : مخطوطة مكتبة  
آياصوفيا باستانبول رقم ٤٨١٩ بتاريخ ٨٣٠هـ وهى نسخة غير مصحّحة  
- مخطوطة المكتبة الأزهرية بالقاهرة رقم ٣٤٨٠٠ بدون تاريخ ، ولم يرجع إليها  
المحقق إلا فى بعض المواضع المشكوك فيها - مخطوطة مكتبة فيض الله أفندى  
باستانبول رقم ٢١٣٥ بتاريخ ٧٦٨هـ - مخطوطة مكتبة جامع الفاتح باستانبول  
رقم ٣٧٥٦ بتاريخ ٦٩٤هـ - مخطوطة مكتبة فيينا رقم ١٨٩٧ بتاريخ ٧٨٤هـ ..  
ويقول فريتز ماير إنه لم يوفّق فى معرفة الصلة بين النسخ المذكورة ، وإن مخطوطة  
فيض الله أفندى كانت هى النسخة التى اعتمد عليها - فى أغلب الأحوال - فى  
نشر الكتاب .

وكنا قد بدأنا فى تحقيق النص اعتماداً على نسختى الدكتور حسن عباس  
زكى ، وأوشكنا على الانتهاء ، حتى حصلنا على نشرة فريتز ماير فوجدناها نشرة  
طيبة ، إلا أننا لاحظنا الآتى :

أولاً : أنها نشرة نفذت من زمن طويل ، ويبدو أنها لم تطبع على نطاق واسع ؛  
والحصول عليها أمر صعب ، أهون منه الحصول على إحدى مخطوطات الكتاب .

---

(١) حسن عباس زكى من رجال العلم والسياسة البارزين فى مصر المعاصرة ، ولد فى مدينة بورسعيد سنة  
١٩١٧ ودرس فى كلية التجارة ثم أكمل دراساته العليا فى واشنطن ، وتولى الوزارة عدة مرات من سنة  
١٩٥٧ إلى سنة ١٩٧١ ثم عمل مستشاراً مالياً للشيخ رايد بن سلطان وهو يتولى اليوم رئاسة العديد من  
البنوك والشركات ، إلى جانب رئاسته للمجلس الأعلى لجمعية التبناك المسلمين .. وتحتوى مكتبته  
الخاصة على كنوز التراث العربى المطبوع والمخطوط .

ثانياً : أن النشرة خالية من تعليقات المحقق إلا في بعض المواضع التي لا تتعدى أصابع اليد الواحدة . وقد أوردنا تلك التعليقات بنصّها في هوامش تحقيقنا للكتاب الذي رأينا أنه بحاجة إلى تلك التعليقات الكثيرة التي وضعناها في تحقيقنا هذا .

ثالثاً : أن هناك العديد من الاختيارات غير الصائبة ، أو غير الدقيقة ؛ فاستبعدناها من المتن وذكرناها في هامش التحقيق لمن أراد المراجعة .

ومع ذلك ، فالنشرة - كما أسلفنا - طيبة ، وكان من الممكن أن نقنع بها ونصرف عن تحقيق الكتاب لولا ندرتها وصعوبة الحصول على نسخة منها .. وقد رمزنا لتلك النشرة في هوامش التحقيق بالرمز ( أ ) .

أما نسختنا مكتبة الدكتور حسن عباس زكي ، فهما كالأتي : المخطوطة الأولى حديثة النسخ ، واضحة الخط ، ناسخها كثير السهو . وهي تقع في ٨٠ ورقة ( مقاس ٢٤ × ١٧ سم ) وقد رمزنا إليها في الهامش بالرمز ( ب ) والمخطوطة الثانية تقع في ٣٢ ورقة من الحجم الكبير ( مقاس ٣٧ × ٢٦ سم ) وهي رديئة الخط ، وإن كان ناسخها أدق من الناسخ الأول .. وقد رمزنا لها بالرمز ( ج ) .

وفي إخراجنا للنص لم نعتمد على أصل واحد نعتبره أساس التحقيق ، بل كانت غايتنا استخراج نص سليم بالاعتماد على الأصح من الأصول الثلاثة التي اعتمدنا عليها . وقد أخرجنا النص مشكولاً في بعض المواضع المُستشكلة ، ووضعنا علامات الترقيم والفواصل ، وقسمناه إلى فقرات مناسبة .

### الهوامش :

تشتمل هوامش التحقيق على الآتي : الاختلاف بين النسخ الثلاث ، تخريج الآيات والأحاديث النبوية<sup>(١)</sup> ، التعليق على النقاط الدقيقة الواردة في المتن ، شرح المصطلحات الصوفية .

(١) إذا وردت في النص إشارة إلى آية أو حديث نبوي ، ذكرنا ذلك بنصه في الهامش لتوضح تلك الإشارة .. وإذا كان للآية أو الحديث أكثر من تخريج ، ذكرناه في الهامش كاملاً .

وقد اهتممنا بالتعليقات الهامشية على النص ، لتكون باباً للفهم الصحيح لعبارات الشيخ وإشاراته ، خاصةً أنه يلجأ في أحيان كثيرة لاستخدام الرموز الصوفية التي تدق عن أفهام بعض القراء ، إن لم يكن أغلبهم .. ومع ذلك ، فلم نسرف في التعليق بحيث يصير بحثاً مفرداً حول هذه النقطة أو تلك ، وإنما اكتفينا بالقدر الذى يسمح بقراءة النص قراءةً صحيحة ، مع ذكر المراجع لمن يريد الاستزادة .

#### العناوين الجانبية :

لم نكن يوماً من أنصار وضع المحقق للعناوين الجانبية في متن النص ، لكننا اضطررنا لذلك في هذا الكتاب نظراً لعدم كفاية العناوين فيه ، فالشيخ يضع لبعض الفصول عناوين ولا يضع للبعض الآخر ويحشد الموضوعات متنقلاً بسرعة من دقيقة صوفية إلى معانية ذوقية إلى شرح مصطلح أو بيان حالٍ وذكر وقائع ، دون أن يضع من الفواصل والعناوين ما يمهد وينبه للتنقل بين تلك الموضوعات .

ولذا كانت هذه هي المرة الأولى التى نضع فيها عناوين جانبية لنصٍّ محقق ، كى تسهل متابعة الشيخ نجم الدين وهو ينتقل من موضوع لآخر .. فإذا كان العنوان موجوداً في الأصول ، تركناه كما هو - مع كتابته بينط مميّز - وإن كان العنوان من عندنا ، وضعناه بين أقواس معقوفة [ ] ليكون متميزاً عن النص الأصلي ، ومن البديهي أن العناوين التى وضعناها ، مستمدة من كلام الشيخ نفسه ، بحيث لا تبدو مقحمة على النص .

## الرموز المستخدمة :

استخدمنا في هوامش التحقيق تلك الرموز ، للاختصار :

- |   |                                  |
|---|----------------------------------|
| أ | نشرة فريتز ماير لفوائح الجمال .  |
| ب | مخطوطة د. حسن عباس زكى الأولى .  |
| ج | مخطوطة د. حسن عباس زكى الثانية . |
| + | إضافة هامشية في أحد الأصول .     |
| - | كلمة ساقطة من أحد الأصول .       |

والنقط المتجاورة ( .. ) لا تشير إلى مواضع ساقطة ، كما هو الحال في بعض النشرات المحققة .. وإنما هي ، فقط ، للفصل بين العبارات على نحو ييسر القراءة . وتجدر الإشارة إلى أنه لا توجد في النص أية مواضع ساقطة أو غير مقروءة ، فنصُّ « الفوائح » كما سنقرأه ؛ نصُّ كامل .

\* \* \*

وتبقى نقطة أخيرة ، لاحظناها أثناء التحقيق ، وهي تلك العجمة التي نراها في النص كاستخدام الضمائر وأسماء الإشارة بشكل غير دقيق ! فنرى ( هذا ) تشير إلى المؤنث ، والعكس .. إلى جانب استخدام حروف الجر على نحو غير دقيق . وقد اعتقدنا أول الأمر أن تلك العجمة من الشيخ نجم الدين ، نظرًا لأن العربية لم تكن لغته الأولى كالفارسية .. وفي اللغة الفارسية لا توجد فروق بين المذكر والمؤنث ، فالضمير واسم الإشارة واحد في الحالين . لكن هذا الاعتقاد ثبت تهافته لما راجعنا أعمال وكتابات الشيخ ، كالرسائل الصوفية والتفسيرات القرآنية ، فوجدناها سليمة اللغة ؛ بل فصيحة وبلغية . هذا بالإضافة إلى أن لغة التأليف الأولى عند الشيخ هي العربية وليست الفارسية . فهو لم يؤلف بالأخيرة إلا تلك الرباعيات الشعرية ، أما كتبه ورسائله فكلها بالعربية التي كانت لغة الدين والثقافة في عصره .

وهكذا لم يبق إلا القول بأن الشيخ أملى الكتاب على أحد مريديه ممن لم يتقنوا العربية إتقاناً تاماً ، أو أن أحد النساخ الأصليين للكتاب كان من الفرس غير المتقنين للعربية ، فكتب تلك الهنات اللغوية ، ثم جاء النساخ من بعده وتناقلوا الكتاب كما هو ، خاصةً أن وفاة الشيخ كانت إبان هذا الخراب الذي أحدثه المغول ، مما يعنى أن مكتبة الشيخ الأصلية تبددت لا محالة ، فلم يبق من مؤلفاته إلا تلك النسخ التي كُتبت في أماكن بعيدة ، وفي عصور بالية .. فكان ضمن ذلك ، تلك النسخة التي نَحَطُّها ذلك الفارسي . ذو العجمة ، وتناقلها السَّاخ من بعده كما هي .

وعلى أية حال ، فقد أصلحنا تلك الهنات ، مع التنبيه في الهامش عليها .. خاصةً أنها قليلة ، ولا تؤدي إلى تغيير سياق كلام الشيخ نجم الدين .

\*\*\*

فوائح الجمال وفوائح الجلال  
( النص المحقق )

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى عَلَّمَنَا منطِقَ الطير<sup>(١)</sup> ، وَأَمَّنَّا غَوَائِلَ الغير<sup>(٢)</sup> ، وبَصَّرَنَا  
بعلامات السير<sup>(٣)</sup> .. حمدًا يتضاعف أبدًا ، والصلاة على رسوله سرمدًا .  
قال شيخنا ومولانا ، الإمام الأجلُّ ، نجم الملة والدين ، قطب  
الإسلام والمسلمين ، برهان الطريقة ، مُحْيِي السُّنَّة<sup>(٤)</sup> ، حُجَّةُ الحَقِّ<sup>(٥)</sup> ؛  
أبو الجنَّاب أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله ، الصوفى ، الحَيَّوقِ<sup>(٦)</sup> ،  
الخوارزمى ، المعروف بنجم الدين الكُبرى . قَدَّسَ اللهُ روحه ، ورضى  
عنه وعن والديه :

### [ حَقَائِقُ صُوفِيَّة ]

اعلم يا حبيبي - وفَّقَكَ اللهُ لما يحبُّ ويرضى - أن المُرَادَ اللهُ ،

---

(١) منطِقُ الطير ، عنوانٌ لعمل صوفى شهير تحدث فيه مؤلف « فريد الدين العطار » عن  
رحلة الأرواح إلى الحضرة الإلهية ، بأسلوب شعريٍّ رمزيٍّ آسرٍ .. والضمير في  
« عَلَّمَنَا » هنا ، يعود بالأصالة إلى النبي سليمان - الذى عَلَّمَهُ اللهُ لغة الطير -  
وبالإضافة إلى أولياء الله الذين يسمعون الرسائل الإلهية المبثوثة في أصوات الطيور .. وهذا  
لونٌ من السماع الصوفى الخاص .

(٢) الغير ، هم كل ما سوى الله .. ويُشار إلى ذلك بلفظتى : غير ( أغيار ) - سوى .

(٣) يقصد : قطع المراحل في الطريق الصوفى العارج إلى الله .

(٤) يشير هذا اللقب إلى كذب الادعاء بأن الشيخ نجم الدين كان شيعيًا .

(٥) أى الذى يكون حُجَّةً لله على خلقه يوم الحساب .

(٦) بسمة إلى بلدة « حَيَّوق » من نواحي خوارزم .



والمريد نورٌ منه<sup>(١)</sup> . وأن الله ما ظلم أحدًا . وأن كلَّ أحدٍ ففيه روحٌ منه ، وعقل له<sup>(٢)</sup> . وجعل له سمعًا وأبصارًا وأفئدة<sup>(٣)</sup> . وأن الناس في عمى ، إلا من كشفَ الله عنه الغطاء ؛ والغطاء ليس شيئًا خارجًا عنهم ، بل هو منهم ، وهو : ظلام وجودهم .

### [ اختبار روحى ]

يا حبيبي ، أطبق جفنيك وانظر ماذا ترى . فإن قلتَ « لا أرى حينئذ شيئًا » فهو خطأ منك ! بلى تُبصر ، ولكن « ظلام الوجود » لفرط قربه من بصيرتك ، لا تجده .

فإن أحببت أن تجده<sup>(٤)</sup> ، وتبصره قدامك - مع أنك مطبق جفنيك - فنقص من وجودك شيئًا ، أو ابعُد من وجودك شيئًا . وطريق تنقيصه ، والإبعاد منه قليلاً : المجاهدة .

ومعنى المجاهدة « بذل الجهد في دفع الأغيار » أو « قتل الأغيار » ؛ والأغيارُ : الوجودُ والنفسُ والشيطان .

### [ طرق المجاهدة ]

وبذل الجهد مضبوطٌ بطرق :

- 
- (١) في ب : نوره - والمريد هو الصوفي المبتدئ . والمعنى هنا : أن الله تعالى هو المطلوب الحقيقي للمتصوف ، وأن المريد لا يريد الحق تعالى إلا بتوفيق منه عز وجل .
- (٢) لعل المراد هنا ، هو النفخة الإلهية في آدم ، تلك التي يتوارثها بنوه .
- (٣) الآية : وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة .. الأحقاف ٢٦ .
- (٤) الضمير هنا عائد إلى الله - عز وجل - الذى هو المراد .

الأول ؛ تقليل الغذاء بالتدريج .. فإن مَدَدًا<sup>(١)</sup> الوجود ، والنفس ،  
والشيطان ؛ من الغذاء .. فإن قَلَّ الغذاء ، قَلَّ سلطانها<sup>(٢)</sup> .

والثاني ؛ تركُّ الاختيار وإفناؤه في اختيار شيخ مبلغ مأمون<sup>(٣)</sup> ، ليختار  
له ما يُصلحه . فإنه<sup>(٤)</sup> مثل الطفل أو الصبي الذي لم يبلغ مبلغ الرجال ، أو  
السفيه المبذّر .. وكُلُّ هؤلاءك ، لا بدَّ لهم من وصيٍّ ، أو وليٍّ ، أو  
قاضي ، أو سلطانٍ يتولى أمرهم<sup>(٥)</sup> .

(١) ب ، ج : مرد .

(٢) الجوع هو أحد الطرق الأربعة للمجاهدة ، وهي الطرق التي ذكرها « سهل بن عبد الله  
التستري » في عبارته الشهيرة : ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربع خصال ، بإخماس  
البطون ، والسهر ، والصمت ، واعتزال الناس ( انظر : قوت القلوب في معاملة المحبوب  
٩٥/١ - إحياء علوم الدين للغزالي ٧٥/٣ ) وقد عُرِفَت هذه الطرق بعد ذلك اختصاراً ،  
بالجوع والسهر والصمت والخلوة .. والأبدال مرتبة في طريق الولاية .

أما عن المجاهدة بالجوع ، فقد استند فيها الصوفية للعديد من الأحاديث النبوية  
الشريفة في فضل الجوع ودم الشبع ، وما يشير إليه الشيخ هنا مستمد بشكل خاص من  
الحديث : إن الشيطان يجرى في ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ( رواه  
السيوطي في الجامع الصغير ٨٢/١ ) .

وكان زهاد الشام الأوائل ، يسمون الجوعيين من كثرة مجاهدتهم به ، ثم توالى  
مجاهدات الصوفية بتلك الرياضة الجوعية وتكررت إشاراتهم وعباراتهم حولها ، حتى إن  
الغزالي ذكر في الإحياء ( ٨١/٣ وما بعدها ) عشرة فوائد للجوع ! ومع ذلك فقد نَبَّه  
المتصوفة الكبار على أن المرید لا يجوز له أن يمعن في رياضة الجوع حتى تسقط قواه ويقعد  
عن القيام بالفروض والواجبات الشرعية .

(٣) الشيخ هو المرشد الروحي في الطريق الصوفي ، القائم بتربية المريدين وحفظ أوقاتهم عليهم  
من جهة الشريعة والحقيقة . وللشيخ المرنى صفات وسمات وخصال وشروط ومهام ،  
يضيق المقام هنا عن استعراضها ، وقد تناولنا ذلك بشيء من التفصيل في كتابنا : الطريق  
الصوفي ( دار الجيل - بيروت ، ص ٤٣ وما بعدها ) كما يمكن الرجوع إلى الفصول  
الوافية التي وضعها السهروردي في كتابه : عوارف المعارف ص ٧٣ وما بعدها ،  
ص ١٩٨ وما بعدها .

(٤) الإشارة هنا للمريد المبتدئ .

(٥) ب : أمره .

والثالث من الطرق ؛ طريقة الجُنَيْد<sup>(١)</sup> - قَدَّسَ اللهُ روحه - وهى ثمان شرائط : دوام الوضوء<sup>(٢)</sup> ، ودوام الصوم ، ودوام السكوت<sup>(٣)</sup> ، ودوام الخَلْوَة<sup>(٤)</sup> ، ودوام الذكر - وهو : لا إله إلا الله - ودوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه بفناء تصرفه فى تصرف الشيخ ،

(١) هو شيخ الطائفة « الصوفية » أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد ، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين ( سير أعلام النبلاء ٦٦/١٤ ) وتوفى سنة ٢٩٨ هجرية على قول الذهبى ( المرجع السابق ص ٧٦ ) أو سنة ٢٩٧ هجرية على قول السلمى ( طبقات الصوفية ص ٣٦ ) .

ويعد الجنيد من رواد الطريق الصوفى الذين التزموا فى أحوالهم وأقوالهم بظاهر الشرع ، إذ كان من أهل التمكين الذين لم تصدر عنهم الشطحات والمعانى الغريبة - كالحلاج - مما جعله فى مرتبة لا يختلف عليها اثنان من حيث الرفعة .. وكان الجنيد صوفياً ومتكلماً وفقهياً - على مذهب أئمة ثور - ومحدثاً ، وله فى التصوف لطائف ورسائل نُشرت مؤخرًا . راجع ترجمته فى :

حلية الأولياء ٢٥٥/١٠ - تاريخ بغداد ٢٤١/٧ - الرسالة القشيرية ص ١٨  
طبقات الحنابلة ١٢٧/١ - المنتظم ١٠٥/٦ - صفة الصفوة ٤١٦/٢ - وفيات الأعيان ٣٧٣/١ - العبر فى خبر من غير ١١٠/٢ - دول الإسلام ١٨١/١ - مرآة الجنان ٢٣١/٢ - طبقات الشافعية ٢٦٠/٢ - البداية والنهاية ١١٣/١١ - طبقات الأولياء لابن الملقن ص ١٢٦ - النجوم الزاهرة ١٦٨/٣ - شذرات الذهب ٢٢٨/٢ .  
(٢) فى الحديث الشريف : « الوضوء سلاح المؤمن .. » ولا يزال الصوفية إلى اليوم يهتمون بهذه القاعدة الشرعية الذوقية ، فنرى الواحد منهم دائم تجديد الوضوء ، خاصة قبل النوم .

(٣) الإشارة هنا لرياضة « الصمت » التى هى واحدة من الطرق الأربع للمجاهدة ( راجع ماسبق ) وهى مستمدة أيضاً من الحديث الشريف مثل قوله ﷺ : املك عليك لسانك .. وقوله : من سرّه أن يسلم فليسلم الصمت .

(٤) الخلوة واحدة من أهم الرياضات الروحية ، وفيها يعكف الصوفى على العبادة أيّاماً ، معتزلاً الناس . وقد أفاض الصوفية فى الكلام عن فوائد الخلوة وشروطها ، راجع : قوت القلوب ٩٧/١ - إحياء علوم الدين ٢٢٦/٢ - عوارف المعارف ص ١٢١ - الرسالة القشيرية ص ١٠١ .

ودوام نفى الخواطر<sup>(١)</sup> ، ودوام ترك الاعتراض على الله - عَزَّ وَجَلَّ - في كُلِّ ما يردُّ منه عليه - ضراً كان أو نفعاً - وترك السؤال منه<sup>(٢)</sup> .. من جنةٍ أو تعوُّذٍ من نار<sup>(٣)</sup> .

### [ فروق ]

الفرق بين الوجود والنفس والشيطان ، في مقام المشاهدة<sup>(٤)</sup> : الوجود ظلمةٌ شديدةٌ في الأول ، فإذا صفا قليلاً ، تشكَّل قُدَّامك بشكل الغيم الأسود ؛ فإذا كان « عرشَ الشيطان » ، كان أحمر ؛ فإذا صلح وأفنى<sup>(٥)</sup> الحظوظ منه ، وأبقى<sup>(٦)</sup> الحقوق ، صَفَا وبيضَ مثل المُنْزَن<sup>(٧)</sup> .

والنفس إذا بدت ، فلونها لون السماء ، وهو الزرقة . وبها تَبَعَانُ كنبعانِ الماء من أصل الينبوع . فإذا كانت<sup>(٨)</sup> « عرشَ الشيطان » ، فكأنها

(١) الخواطر في كلام المتصوفة تعنى : الأفكار المذمومة .. ونقيضها : الواردات .  
(٢) أ ، ج : عنه .

(٣) استقر في الوجدان الصوفي منذ وقت مبكر ، أن الطمع في الجنة والخوف من النار هي من أخلاق عوام المؤمنين . أما الخاصة فهم يعبدون الله حياءً منه ورغبةً في مشاهدة أنوار جماله .. وتعدُّ « رابعة العدوية » من أوائل المعبرين عن تلك الفكرة .

(٤) المشاهدة ؛ توالى أنوار التجلى على قلب الصوفي من غير أن يتخللها ستر أو انقطاع ، وهي تكون بعد المحاضرة والمكاشفة ؛ يقول الجنيد : صاحب المحاضرة يهديه عقله ، وصاحب المكاشفة يدنيه علمه ، وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته ( الرسالة القشيرية ص ٧٥ ) .

(٥) أ ، ج : فنى .

(٦) أ ، ج : بقى .

(٧) المزن ؛ السحاب الأبيض .. وهي كلمة قرآنية .

(٨) أ ، ج : كان .

عينٌ من ظلمةٍ ونار ، ويكون تَبَعَانِهما أَقْلٌ .. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا خَيْرَ فِيهِ<sup>(١)</sup> .

وَفَيْضَانُ النَّفْسِ ، عَلَى الْوَجُودِ<sup>(٢)</sup> ؛ وَثَرَبْتَهُ مِنْهَا<sup>(٣)</sup> . فَإِنَّ صِفَتَ وَزَكَتَ ، أَفَاضَتْ عَلَيْهِ الْخَيْرَ ، فَنبَتَ مِنْهُ الْخَيْرَ . وَإِنْ أَفَاضَتْ عَلَيْهِ الشَّرَّ ، فَكَذَلِكَ : نَبَتَ مِنْهُ الشَّرُّ .

وَالشَّيْطَانُ نَارٌ غَيْرُ صَافِيَةٍ ، مُمْتَرِجَةٌ بِظُلُمَاتِ الْكُفْرِ فِي هَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ . وَقَدْ يَتَشَكَّلُ قُدَّامَكَ كَأَنَّهُ زَنْجِيٌّ طَوِيلٌ - ذُو هَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ - يَسْعَى كَأَنَّهُ يَطْلُبُ الدَّخُولَ فِيكَ ؛ وَإِذَا طَلَبْتَ مِنْهُ الْإِنْفِكَاكَ ، فَقُلْ فِي قَلْبِكَ : « يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ أَغْنِنِي » فَإِنَّهُ يَفْرُّ عَنْكَ .. وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَبْصُرُ بِكَ وَتَبْصُرُ بِهِ ، وَثِيَابُهُ مَخِيْطَةٌ بِثِيَابِكَ ؛ فَإِذَا فَصَلْتَ ثِيَابَكَ مِنْ ثِيَابِهِ ، عَمِيَ بَصَرُهُ ، وَتَعَرَّى عَنْ ثِيَابِهِ .

غَيْرَ أَنَّهُ يَدْرِي أَيُّنَا تَكُونُ ، فَيَكُونُ مَعَكَ .. فَيَطْمَعُ فِيكَ ، وَرَبْمَا يَصْفَعُكَ ، وَيُرِيدُ مُعَامَلَتَكَ وَمُلاعِبَتَكَ وَمُعَارَضَتَكَ وَلَعْنَتَكَ إِيَّاهُ ؛ فَإِنَّ لَعْنَتَهُ أَوْ صَفَعَتَهُ أَوْ كَلَّمَتَهُ ، كَلَّمَكَ وَصَفَعَكَ وَقَوَى مِنَ اللَّعْنَةِ وَطَالَ أَمْرُهُ مَعَكَ . وَمَهْمَا سَكَتَ عَنْهُ ، وَصَفَعَكَ فَلَمْ تَصْفَعْهُ ، وَاتَّكَلْتَ عَلَى الْحَقِّ ، انْفِطَمَ عَنْكَ ، وَمَا صَفَعَكَ . وَمَهْمَا قَلْتَ : « يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ أَغْنِنِي » بِقَلْبِكَ ، اسْتَغَاثَ بِرَبِّهِ وَهَرَبَ عَنْكَ .

(١) يربط الشيخ نجم الدين ، بين الخير والتجدد ( النَّبْعَانِ ) من جهة ، وبين الشر والسكون من جهة أخرى .. فيجعل قلة نبعان النفس وتجددها مواكب للظلمة ، مما يعني أن النَّبْعَانِ هنا يراد به الفيض النوراني الذي يتجلى على مرآة النفس .

(٢) المقصود هنا « الوجود الشخصي المفرد » وليس الوجود بمعناه العام .

(٣) .. تربيته - والمعنى لا يستقيم بهذه الكلمة .

## [ نيرانُ الذكر ]

الفرق بين نار الذكر ونار الشيطان ، أن نيران الذكر صافيةٌ سريعةٌ الحركة والصعود إلى فوق .. ونار الشيطان في كدرٍ ودخانٍ وظلمةٍ ، وكذلك ، بطيئة الحركة .

وكذلك يُفَرَّقُ بين النارين بطريق الحالة .. فإن السَّيَّار إذا كان في ثقلٍ عظيمٍ ، وضيقٍ صدرٍ ، وقد تعذَّرَ عليه الذكر ، ولا ينطلق له القلب ، ولا ينشرح له الصدر ، وكأنَّ أعضائه تُرَضُّ رَضًّا بالحجارة ، وهو يشاهد النار المظلمة ؛ فهي نارُ الشيطان . وإن كان السَّيَّار في خفةٍ ووقارٍ وشرح صدرٍ وطيبة قلبٍ وطمأنينة ، وهو مع ذلك يرى نارًا صاعدةً صافيةً ، مثل ما يشاهد أحدنا النار في الحطب اليابس ؛ فهي نيران الذكر في فضاء الصدر .

الذكرُ نارٌ « لا تُبقى ولا تذر »<sup>(١)</sup> فإذا دخل بيتًا ، يقول : « أنا ولا غيري » وهو من معاني « لا إله إلا الله » فإذا كان في البيت حطبٌ ، أحرقه ، فكان نارًا .. وإذا كان في البيت ظلمة ، كان نورًا ، فأفناها ، ونورَ البيت .. وإذا كان في البيت نورٌ ، لم يكن ضيئًا له ، بل ذلك النور أيضًا ذكرٌ وذاكرٌ - ومن المذكور -<sup>(٢)</sup> فيصطحبان جميعًا : نورٌ على نور<sup>(٣)</sup> .

(١) الآية « وما أدراك وما سقر ، لا تبقى ولا تذر .. » المدثر / ٢٨ .

(٢) المذكور ؛ الله تعالى .

(٣) سورة النور ، آية ٣٥ .

الذِّكْرُ حَقٌّ ، وَصِفَةُ حَقٌّ ؛ يُفْنَى الحِظْوُظُ<sup>(١)</sup> وَيُتَّقَى الحَقُّوقُ ..  
فلا مِضَادَّةٌ بَيْنَهُمْ . والحِظْوُظُ أجزاءٌ زائِدَةٌ ، وَجودِيَّةٌ ، حَصَلَتْ مِنْ  
الإِسْرَافِ ؛ فَتَقَعُ فِيهِنَّ نَارُ الذِّكْرِ ، فَتَفْنِيَهُنَّ . وَكَذَلِكَ الأجزاءُ الحاصِلةُ مِنْ  
لُقْمَاتِ الحِرامِ ، يَقَعُ فِيهَا سُلْطَانُ الذِّكْرِ ، فَيَفْنِيَهُنَّ .. وَأما الأجزاءُ الحاصِلةُ  
مِنَ الحِلالِ ، فلا يَدُّ لَهُ عَلَيْهِنَّ لِأَنَّها حَقُّوقٌ .

### [ رموز وجودية ]

الوجود<sup>(٢)</sup> مركَّبٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أركان<sup>(٣)</sup> - وكلها : ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا  
فَوْقَ بَعْضٍ -<sup>(٤)</sup> التُّرابُ ، والماءُ ، والنارُ ، والهواءُ .. وَأنتِ تَحْتِ هذه  
كلها ، ولا مَطْمَعُ فِي الانفِصالِ عِنها ، إِلا بِإِصالِ الحَقِّ إِلَى المِستَحَقِّ !  
وهو إِصالُ الجِزءِ إِلَى الكُلِّ ، فيأخِذُ التُّرابُ التُّرابِيَّةَ ، والماءُ المائِيَّةَ ، والنارُ  
الناريَّةَ والهواءُ الهوائِيَّةَ<sup>(٥)</sup> ؛ فَإِذا أَخَذَ كُلُّ واحِدٍ نَصيبَهُ ، انفِصَلَتْ عَنِ هذه  
الأحْمالِ .

(١) يقصد حظوظ النفس وأهواءها الحسية .

(٢) الوجود هنا بمعناه العام ( الأنطولوجى ) وليس الوجود الفردى المشخَّص كما هو المراد فى الفقرات السابقة .

(٣) الأركان أربعة - أو الاستقصات - هى مكونات الوجود : الهواء والتُّراب والماء والنار ؛ وهى تقابل فى جسم الإنسان « الأخلاط الأربعة » التى هى : الدم والبلغم والصفراء والسوداء ؛ وتقابل فى الأمزجة « الطبائع الأربعة » التى هى : البرودة والرطوبة واليبوسة والحرارة .. راجع : شرح مشكلات الفتوحات المكية ، للجليل ص ١٩٠ (هامش) .  
ولأن هذه الأركان مادية ، فالشيخ هنا يصفها بالظلمة ؛ لأن المادة أصل الظلام ، كما أن الروح أصل النور .

(٤) سورة البور ، آية ٤٠ .

(٥) يقصد : أن يلقى شهواته الترابية فى التُّراب ، والمائية فى الماء ، والنارية فى النار ، =

وطريقنا<sup>(١)</sup> طريق الكيمياء<sup>(٢)</sup> .. فلا بد من استخراج اللطيفة النورانية من بين هؤلاءك الجبال . فتشاهد في فناء الحظِّ الترابي ، مفاوزَ تقطعها ، فتسير المفاوز تحتك ؛ وإنما أنت تسير ! ولكن مَنْ كان تسير به السفينة<sup>(٣)</sup> ، يحسب أن السواحل تمرُّ عليه ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾<sup>(٤)</sup> وتشاهد - أيضاً - كأنك في بئرٍ ، والبئرُ تنزل من فوق ، وإنما تصعدُ إلى فوق .. وتشاهد - أيضاً - قرى<sup>(٥)</sup> ، وبلاذًا ، ودورًا ؛ تنزلُ عليك من فوقك ، وتنفى من تحتك . كما تشاهد الجرار<sup>(٦)</sup> على شطِّ البحر ، تقع<sup>(٧)</sup> فيه ، فيغرق<sup>(٨)</sup> !

= والهوائية في الهواء .. وكلها تصويرات رمزية تشير إلى التخلص من العلائق المادية وتعلقات النفس الإنسانية بكل ما هو أرضي ، وذلك كي تتخفف من أحمالها الحسية ، وترقى في المقامات النورية .

(١) يقصد : طريقته في التخلص من علائق النفس .

(٢) الكيمياء هنا ، بمعنى فصل العناصر عن بعضها .. أى معالجة الأركان الأربعة وعزلها عن بعضها - بنار المجاهدة - لاستخراج « اللطيفة النورانية » منها ، وهى اللطيفة الربانية المودعة في المنشأة الإنسانية بمقتضى النفخة التى نفخها الله تعالى فى آدم ، ثم توارثها بنوه .

(٣) السفينة هنا تشير إلى الارتحال الروحى فى بحر الأحوال والمقامات .

(٤) سورة النمل ، آية ٨٨ .

(٥) أ ، ج : قرايا .

(٦) أ ، الجدار .

(٧) أ : يقع .

(٨) هذا المشهد موغل فى الغرابة ، وتأويله - كما يبدو لنا - أن الصوفى إذا ارتقى ، يرى السحر يغرق فى ماء الجرار ! أى إن قلوب أهل المعارف ( الجرار ) إذا فاضت بالمعرفة ، غرقت المعارف فى فيضانها ، مع أن المعارف بحر واسع .

( م ٩ - فوائح الجمال وفواتح الجلال )



واعلم - يا حبيبي - أنك لا تتخلص من أربعة الوجود ، الترائي والمائي والناري والهوائي ، بالكُلِّيَّة ؛ إلا بالموت الكبير الأخير<sup>(١)</sup> .. ولكن بهذا الموت<sup>(٢)</sup> ، يفنى منك بعضه ، فتشاهد - عَيَانًا - ما علمته عقلاً .

### [ مشاهدات عروجية ]

وإذا شاهدت بحارًا تعبرها ، وأنت فيها مستغرقٌ ؛ فاعلم أنه فناء الحظّ المائي . وإذا كانت البحار صافية ، وفيها شمسٌ غريقةٌ ، أو أنوارٌ أو نيران ؛ فاعلم أنها بحار المعرفة .

وإذا شاهدت مطرًا نازلًا<sup>(٣)</sup> ؛ فاعلم أنه مطرٌ ينزل من محاضر الرحمة ، لإحياء أراضى القلوب الميتة .

وإذا شاهدت نيرانًا ، وأنت<sup>(٤)</sup> خائضٌ فيها ، ثم تخرج عنها ؛ فاعلم أنه فناء الحظوظ النارية .

(١) يتردد هذا المعنى كثيرًا في كتابات الصوفية ، فهم يؤكدون على أن الخلاص النهائي لا يكون إلا بالموت ، فهناك يكون الخلاص من أسر المادة وتكون المشاهدات التامة ويكون معنى ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد .. ﴾ سورة ق آية ٢٢ .

(٢) يقصد بالموت الجزئي الذي هو إمانة شهوات النفس وتعلقاتها الحسية ، مع بقاء الوجود الجسماني .. وبخصوص الموت الجزئي هذا ، وضرورة الموت الكلي الموصوف هنا بالموت « الكبير الأخير » يمكن ملاحظة الآية : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ... ﴾ الزمر ، آية ٤٢ كما يمكن الرجوع إلى الأحزاء الأخيرة من قصتي « حى بن يقظان » لاسيما ، « الغرة الغربية » للسهروردي الإشرافي .

(٣) أ : ينزل .

(٤) أ ، ج : انك .

وإذا شاهدت بين يديك فضاءً واسعاً ، ورحباً شاسعاً ، ومن فوقه هواءً صافٍ .. وترى في نهاية النظر ألواناً ، كالأخضرة والحُمرة والصفرة والزُّرقة ؛ فاعلم أن عبورك على هذا الهواء إلى تيك الألوان ، والألوان ألوان الأحوال . فلون الخضرة علامة حياة القلب ، ولون النار الصافية علامة حياة الهمة - والهمة معناها القدرة - وإن كان اللون كدراً ، فذاك نيران الشدة ؛ وهو أن يكون السَّيَّار في تعبٍ وشدةٍ من المجاهدة مع النفس والشيطان . والزُّرقة لون حياة النفس .. والصفرة علامة الضعف .

وهذه معانٍ تنطق بأنفسها ؛ مع صاحبها ، بلساني الذوق والمشاهدة ، وهما شاهدان عدلان . فإنك تذوق بنفسك ما تشاهد ببصيرتك ، وتشاهد ببصيرتك ما تذوق بنفسك ؛ وهو أنك متى شاهدت الخضرة ، أحسست من قلبك انطلاقاً ، ومن صدرك انشراحاً ، ومن نفسك طيبةً ، ومن روحك لَذَاذَةً ، ولبصيرتك قُرَّةً .. وهذه صفات الحياة .

وكذلك ، نستدلُّ بأحوال النبات ، فنقول : النبات متى كان أخضر ، دَلَّ على قُوَّته وحياته وسرعة نموه . ومتى ما كان أصفر ، دَلَّ ذلك على ضعف النبات - لعارضٍ أَلَمَّ به وَعَرَضَ له - وكذلك الوجوه إذا احمرَّت ، دَلَّ ذلك على عارضٍ عَرَضَ لها من خجلٍ أو وَجَلٍ أو سرورٍ أو تَرَجٍ أو هموم .

فإن اتَّحدَ اللونُ ، فاعلم أنه استقامةٌ وجمعيةٌ في تلك الحالة ، وإذا اجتمعت الألوان واختلطت في حالة واحدة فهو « تلوين » ، فإذا استمر

لونُ الخَضْرَة واستقام ، فهو « تمكين<sup>(١)</sup> » .. ولونُ الخَضْرَة آخِرُ لونٍ يبقى ، ومن هذا اللون تسطعُ السواطعُ ، وتلمعُ البروقُ اللوامعُ<sup>(٢)</sup> . والخَضْرَة تصفو وتكدر ، فالصفاء من غَلَبَاتِ نورِ الحقِّ ، والكدر من غَلَبَاتِ ظلماتِ الوجود<sup>(٣)</sup> .

### [ القلب والقلب ]

واعلمُ أن اللطيفة<sup>(٤)</sup> ، التي هي القلب ، لأنها كانت لطيفة<sup>(٥)</sup> ، تتقلَّبُ من حالةٍ إلى حالةٍ ، كالماءِ يتلَوَّنُ بلونِ الظرف<sup>(٦)</sup> ، والسماءِ تتلَوَّنُ بلونِ الجبل .. جبل قاف<sup>(٧)</sup> ! ولذلك سُمِّيَتْ قلبًا ، لانقلابها ؛ وكذلك سُمِّيَ قلبًا ، لأجل أنه قلبُ الوجود والمعاني .

(١) التلوين والتمكين اصطلاحان شهيران في لغة الصوفية ، يشير الأول إلى أحوال أهل البداية ، والثاني يشير إلى رسوخ الأقدام في مقامات الولاية .

(٢) السواطع والبروق واللوامع ، من اصطلاحات الصوفية الدالة على تلك الأنوار التي تتجلى على الصوفي في رحلة عروجه .

(٣) الوجود هنا بمعنييه : الأنطولوجي العام ، والفردى المشخص .

(٤) اللطيف في اللغة ، الصغير الدقيق . يقال « لطف الشيء » إذا صغر ودق ( لسان العرب ٣٦٩/٣ ) وفي لغة الصوفية : اللطيفة هي كل إشارة دقيقة المعنى يلوح منها في الفهم معنى لا تسعه العبارة . واللطيفة الإنسانية ، هي النفس الناطقة المسماة عندهم بالقلب ، وهي في الحقيقة تنزل الروح إلى رتبة قريبة من النفس ، مناسبة لها بوجه ومناسبة للروح بوجه ، ويسمى الوجه الأول « الصدر » والثاني « الفؤاد » ( اصطلاحات الصوفية للقاشاني ص ٧٣ ) .

(٥) يستغل الشيخ هنا المعنى المزدوج للكلمة في الإصطلاح الصوفي المشار إليه في الهامش السابق .

(٦) سئل الجنيد عن المعرفة والعارف ، فقال : لونُ الماء ، لونُ إنائه .

(٧) جبل قاف ، هنا : قبة السماء .. وسوف تكون لهذه الكلمة دلالات عميقة عند صوفية الفرس والعرب ، منها : القدرة اللانهاية - المستحيل وصوله ... إلخ .

والقلبُ لطيفٌ ، يقبل عكس الأشياء والمعاني الدائرة حواليه ،  
فيتصوّر لونُ الشيء في اللطيفة المقابل لها ، كما تنعكس الصور في المرآة  
والمياه الصافية .. وكذلك سُمِّي قلبًا ، لأنه نورٌ في قلب قليب<sup>(١)</sup> الوجود ،  
كنور يوسف - عليه السلام - في الجُبِّ<sup>(٢)</sup> .

واعلم أن قلب الوجود يبدو من قُدَّامك - بجذاء وجهك - عميقًا ،  
لا تشاهد أعمق منه في عالم الشهادة<sup>(٣)</sup> . وهذا البئر في الأول ، يكون من  
فوق رأسك ؛ ثم يبدو من قُدَّامك ، ثم من تحتك - وذلك في نهايات  
الطريق .. وترى - في قعر البئر - الوجودَ نورًا أخضر ، وذلك : نهايةُ  
الوجود والحدوث وبداية القِدَم<sup>(٤)</sup> .

وهذا البئر ، إذا تجلَّى لك في اليقظة ، أنسَّت إليه وتعجبت منه ؛ وإذا  
تجلَّى لك في الغيبة ، وقعت عليك هيبَةٌ منه وشدةٌ وزلزالٌ ، حتى تكاد  
تفارق الروح .. ولا تلتجئ حينئذٍ - من طريق الحالة الأولى - إلا إلى  
الذِّكْرِ .

(١) القليب : البئر .. وسمى بذلك لأنه حين حُفر ، قلب ترابه ( لسان العرب ١٤٦/٣ ) .

(٢) الإشارة إلى القصة القرآنية الخاصة بإلقاء أخوة يوسف له في البئر ( سورة يوسف ، آية  
١٠ وما بعدها ) .

(٣) عالم الشهادة هو العالم المحسوس المقابل لعالم الغيب غير المحسوس .

(٤) القدم والحدوث لفظتان لهما مترادفات كثيرة مثل : عالم الأمر وعالم الخلق ، الوجود  
الحقيقي والوجود المعار ، وغير ذلك . وكلها تشير - على الإجمال - إلى الفرق بين العالم  
الإلهي الأزلي الذي ينعدم فيه الزمان ، والعالم الزماني الذي تكون فيه المخلوقات .. وهناك  
مشكلة عويصة في الفكر الإسلامي ، تُعرف بمشكلة العالم بين القدم والحدوث ( راجع ؛  
جلال شرف : الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي ، الباب الثاني ) .

ويبدو ذلك في البئر ، من عجائب الملكوت وغرائب الجبروت ، ما لا تنساه أبدًا الدهر ، لشدة ما تقاسى فيه من القوة<sup>(١)</sup> والخوف والشدائد . فتفرح به ، وتخاف عنه ، وتأنس إليه ؛ فتذوق الأحوال المتضادة ، في حالة واحدة .. وقد يتجلى في أوائل المشاهدات مختل الحال والبناء ، ظلمانيًا في هيئة عظيمة ، ثم ينصلح البناء وترتب لبنة فوق لبنة ، ثم يفنى البناء ، وصور اللبنة ، فلا ترى إلا بئرًا من نورٍ أو خضرة . ففي الأول إنما كان ظلمانيًا ، لأنه كان منزل الشياطين . وفي الثاني إنما تنور واخضر ، لأجل أنه صار مهبط الملائكة والرحمة .

### [ مراتب الوجود ]

واعلم أن الوجود ليس شيئًا واحدًا . فما من وجودٍ ، إلا فوقه وجودٌ آخرٌ أحسنٌ وأحسنُ منه ، إلى أن ينتهي إلى وجود الحق . وفي كل وجودٍ ، في الطريق ، بئرٌ .

وأنواع الوجود تنحصر في سبعة - وانحصار أعداد الأرض والسماء في السبعة إشارة إلى هذا - وإذا عُرِّجَت على الآبار السبعة في أنواع الوجود ، بدت لك سماء الربوبية والقدرة .. هواها نورٌ أخضرٌ خضرةً شديدةً من نور « ذات حياة » يمشى - أبدًا - بعضها إلى بعض وفيها من القوة ما لا تطيقه الأرواح ؛ لكنها مع ذلك عاشقة لها<sup>(٢)</sup> عشقًا ذوقيًا .

(١) أ : القوى .

(٢) .. عليها !

وعلى السماء نقطُ أشدَّ حمرةً من نارٍ ولعل<sup>(١)</sup> وعقيق ، متناسبة الوضع ،  
 خمسٌ خمس ؛ يجدُّ صاحبُ الحالة حنينًا وشوقًا إليها ، ويطلب الإلحاق بها .  
 واعلم أنه يعرجُ بالسَّيَّار إلى هذا المقام - مقام القدرة الربوبية -  
 أربعةً من الملائكة .. واحدٌ من<sup>(٢)</sup> يمينه ، وآخر عن شماله ، وآخر من  
 تحته ، وآخر من وراء ظهره . فإذا عرجوا به إلى هذا المقام ، جرى على  
 لسان عجز العبودية :

أَنْتَ رَبِّي وَقَادِرِي

إِنْ شِئْتَ أَحْيِي

وَإِنْ شِئْتَ أَمِتْنِي

ويخافُ ، لما يستقبله من شدة القوة<sup>(٣)</sup> والشَّد . ويتمنى حينئذٍ ، ليته  
 يُؤخذ منه الروح ويُترك فيه . ويُحكى<sup>(٤)</sup> كيفية أخذ الروح منه - أو  
 النَّفْس - وأنه متى ما أُخرج من البئر إلى ذلك العالم لم يبق معه روحٌ أو  
 نفس .. ثمَّ يُرجع به ، من ثمَّة ، إلى عالم الشهادة .

(١) اللعل : حجر نفيس يشبه الياقوت ، يُقال له في العربية « بَلْحَش » وفي الفارسية القديمة  
 « لعل » واسمه الأوروني المعاصر « Spinel » وهي لفظة مستمدة من كلمة إغريقية  
 معناها الأصلي « الشرارة » إشارة إلى اللون الأحمر الناري الذي يختص به هذا الحجر  
 (أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ، للتيفاشي ، ص ٢٥٧) .

(٢) ب : عن .

(٣) أ : القوى .

(٤) أ : ويحسّ - مضموسة في ب .

## [ مَشْهَد ]

أول ما يردُّ على السَّيَّار من الأنوار ، أنوار العزة في مقام التجلِّي ، من فوق رأسه - وهو في البئر - فيتزلزل ويضطرب وينقبض من هول ما يرد عليه ، ويسجد اضطرارًا ، ثُمَّ يعرج من البئر إلى فوق . لأنه لا يصل ظلمانيَّ إلى نورانيَّ ، إِلَّا إِذَا طُهِرَ وَنُورَ ، فصار من جنسه ، ثم يصلُّ إليه . وأكثر ورود الملائكة من وراء الظهر ، وقد يَرِدُونَ<sup>(١)</sup> من فوق . وكذلك السكينة ، وهي جمعٌ من الملائكة تنزل في القلب ، تجدُّ من ورودهم راحة وطمأنينة في القلب .. وتُوخِّذُ منك ، حتى لم يَبْقَ لك اختيار في الحركة ، والقول ، والتفات الخواطر إلى سوى الحقِّ . ومن علامات حضور الرسول معك - عليه السلام -<sup>(٢)</sup> أن تجرى الصلاةُ على لسانك من غير اختيارك .

## [ مُعَايِنَةٌ ]

عَرَّجَنِي مَلَكٌ ، فجاء من وراء ظهري ، فالتزمني واحتلمني ، ودار إلى وجهي ، فقبَّلني ، وتشعَّشع نُورُهُ في بصيرتي .. ثُمَّ قَالَ : « بِسْمِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup> الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم »<sup>(٤)</sup> وعرج بي قليلاً ، ثم وضعني .

(١) . . يرد !

(٢) ب : الرسول ﷺ معك .

(٣) ب : باسم .

(٤) الآية : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة ، آية ١٦٣) .

كنتُ أسمعُ في وقت السَّحَر - وأنا ذاكُرُ في الخلوة - تسبيح الملائكة ، وكان الحقُّ نزل إلى السماء الدُّنيا<sup>(١)</sup> ، فأسرعت الملائكة في قولهم .. كأنهم خافوا وطلبوا النجاة ، كالصبيِّ يخاف الأب إذا غضب عليه وهمَّ بالضرب ، فيقول : « تُبْتُ ، تُبْتُ » . فسمعت من قول الملائكة حين اشتدَّ عليهم الخوف : « يا قادر ، يا قادر ، يا قادر ، يا مقتدر » فلما فُزِعَ عن قلوبهم ، قالوا : اللهمَّ ارزقنا من ثوابك جناتاً ، ومن عقابك أماناً .

### [ الخواطر ]

الفرق بين خاطر النفس وخواطر الشيطان .. خاطر الحقِّ وخواطر النفس<sup>(٢)</sup> :

فخواطر الحقِّ يدخل فيه : خاطر القلب وخواطر الملكة ؛ وخواطر النفس لا يدخل فيه خاطر الشيطان . فيفارقه بشيء ، فإن خاطر القلب وخواطر الملك ، بإذن الله عزَّ وجلَّ ، فإنهما مَلَكَانِ معصومان لا يعصيان الله ما أمرهما ويفعلان ما يُؤمران<sup>(٣)</sup> . ومحض خاطر الحقِّ يكون إلهاماً ؛ والإلهام صحيحٌ ، وإذا خَطَرَ لا يعترضُ عليه عقلٌ ولا نفسٌ ولا شيطانٌ ولا قلبٌ ولا مَلَكٌ .

(١) في الحديث الشريف : ينزل الحقُّ تعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول « هل من مستغفر فأغفر له .. » .

(٢) أ : الفرق بين خاطر الحق وخواطر النفس .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ﴾ .



ثُمَّ هذا الإلهام ؛ تارةً يكون فى الغيبة ، فىكون أشد ظهوراً وأقرب إلى الذوق . والسُّرُّ فيه ؛ أن الخواطر الحَقَّانية هى العلم اللدُنِّى ، وهى ليست فى الحقيقة خواطر ، بل هو : علمٌ أزلُّى ، عَلَّمه الله الأرواح حين خاطبهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى (١) .. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٢) ، فتعلَّمت هى - كذلك - وهى معلَّمة الآن ، بالعلم اللدُنِّى . إِلَّا أن العلم قد يُستر ، بظلام الوجود ، فإذا صفا السِّيارُ وغاب عن الوجود ، ظهر العلم اللدُنِّى - أو حكمٌ من أحكامه - فيرجع السِّيار إلى الوجود ، ومعه العلم - . وهو الإلهام ، وصار كالخطِّ المكتوب على اللوح إذا اندرس (٣) بغبارٍ وقع عليه ، ثُمَّ أزيل الغبار عنه ، فيظهر الخطُّ .

### [ معاينة ]

غِبْتُ ، فأبصرتُ النبىَّ - عليه السلام - ومعه على . فبادرتُ إلى على ، فأخذتُ بيده ، وصافحته .. وأُلمهتُ ، كأنى سمعت فى الأخبار عن النبىَّ - عليه السلام - أنه قال : « مَنْ صافح علياً ، دخل الجنة » . فجعلتُ أسألُ علياً عن هذا الحديث : أصحيحُ هو ؟ فكان يقول : نعم صدق رسول الله ﷺ ، صدق رسول الله ، مَنْ صافحنى دخل الجنة (٤) .

(١) سورة الأعراف ، آية ١٧٢ ( وتُعرف هذه الآية ، بأية العهد والميثاق ) .

(٢) سورة البقرة ، آية ٣١ .

(٣) اندرس ؛ غاب وانمحي ..

(٤) حديث نبوى مشهور ، لم يرد فى الكتب الستة المعروفة .

## [ وصل ]

وإن الأرواح التابعة ، تعلّمت عن الأرواح الشريفة . وهي تتعلّم الآن ، ولكن<sup>(١)</sup> في عالم الغيب لا في عالم الشهادة - كأرواح الأولياء عن أرواح الأنبياء<sup>(٢)</sup> - فإذا غاب السّيّار عن وجوده ، ذاق ذلك .

وقد يقع الإلهام في الحضور<sup>(٣)</sup> ، ولكن يكون أخفى من الأول .. ولكن ، مع ذلك ، لا يعترض عليه شيء في الداخل .. واستسلمت له الجوارح ، وانقادت له النفوس ، وانشرحت له الصدور ، واطمأنت له القلوب .

والمَلَك - أبداً - يَحْتُّ على المحمودات ، مع كراهة النفس لها<sup>(٤)</sup> ؛ إلا إذا زَكَّتْ .. وإذا زَكَّتْ ، لم يَحْفَ عليها الفرق في الخواطر .

والقلب مثله<sup>(٥)</sup> ، إلا أنه يفارق المَلَك في الشهوة ، والشوق ،

(١) .. ولكنها - وبها لا يستقيم المعنى .

(٢) المراد هنا ، أن استفادة الأرواح التابعة من الأرواح الشريفة - في عالم الغيب - هي كاستفادة أرواح الأولياء من أرواح الأنبياء .. ويقول الصوفية : كل وليّ على قدم نبيّ من الأنبياء ! ولهذا يقال عن الولي أنه عيسوي أو موسوي أو محمدي .. والطريف هنا ، ما يروى عن الإمام عبد القادر الجيلاني من أنه تفاضل مع « الخضر » صاحب موسى عليه السلام ، فاعتبر نفسه أكمل حالاً ، لأن الخضر موسوي .. وهو محمدي ( راجع ؛ الشطنوفى : بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ) .

(٣) أي في حال الصحو .

(٤) .. له !

(٥) يقصد : خاطر القلب مثل خاطر المَلَك .

والحنين ، والطيش ، والطيران ، والانصباب ، والرغبة ، والمحبة ،  
والعشق ، والوله ، والجنون في الحق .. وهذا هو سبب ترجيح المؤمنين  
على الملائكة .

### [ معاينة ]

قال الشيخ أبو الحسن الخرقاني<sup>(١)</sup> ، قدس الله روحه<sup>(٢)</sup> : صعدتُ  
ظهيرةً إلى العرش لأطوف به ، فطفئتُ عليه ألف طوفة - أو كما قال<sup>(٣)</sup> -  
ورأيتُ حواليه قومًا ساكنين مطمئنين ، فتعجبوا من سرعة طوافي ،  
وما أعجبنى طوافهم ؛ فقلت : من أنتم ؟ وما هذه البرودة في الطواف ؟  
فقالوا : نحن ملائكة ، ونحن أنوار ، وهذا طبعنا ، لا نقدر أن نجاوزه !  
فقالوا : ومن أنت ، وما هذه السرعة في الطواف ؟ فقلت : بل أنا آدمي ،  
وفى نورٍ و نار ، وهذه السرعة من نتائج نار الشوق<sup>(٤)</sup> .. والملائكة ،  
فما لهم شهوة قط<sup>(٥)</sup> .

(١) راجع ما ذكرناه عن الخرقاني في الدراسة الممهدة للنص .

(٢) ب : سره ، ومصححة فوقها .. وفي العادة ، يقال « قدس الله سره » عن الولي الذي ما يزال  
حيًا ، أما « قدس الله روحه » فتقال لمن توفي ؛ وإن كانت هذه القاعدة غير ملزمة تمامًا .

(٣) تفيد تلك الجملة الاعتراضية ، الشك في تذكر عدد مرات الطواف .

(٤) + أ : ترد حكاية أخرى شبيهة بهذه في تذكرة الأولياء للشيخ فريد الدين العطار ( طبعة  
ليدن ١٩٠٧ ج ٢ ص ٢٥٤ س ٣ - ١٠ ) وحكايتنا موجودة باللغة الفارسية في  
الرسالة الذكرية للأمير السيد علي الهمداني المتوفى ٧٨٦ هـ نسخة آيا صوفيا ٢٨٧٣  
ورقة ٤٢٠ أ .

(٥) راجع المفاضلة بين الملائكة والكمال من الأولياء ، واختلاف الجليلي مع ابن عربي حول  
هذه النقطة في تحقيقنا لكتاب : شرح مشكلات الفتوحات المكية ، للجيلي ( دار سعاد  
الصباح ص ٢٠٤ ) .

## [ وصل ]

وأما خاطر النفس ، فهو الخاطر المفضى إلى الراحة ؛ وإن طهرت وزكت وأسلمت . فإنها إذا زكت ، تجعل راحتها في فنون العبادات وصنوف الخيرات ، وإذا كانت خبيثة كانت أماراً بالسوء . ثم إذا زكّت ، كان خاطرها محموداً - فعلامة ذلك أنه يجد القلب من ذلك راحةً ويطمئن ، وهي تكون آمنة في نفسها - وإذا لم تكن زاكية ، كان خاطرها مذموماً ؛ وعلامته أنك تحسُّ في القلب ألماً ، وفي الصدر ضيقاً ، وفي الأعضاء وجعاً ، وفي النفس خيفةً ، فإن النفس خائفة منكورة ، مثل الصبى إذا سرق بيضاً أو أبق<sup>(١)</sup> ، خاف خيفةً منكورة .. ويحسُّ صاحبها كأن الكونين وما فيهما ، يعترضون عليه .

وأما خاطر الشيطان ، فإنه قد يكون في صنوف العبادات وأنواع الخيرات وحُبِّ القدرة والكرامات ! وهو لا يزال مع المرء حتى يُخلَص<sup>(٢)</sup> ، فإذا أُخلِصَ فارقه ولم يطمع فيه . والشيطان يوافق النفس في خواطرها ، إذا كانت خبيثةً ، يحثُّها ويسوِّل لها ويمثِّل لها القبيح حسناً ؛ وخاطر الشيطان أصعب ، فإن خاطر الشيطان ذو فنونٍ وخاطر النفس ذو فنٍّ واحد . والنفس كالصبى<sup>(٣)</sup> ، وعدوها الشيطان يسوِّل لها الشيء

(١) أ ، ج : إبرة ا وأبق ، هرب .. من الإباق ، وهو هرب العبد من سيده ( لسان العرب

٧/١ ) وهى كلمة قرآنية ، قال الله تعالى في يونس : ﴿ إذ أبق إلى الفلك المشحون ﴾ .

(٢) قارن هذا المعنى ، بما ورد من قول الشيطان : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين \* إلا عبادك

منهم المخلصين ﴾ .. سورة ص ، الآيات : ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) كثيراً ما يشبه الصوفية النفس بالطفل أو الصبى أو الغلام .. وفي بُردة البوصيرى

الشهيرة :

فتصدقه لصغرها .. والشيطان بالغ في المكر والحيل ، يأتي الإنسان من كل طريق ؛ إلا من باب الإخلاص .

فكنْ - يا حبيبي - مخلصًا . ولو كنت في الإخلاص ، فلا ترَّ (١) في مقام الإخلاص ، فإنه (٢) شائبة في الإخلاص ؛ فيدخل عليك الشيطان .

وعلامته خاطره ، أنه إذا خطرَ : تستوفز وتستعجل ولا تجد في القلب راحة منه ، وكأنك استقبلت الظلمات . ويمازجك الرياء والالتفات إلى ما سوى الحق ، وتندق أعضاءك من نزوله عليك .

وإن الحق - بلطيف شأنه - ربما يوصل العباد إلى مقام القرب بواسطة الشيطان ! فإن الشيطان يلقي في قلوبهم حبَّ العبادات لمراعاة الخلق ، فإذا عبدوا الله لأجل التفات الخلق إليهم ، فإذا التفات الخلق إليهم - لالتفاتهم - ازدادوا رغبةً .. فإذا استحلوا ذلك ، فينغمسون في بحر التعبد . والعبادة تأتي أن تكون إلا للحق ! فيجدون طعم لذة العبادة للحق ، بواسطة الأذكار ، وتظهر لوازم العبادات والأذكار - من العلوم والأسرار والأنوار - فيعرضون عن الخلق ويستقبلون الحق .

ولا تأمن الشيطان ، مادام معك شيء من دنياه !

= والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على  
وفي تائية ابن الفارض :

قتلُ غلام النفس بين إقامتي  
الجدار لأحكامي وخرق سفيتي  
(١) أ ، ج : ولا تر - ب : ولا ترى .

(٢) هكذا في كافة النسخ ، وفي + أ : كان المنتظر أن يقول « فإنها » .

## [ رواية ]

جاء عن عيسى عليه السلام ، أنه كان نائماً متوسداً لَبِنَةً<sup>(١)</sup> ، فهبَّ من منامه ، فإذا « اللعين » عند رأسه ؛ فقال له : ما جاء بك إلَيَّ ؟ فقال : طمعتُ فيك ! فقال : يا ملعون أنا روح الله ، كيف تطمع فيَّ ؟ قال : إنك أخذتَ قماشِي ، فطمعتُ فيك ! قال : وما ذاك القماش ؟ قال : هذه اللبنة تحت رأسك ! فرماها عيسى - عليه السلام - حتى فارقه<sup>(٢)</sup> .

## [ معاينة ]

كنتُ منقطعاً إلى الله<sup>(٣)</sup> في الخَلْوَةِ<sup>(٤)</sup> ، مواظباً بذكره . فجاء « اللعين » وأكثر علىَّ الحيل ، ليشوِّش الخلوَةَ والذكر ؛ فظهر في يدي سيفُ الهِمْةِ<sup>(٥)</sup> مكتوب عليه ،

(١) .: بلبنة .

(٢) وردت هذه الحكاية في قوت القلوب للمكي وإحياء علوم الدين للغزالي وحديقة الحقيقة لسنائى .. وهى بشكل عام تحوى دلالة رمزية لضرورة التجرد التام ، بمعنى أن يكون الصوفي منقطعاً عن التعلق بكل ما هو مادي .

(٣) ب : الله .

(٤) راجع ما ذكرناه عن الخلوَةَ فيما سبق .

(٥) يعطى الصوفية لمصطلح « الهمة » أبعاداً ذوقية عميقة الغور ، فبالإضافة إلى تلك المضامين الروحية التى سيذكرها الشيخ نجم الدين فيما بعد ، نرى القاشانى وهو يفرق بين ثلاثة أنواع من الهمة : همة الإفاقة ، وهى أول درجات الهمة للسلوك والباعثة على طلب الباقي وترك الفائى - همة الأنفة وهى التى تورث صاحبها الأنفة من طلب الأجر على العمل ، بل يعبد الله على الإحسان - همة أرباب الهمم العالية وهى الدرجة الثالثة التى لا تتعلّق إلا بالحق ولا تلتفت لغيره من أحوال ومقامات ، فلا تقف بصاحبها عند الأسماء والصفات ، ولا تقصد إلا عين الذات ( اصطلاحات الصوفية ص ٤٥ ، ٤٦ ) . وقد تناول الجبلى معانى الهمة بشئ من التفضيل ، فقال : اعلم أن الهمة =

من ذؤابته<sup>(١)</sup> إلى قبضته : الله ، الله .. فكنتُ أنفى به الخواطر المشغلة<sup>(٢)</sup> عن الله . فخطر على قلبي ، أن أصنّف كتاباً - في الخلوة - أسميه « حَيْل المريد على المريد » فقلت : لا يصحّ ، إلا بإذن الشيخ !

فشاورتُ الشيخ ، في الغيب ؛ فسمعتُ كلامه - لصحة رابطة كانت بيني وبينه<sup>(٣)</sup> - أن انته عن هذا الخاطر ، إن الله برئ من هذا

= أعز شيء وضعه الله في الإنسان ، وذلك أن الله تعالى لما خلق الأنوار أوقفها بين يديه فرأى كلاً منها مشتغلاً بنفسه ، ورأى الهمة مشتغلة بالله .. ثم تجلى عليها باسمه « القريب » ونظر إليها باسمه « السريع المحيب » فأكسبها ذلك التجلي أن تستقرب كل ما بعد عن القلوب ، وأفادها ذلك النظر سرعة حصول المطلوب ، لهذا فإن الهمة إذا قصدت شيئاً ثم استقامت على ساقها نالته على حسب وفاقها . ولاستقامتها علامتان ، العلامة الأولى « حالية » وهي قطع اليقين بحصول الأمر المطلوب على التعيين ، والعلامة الثانية « فعلية » وهي أن تكون حركات صاحبها وسكناته جميعها مما يصلح لذلك الأمر الذي يقصده بهمته ، فإن لم يكن كذلك ، لا يسمى صاحب همة ، بل هو صاحب آمال كاذبة .. ( راجع المزيد في : الإنسان الكامل ٢٢/٢ ) .

(١) أ : ذنابته - ب : ذنابته - غير واضحة في ج .. وذؤابة السيف : علاقة قائمه ، وذؤابة الشيء : أعلاه ( لسان العرب ١٠٥٢/١ ) .

(٢) ب : المثقلة ، ومصححة بأعلى .

(٣) الرابطة بين المريد والشيخ ، هي إحدى الروابط الثلاث في الطريق الصوفي : رابطة الموت ، رابطة الشيخ ، رابطة الحضور .. وقد تناولها جميعاً - بالتفصيل - الشيخ إبراهيم حلمي القادري ( المتوفى ١٣٩٠ هجرية ) في كتابه : مدارج الحقيقة في الرابطة عنه أهل الطريقة .

وعن « رابطة الشيخ » يقول صاحب المدارج : ولنا نشاهد أثر ذلك التخييل لأهل الخارج بوضوح تام على غالب أهل زماننا هذا .. وما ذلك إلا لقوة رابطتهم لتلك الدنيا واستمرار تخيلهم لها بالاستحسان والتعظيم يدل الواجب علينا من تخيل ما هم عليه بالاستقباح والتحقير .. حتى بلشوا مرتبة الفناء في محبتهم فلا يسمعون فيهم =

الخاطر ، فإنه خاطر الشيطان ، لَأَطْفَكَ في الحيلة ، وسمي نفسه مَرِيدًا ؛  
أفحسبت أنه لا يشتم نفسه ، واستبعدت عن<sup>(١)</sup> ذلك ؟ ووَغَرَضُهُ من ذلك  
أن يشغلك عن ذكر الحق ، فيتخبطَ عليك الأمر .. فانتهيت ، وانتهيت .

### [ وصل ]

فإذا خطر خاطرٌ بقلبك - أو فضاء صدرك<sup>(٢)</sup> - فشاور فيه الشيخ ،  
فإن قال : « هذا خاطر الحق » فاعلم أنه كذلك<sup>(٣)</sup> . وهذا ضابطٌ لك ،  
ما لم تصل إلى الذوق ، فإن وصلت إلى الذوق ، ذقت الخاطر فعرفته  
وميزته عن غيره - حسب الفرق بين الشهد والحنظل<sup>(٤)</sup> - بالذوق ..  
أما بالعبارة ، فيصعب نوعٌ صعوبة ! فإنك تقول في الفرق : ذاك حلو  
وهذا مر . ثم يُقال لك : ما الحلو وما المر ؟ فلا تقدر أن تكشف عن  
حقيقة الحلاوة والمرارة ، سوى أن تذكر علامتهما وثمرتهما ؛ فتقول :

= ما يقال ولا ينفكون عنهم بحال . فكيف والحالة هذه ، إذا تخيل السالك واستحضر صورة  
شيخه ومرشده ومربيه وولى نعمته ، بكمال الأدب مستعرضاً إرشاداته لدفع الخواطر  
الشيطانية ولزيادة الحضور وحصول الخشوع ، وبدهى أن ذلك من آكد الدواعي وأنفع  
الوسائل لطرد الشيطان وحضور القلب والحياء من الله تعالى .. (مدارج الحقيقة ،  
ص ٣٣) .

(١) أ : عنه .

(٢) ب : سرك - ومصححة بأعلاها .

(٣) أ : وإن قال هذا خاطر التنفس أو كيت وكيت فاعلم أنه كذلك .

(٤) نبات شديد المرارة . يقول العشابون العرب القدامى : هو نبات يُخرج أغصاناً وورقاً  
مفروشة على الأرض .. له ثمرة مستديرة شبيهة بكرة متوسطة الحجم ، شديدة المرارة  
(المعتمد في الأدوية المفردة ص ١١٠) .

( م ١٠ - فوائج الجمال وفواتح الجلال )



المرارة تأبأها النفس وتنقبض عنها ، والحلاوة ترضاها النفس وتنبسط بها .  
وتقول : ذاك طيبٌ موافق ، وهذا مخالف غير طيب ؛ وهذا يقطع ويفرق<sup>(١)</sup>  
ويزعج ، وهذا يرمُّ ويجمع ويسكن ؛ وهذا تقبله المعدة ، وهذا لا تقبله ..  
وكذلك بين الحلوين والمُرِّين ، يفرق بينهما إذا كان الذوق سليماً ؛ أما إذا  
فسد الذوق ، فقد تجدد الحلوُّ مرًّا ، كما قال الشاعر :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مُرٌّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الْزُّلَالَا<sup>(٢)</sup>

[الخفيف]

وكذلك ، نسبة مبدأ هذا الأمر إلى منتهاه ، فإن مبدأ مرضٍ ومُنْتهاه  
صحة . فإن القلب ذو مرضٍ في الابتداء ، فإذا دأواه الشيخُ الطيبُ  
الحاذق ، صَحَّ وصار سليماً ، فيذوق في الأول حلاوة العبادة مرارةً ،  
ومرارة المعصية حلاوةً ؛ فذا صَحَّ القلبُ وسلم ذوقه ، سلمت الأتباع  
كلها .

### مسألة :

هل يسقط التكليف عن عبادة الخواص ؟ نعم .. بمعنى أن التكليف  
مأخوذٌ من الكلفة ، وهى المشقة . فيعبدون الله تعالى بلا مشقةٍ وكلفة ،

(١) القطع والتفريق .. إلخ، من مصطلحات الطب العربى القديم ؛ كانوا يصفون بها خواص  
الأدوية والنبات وأثرهما فى الجسم . وبخصوص المعانى المتعددة لكلمة «تفرق» يمكن  
الرجوع إلى ما كتبه «القوصونى» تحت هذا اللفظ فى كتابه المخطوط : قاموس الأطباء  
وناموس الألباء .

(٢) البيت من قصيدة للمتنبى ، فى مدح بدر بن عمار ، يقول مطلعها :

بقائى شاء ليس هم ارتحالاً وحسن الصبر زموا لا الجمالاً

بل يتلذذون بها ويضطربون ! فإن الصلاة مناجاة ، ولكن مهما كان العابد موافقاً للشيطان مخالفاً للرحمن ، لم يجد لذة المناجاة بل يشقُّ عليه ذلك ، فإن مناجاة المخالف صعبة شاقة على البدن ، أما إذا وافق الرحمن وعادى الشيطان ، كانت<sup>(١)</sup> الصلاة في حقه مناجاة الحبيب .. وهو ألدُّ الأشياء .

### [ رواية ]

حُكي عن الحضرمي<sup>(٢)</sup> أنه كان يقول : إن الناس يقولون إني حلولي<sup>(٣)</sup> ، وإني أقول بسقوط التكليف عن عباد الله .. وكيف أكون حلولياً ، ولا أرى في الوجود سوى الله ! وكيف أقول بسقوط التكليف

(١) .. كان .

(٢) ب : الخضر - + أ : الحضرمي ض أ ، الحصري رحمه الله ف ن ، الحضري في الباب الثامن من كتاب تحفة البررة في المسائل العشرة ( كذا ) تأليف مجد الدين البغدادي المتوفى ٦١٦ هـ نسخة آيا صوفيا ١٦٩٦ ، الحصري في نسخة مكتبة برلين رقم ٣٠٨٨ ورقة ٤١ ب . ذكر أبو نعيم الأصفهاني في كتابه « حلية الأولياء » طبعة مصر ١٩٣٨ ج ١٠ ص ٣٤٤ صوفياً اسمه أبو عبد الله الحضرمي وتبعه الشيخ عبد الرحمن الجامي في نفحات الأنس طبعة كلكتة ١٨٥٨ ص ١٣٥ والحصري مشهور . ولعل الصواب « الجريري » فإنه وصل إلينا قول له في سقوط ثقل المعاملة عن العبد في الحلية ج ١٠ ص ٣٤٨ .

(٣) الحلول تهمة طالما اتهم بها مشايخ التصوف - وكان الحلاج هو أشهر من اتهم بذلك - والمقصود بها : الاعتقاد بأن الله اصطفى أجساماً حل فيها بمعاني الربوبية ( راجع : تعريفات الجرجاني ص ٩٨ - كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١٠٥/٢ ) وهو أحد أشكال الاعتقاد بالحلول ، ومنه قول القائل : أنا الله ، ما في الجبة غير الله .. وغير ذلك من العبارات التي تفوه بها الحلاج في غمرة سكره وغيبته عن الشعور - وإن كان قد عاد في صحوه وحضوره ، فكذبها وأنكرها .

ولي وِرْدٌ<sup>(١)</sup> في حال صباى ما فاتنى إلى هذا الوقت ! ولكنى أقول :  
لا كلفة في عبادة عباده الخواص .

---

(١) الورد هو جمع عدد معلوم من سور القرآن - بحيث لا يكون فيها سورة منقطعة ،  
والالتزام بقراءتها في اليوم والليلة . ويقال لذلك أيضاً : حِزْب ، ولهذا فإن قولنا « قرأ  
الرجل ورده - قرأ الرجل حزبه » بمعنى واحد .. انظر : لسان العرب ١/٦٢١ ،  
٣/٩٠٨ - القاموس المحيط ١/٥٦ ، ٣٥٧ - التكملة والذيل والصلة ١/١٧٤ ،  
٢/٣٣٢ .

ويطلق لفظا الحزب والورد أيضاً ، على كل ( ذِكر ) يتلى بعد الحضرة في الزوايا  
والتكايا الصوفية ، بشرط أن يكون مؤلفاً من المختارات القرآنية ( مكدونالد : مادة حزب  
بدائرة المعارف الإسلامية ٧/٣٦٩ ) وقد يقال له اليوم : وظيفة ! وهى تسمية  
يستخدمها مريدو بعض الطرق المعاصرة .

## فصل : فى تبديل الذوق

والذوق والمشاهدة<sup>(١)</sup> ثابتان معًا ، إلا أن المشاهدة سببها فتح البصيرة ، بكشف الغطاء<sup>(٢)</sup> عنها .. والذوق سببه تبديل الوجود والأرواح . والذوق هو « الوجدان بما يأتيك » ويدخل فى هذا التبديل تبديل الحواس ؛ فإن الحواس الخمس تتبدل بحواس أُخر . ومثاله النوم ، وهو ثابتٌ فى حَقِّ العامة ، فإنه مهما نام واستخلص قليلاً عن أثقال الوجود ، وانسدت حواسه ببحار الوجود ، انفتحت حواس أُخر إلى الغيب - من عين وسمع وشَمِّ وفَمِّ ويَدٍ ورجلٍ ووجودٍ آخر - فيرى ويسمع ، ويأخذ من لُقْمِ<sup>(٣)</sup> الغيب ويأكل .. وربما يقوم من نومه بعد الأكل ، فيجد لذة الطعام فى فمه ! ويتكلم ويمشى ويبطش ويصل إلى البلاد القاصية - ولا يحجبه البُعْدُ - وذلك وجودٌ أكمل من هذا . وربما يجد فى ذلك الوجود قوة الطيران ، والمشى على الماء ، والدخول فى النار ولا يحترق ؛ ولا تحتسب هذا جُزأفاً ، بل هو حقيقةٌ ، وهو أخُ الموت<sup>(٤)</sup> .

---

(١) راجع معنى « المشاهدة » فيما سبق . أما « الذوق » فهو منهج الصوفية الذى يعتمد على الرؤية الباطنة القلبية للأشياء ، والإدراك غير الحسى للمعارف .. وهو يقابل فى المصطلح الفلسفى كلمة « حدس » وكثيراً ما يستخدم الدارسون الكلمتين بمعنى واحد ، مع ما فيها من اختلاف فى المنطلق والغاية .

(٢) كشف الغطاء : تعبير صوفى يراد به الإشارة إلى انكشاف الحقائق الكامنة وراء الظواهر المحسوسة ، ورؤية القدرة الإلهية فى سائر الأشكال الوجودية . وينسب إلى بعض صحابة النبى قوله : لو كشف عنى الغطاء ما أزدت يقيناً ..

(٣) فى الحديث الشريف : إني أبيتُ عند ربي يطعمنى ويسقئني .

(٤) فى المأثورات : النوم أخو الموت . وفى الآية الكريمة : ﴿ اللهُ يتوفى الأنفس حين موتها =

فما يجده العامي<sup>(١)</sup> في منامه - بحسب قوة وجوده الأدنى ، يجده السَّيَّار بين اليقظة والمنام ؛ لضعف وجوده الخسيس<sup>(٢)</sup> ، وقوة وجوده الشريف النفيس<sup>(٣)</sup> . ثم يقوى هذا الوجود الشريف ، فيقع الفعل إلى عالم الشهادة ، فيطير ، ويمشي على الماء ، ويدخل في النار فلا تضره<sup>(٤)</sup> ، ويرى ويسمع ويأخذ ويصعد وينزل ويتصرّف بيد المهمة<sup>(٥)</sup> .. والحاضر معه ، محجوبٌ بالوجود الكثيف لا يجد ذلك .

واعلم أن المشاهدة في الأول تكون بالصور والخيال ، ثم بالذوات - إذا ظهرت الألوان - ثم تفتنى الذوات في الذات الواحدة . وسبب الصورة والخيال ، قوتان خادمتان للعقل في الرأس ، لضبط الأشياء له - مثل الحباله<sup>(٦)</sup> والشبكة للصيد - فتأخذان الأشياء ، فيتصرّف هو فيها ؛

= والنبي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴿ ( الزمر ، آية ٤٢ ) .

(١) العامي في كلام الصوفية ، هو غير المتذوق .. حتى لو كان عالماً في أحد علوم الظاهر .

(٢) هو : الوجود الجسماني .

(٣) هو : الوجود الروحاني .

(٤) + أ : ولا تضره - .. يضره .

(٥) الإشارة إلى تصرف الأولياء في الوجود المحسوس ، سواء بالهمة ( انظر « الهمة » فيما

سبق ) أو بالقدرة الإلهية المعارة ، المشار إليها في الحديث القدسي : مازال عبدى يتقرب

إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإن أحبته كنت عينه التي يرى بها .. ويصبح عبداً ربانياً يقول

للشيء كن فيكون ( وهو من أصح الأحاديث التي يستند إليها الصوفية في قولهم

بالكرامات ) .

(٦) الحَبَالَةُ في فصيح اللغة : الانطلاق ، فيقال : أتيت على حَبَالَةِ انطلاق ، وأتيت على حَبَالَةِ

ذلك - أى على حين ذلك وإبانه ( لسان العرب ١/٥٥٨ ) وإن الظاهر هنا ، أن الشيخ

يستخدمها هنا بمعنى أنشطة الصيد .

والنظر - مثل كلب الصياد - فإذا وردت المعاني بذواتها ، رمى العقل إليها حبالتي المصوّرة<sup>(١)</sup> والمخيّلة<sup>(٢)</sup> ، أو عدا إليها كلب النظر فاصطادها بنابئ المصوّرة والمخيّلة ؛ ثمّ تحفظها المُمسكة<sup>(٣)</sup> المذكّرة للعقل حتى يتصرّف فيها ، ويسألها : من أين هي ؟ وما هي ؟ وإلى أين ؟ وما غرضها ؟ ثمّ يقضى منها العجب .

فالمخيّلة تحيل المعنى بلباسه اللائق به ، والمصوّرة تصوّره .. فتصوّر العدو الخسيس بصورة الكلب ، والعدو الشريف بصورة الأسد ، والرجل العظيم بالجبل ، والسلطان بالبحر ، والرجل النافع بالشجرة المثمرة ، وغير النافع بالشجرة غير المثمرة ، والنفع والرزق بالطعام ، والدنيا بالنجاسة والمرأة العجوز ، وهلمّ جرّاً إلى غير ذلك .. وهذا سيرُّ علم التعبير<sup>(٤)</sup> .

(١) يقصد القوة المصوّرة التي تجسد المعاني في الصورة .

(٢) هي قوة الخيال .

(٣) هي الذاكرة .

(٤) هو علم تعبير الرؤى ، أو تفسير الأحلام . وقد استهدى البشر بالأحلام والرؤى لفهم الواقع المحسوس منذ أقدم العصور ، ولذلك نرى النابلسي يصف هذا العلم ( تعبير الرؤى ) بأن علم من أشرف علوم الأوائل .. وأقدم النصوص الخاصة بمحاولة تفسير المنامات ، ووضع تصنيف لها ، هو كتاب « أرطيميدوس الإفسي » الذي عاش في القرن الثاني الميلادي ، وقد قام « حنين بن إسحاق » بترجمته من اليونانية إلى العربية في القرن الثالث الهجري ، ويرجح الباحثون أن ابن سيرين - أشهر المؤلفين في هذا الفن - قد استفاد من كتاب أرطيميدوس .

ومع ذلك كله ، فالبرديات الفرعونية تشير إل أن المصريين القدماء استعانوا في مجال التشخيص بدلالة المنامات التي يراها المرضى ، فكان يطلب من المريض أن ينام في المعبد ثم يقص ما يراه على الطبيب حتى يستهدى الأخير بذلك في معرفة نوع المرض ! =

فإذا قضى العقل وَطَرَه ، وَحَدَّه<sup>(١)</sup> ، وطرب<sup>(٢)</sup> ، وعجب كل العجب ؛ علم أن الحِسَّ الأول كذبه حين قال له : لا شيء سوى ما ترى وتسمع وتذوق وتجد ؛ وقد طالت<sup>(٣)</sup> محبته معه ، وكان مصدِّقًا له تصديقًا عَارِضِيًّا ، فلما وجد علمًا آخر ، صدَّقه .. حتى إنه لو أنكر على الحِسَّ الغيبيّ ، فَعَلَّ به رقباء الغيب<sup>(٤)</sup> ما يعمل مدَّعى الحقائق على السفسطى ، من بعج بطنه بسكين ، وترضيض رأسه ، والضرب بالسيف والقيد .. حتى يجد الألم ، فيصدِّق الحقائق<sup>(٥)</sup> .

= أما آراء العلماء المسلمين في هذا الفن ، فقد عرضها التهانوى بالتفصيل ( كشف اصطلاحات الفنون ص ٥٩٧ ) حيث ابتدأ باختلاف العلماء حول معنى الحديث النبوى : « من رآنى فى المنام فقد رآنى حقًا فإن الشيطان لا يتمثل بى .. » ثم عرض التهانوى لمذاهب الإسلاميين فى الرؤيا .

وأشهر الكتب فى هذا الموضوع أربعة : تعبير الرؤيا لأرطيميدوس - تفسير الأحلام لابن سيرين - تعطير الأنام فى تعبير المنام للنابلسى - تفسير الأحلام لفرويد . واللافت للنظر فى تناول الشيخ نجم الدين لهذا الموضوع ، هو تركيزه على ميكانيزمات الترميز ، ودور الخيلة والمصورة المتكامل فى صياغة الرؤيا ، وبالتالي يمكن الكشف عن دلالات الرؤى بشكل دقيق .. وتلك المسألة تعد من قبيل « البحث العلمى » فى هذا الموضوع ، وغالبًا ما ينسب الفضل لعالم النفس الشهير « فرويد » فى الكشف عنها .

(١) قوله « حده » أى : جعل له حدًا معروفًا وصورة مناسبة .

(٢) أ : وطرده ! وغير واضحة فى ب .

(٣) .. طال .

(٤) الرقباء هم أهل مرتبة من المراتب الروحية للأولياء ( راجع الحكومة الباطنية للدكتور حسين الشرقاوى ) لكن المشار إليه هنا - على الأرجح - هو شيء آخر ، يبدو وكأنه صنف من الملائكة .

(٥) يقصد ما يشعر به الإنسان بعد قيامه من النوم ، من آلام جسمية .

فإذا علم ذلك ، كذَّب الحسَّ الأول وأَعْرَضَ عنه ، وقعد عن الصيد الحسِّي . وضعف عن التصرُّف - بمُدَّةٍ مديدة - فيسأم عن عالم الصور والخيال ، فتقعد كلابُه وحباله<sup>(١)</sup> عن الاصطياد ؛ فتظهر المعاني<sup>(٢)</sup> في الألوان - لثبوت الرابطة بينها وبين البصيرة - ثُمَّ تَفْنَى المعاني في ينبوع المعاني ، وهو القلب ، فيستقيم الأمرُ على لونٍ واحدٍ ، وهو الخضرة ، وهو لونُ حياة القلب ؛ ثُمَّ يبقى بعده لونُ العقيق<sup>(٣)</sup> ، وهو لون العقل الكبير .. مَنْ أَتَّصَفَ به ، حملة على ما يَحِبُّ أن يوجد ، ويمنعه عما يَحِبُّ عدمه . شاء صاحبه أم أبى ، بل لا يَأْتِي عليه ، كما لا تَأْتِي على الروح إذا احتترزت من النار !

وهذا اللون<sup>(٤)</sup> ، إنما يظهر باليسر بعد العسر .. وهو عسر المجاهدة ، فإن المجاهد إذا رابط ثغره<sup>(٥)</sup> الصدق والإخلاص ، نزل عليه من

(١) الإشارة إلى الحواس المذكورة فيما سبق ، كالخيلة والمصورة .

(٢) العبارة التالية في هامش ب .

(٣) العقيق حجر كريم ، أجوده وأشهره « العقيق الأحمر » وهناك أنواع أخرى : الرطبي ، الأحمر المائل للصفرة ، الأزرق ، الأسود الأبيض ( انظر : أزهار الأفكار للتيفاشي ص ١٤٦ - الجماهر في معرفة الجواهر لليروني ص ١٧٠ ) والمقصود بلون العقيق هنا : اللون الأحمر .

(٤) يقصد لون العقيق الأحمر .

(٥) الرابطة في الثغور ، نوع من المجاهدات الصوفية ، يذهب فيه الصوفي لحراسة حدود الدولة من هجمات الأعداء .. ويبدو أن اتخاذ الصوفية لهذه الرياضة الروحية ، راجع إلى جمعها بين الجهاد بالمعنى الظاهر ( الجهاد بالسيف ) والجهاد بمعناه العميق .. أى الجهاد الأكبر ( جهاد النفس ) لما في هذه الرابطة من ملازمة لشظف العيش والتششف والبعد عن الحياة المترفة .



الواردات<sup>(١)</sup> الثَّقَال كالجبال الراسيات ، حتى يَنْدَقَّ في الأرض ويصير بها<sup>(٢)</sup> . فلم يضطرب ولم يتحرك ، فيبقى بذلك زمانًا ، وهو حقيقة نزول العقل الكبير عليه ، ويبدو لوئته - بجذاء الجبهة - كأنه لوحٌ أسود عليه نقطٌ حمراء كالعقيق ، يكبر ويصغر بقدر خرق حجابهِ .. وهو أمتن الحجب وأصعبها . وإذا شوهد<sup>(٣)</sup> هذا اللون في الغيبة ، فَتَّتَ السَّيَّارَ وَمَزَّقَهُ وَرَزَّلَهُ ونفضه ؛ وسببه أن الضعيف لا يطيق نظر القوى<sup>(٤)</sup> .

وهذا إنما يكون في النهايات ، لا في البدايات .

(١) الوارد - كما يعرفه القاشاني - هو : كل ما يرد على القلب من المعاني ، من غير تعمل العبد ( اصطلاحات الصوفية ص ٤٧ ) .

(٢) أ : ويصير لها - ب : ويصير لها .

(٣) .. شاهد ! ولا يستقيم المعنى بهذه الكلمة .

(٤) المعنى الوارد هنا ، يطابق القصة الصوفية الشهيرة ، التي تحكى عن الشاب الذي مات عند رؤيته لأبي يزيد البسطامي ! فقد روى ابن خميس في « المناقب » والغزالي في « الإحياء » والمكي في « قوت القلوب » ما نصه :

عن بعض أصحاب أبي يزيد البسطامي ، قال : كان عندي شاب صغير ملازم للخلوة . فقلت له : هل رأيت أبا يزيد ؟ قال : لا ، فتركته أيامًا وأعدت عليه القول . قال : لا ، فلما أكثرت عليه قال : رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد ! فكررت عليه القول وهو لا يزيد على هذا ، فغاضني ، فقلت : لو رأيت أبا يزيد مرة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة ! فقال : قم بنا إليه .. فخرجنا نطلب أبا يزيد ، وإذا به قد خرج من النهر وفروته مقلوبة على كتفه ، فلما رآه الشاب ، صاح ومات . فقلت لأبي يزيد : ما هذا ؟ فإنه ذكر أنه يرى الله وما مات ، يراك فيموت ! فقال : نعم ، كان يرى الله على قدر حاله ، فلما نظر إلَيَّ ، رأى الله على قدر حالى ، فلم يثبت ، فمات .

## فصل : فى الاستغراق

الاستغراق الأول ؛ استغراق الوجود فى الذكر :

وهذا إنما يكون ؛ إذا احترقت الأجزاء الخبيثة وبقيت الأجزاء الطيبة ، سمعت حينئذٍ « ذكر الوجود » فتسمع من كل جزءٍ ذكراً ، كأنه ينفخ فى بوق أو يضرب دُبْدَبَةً<sup>(١)</sup> . وإذا استقام ذكراً ، صار كرنة النحل .

وقبل الاستقامة ، يقع الذكر أولاً فى دائرة الرأس - لأنها مصعدة - فتجد فيه صوت الدباب والكوس<sup>(٢)</sup> والبوق . والذكر سلطان ، إذا نزل موضعاً ، نزل بدبابه وبوقاته<sup>(٣)</sup> ، حتى ربما ينتهى الأمر إلى أن يُجَنَّ ويُخاف عليه من الموت .. ولكن الصادق لا يضره ذلك .

### [ معاينة ]

كنتُ فى الخلوة ذاكراً ، فوجدتُ فى رأسى مثل هذه الأصوات ، مع أوجاع شديدة ، وكنتُ فى ذلك صادقاً ، باذلاً المهجة<sup>(٤)</sup> التراب أقدام تلك الحضرة . فحكيتُ الأصوات والأوجاع للشيخ ، فقال لى : اخرج

(١) الدبابة : الطبل .

(٢) الكوس : الطبل .. والمتكوس نوع من قوافى الشعر ( لسان العرب ٣/٣١٣ ) .

(٣) كذا فى جميع الأصول ، وجمع « بوق » فى فصح اللغة العربية : أبواق .

(٤) .. للمهجة .

من الخَلوة ودَع الذكر ، حتى لا تُجَنَّ أو تموت ! فقلت للشيخ : لأنَّ أموت في الطريق ، أحبُّ إلى من أن أموت في المقام<sup>(١)</sup> .. فقال : كنتُ أستخبرُ باطنك على ما أنت عليه ، فمهما كنتَ صادقاً عازماً على بذل المهجة فما تُبالي !

فما عَبَّرَ أسبوعٌ ، حتى حَلَّ اللهُ تلك العقدة ، ونزل الذكر في الرأس ، وأقام به ، وظهرت قُرَّةُ الأعين ومُنَى الأنفس ولذاذَةُ الأرواح وطيبةُ القلوب . وما أدري سبباً لفتح هذا الباب علىَّ ، إلاَّ توفيقه ، لصدقي وثباتي على قدم الإخلاص في تلك الأيام .

### [ إشارة ]

وسرُّ هذه الأصوات الشديدة ، أن الذكر ضدَّ كل ما سوى الحقِّ ؛ فإذا وقع في موقع ، اشتغل بنفى الضدِّ .. كما تجده من اجتماع الماء والنار .

### [ وصل ]

وبعد هذه الأصوات - أصوات الدبادب والبوقات - تسمع أصواتاً مختلفة ، مثل خريير<sup>(٢)</sup> الماء ودويِّ الريح وصوت النار إذا تأججت وصوت الأرحية<sup>(٣)</sup> وخبط الخيل والرَّجل وصوت أوراق الأشجار إذا هبَّت عليها

(١) الطريق هنا ، إشارة إلى المرحلة الفاصلة بين المقامين .. والمعنى : أنه يفضل الموت وهو في طريقه إلى المقام الأعلى ، على الموت وهو في المقام الأدنى .

(٢) أ : هدير ، + أ : مقصودها « خريير » .

(٣) الأرحية : جمع رحي ، رحا ( حجر عظيم يُطحن به ) يقول ابن منظور : والرحى معروفة ، التي يُطحن بها ، والجمع أرح وأرحاء ورحى ورحى وأرحية ، الأخيرة نادرة ! ( لسان العرب ١/١١٤٤ ) .

ريحٌ عاصفة . وسِرُّ ذلك ، أن الآدمي مُرَكَّبٌ من كل جوهرٍ - شريفٍ ووضيغٍ - هذه من الأركان<sup>(١)</sup> والأرض والسماء وما بينهما ، فهذه الأصوات أذكارٌ كُلُّ أصلٍ وعنصرٍ من هذه الجواهر<sup>(٢)</sup> .. ومن سمع هذه الأصوات ، فقد سَبَّحَ اللهَ وَقَدَّسَهُ بِكُلِّ لِسَانٍ ، وهو من شرائط الطريق . وهذا الاستغراق ، نتيجةُ ذكر اللسان بقوة .

### الاستغراق الثاني<sup>(٣)</sup> :

وبعد هذا ، يفتحُ الذكر بابًا من فُودِ الرأس<sup>(٤)</sup> ، قوارة<sup>(٥)</sup> شبيهة الدائرة ، فينزل عليه من فوق ظُلْمَةٌ ، ثُمَّ نَارٌ ، ثم خُضْرَةٌ .. وهى ظُلْمَةٌ الوجود ، ونارُ الذكر ، وخُضْرَةٌ القلب .

وإنما يُفتحُ البابُ أولاً من فوق الرأس ، لأن الذكر كلمةٌ طيبةٌ تصعد إليه بذاتها . وجهة الهوية فوق ، فودُ الرأس ، فتصعد الكلمة الطيبة إليه . والحقُّ يجازيه - بالفضل والرحمة - من الواردات الروحانية والأنوار

(١) يقصد : الهواء والماء والنار والتراب ( = الأركان الأربعة ) .

(٢) يتسیر الشيخ نجم الدين هنا إلى معنى سيصير نظرية كبرى في كتابات ابن عربي والصوفية من بعده ، وهى نظرية التقابل بين الإنسان ( الكون الأصغر ) والكون ( الإنسان الكبير ) وهى فكرة رواقية الأصل - وربما شرقية - كان إخوان الصفا قد عرضوا لها فى رسائلهم بشيء من التفصيل .

(٣) هكذا فى ب ، ج .. وجاءت بين أقواس فى أ ، وكتب المحقق فى الهامش : الاستغراق الثانى ص : ليس فى ف ن آ ، ووضعته فى المتن لتوضيح موضوع الكلام .

(٤) الفود : معظم شعر الرأس مما يلى الأذن ، وفودا الرأس : جانباه . والجمع : أفواد ( لسان العرب ١١٤٢/٢ ) .

(٥) ب : فوارة !

القدسية ، فيملؤه من فوقه إلى قدمه أمنًا وإيمانًا ورغبةً وشوقًا ومحبةً وإيقانًا وإتقانًا وعرفانًا ، فيمتلئ . وعند ذلك ينطلق القلب ، ويرغب إلى الربِّ جَلَّ جلاله - عند الصحة - فيستغرق الذكر في القلب ، لا استغراق الفناء<sup>(١)</sup> ، بل استغراق الوقوع فيه ، فيحسُّ من القلب كأنه قليب ، والذكر دلوٌّ يقع فيه ، فيستقى الماء منه . وعند ذلك يقع الطيرانُ في الأعضاء وحركاتٌ ضرورية غير معهودة مثل حركة المُرتعش .

وكلما سكت عن الذكر ، تحرَّك القلب في الصدر حركة الولد في بطن الأم يطلب الذكر ، فإن القلب مثل عيسى بن<sup>(٢)</sup> مريم ، والذكر لَبْنُهُ . وإذا قوى وكبر ، صعد منه حينئذٍ إلى الحُقِّ ، وصوتٌ ، وصعقات<sup>(٣)</sup> ضرورية ، شوقًا إلى الذكر والمذكور ؛ وإن كان صاحبه غافلاً عن الذكر والمذكور .. وذكر القلب يشبه رَنَّةَ النحل ؛ لا صوت رفيع مشوِّش ، ولا خفيًّا شديد الخفاء .

(١) للفناء في لغة الصوفية دلالات متعددة ( راجع في ذلك : تعريفات الجرجاني ص ١٤٣ - الرسالة القشيرية ص ٣٩ - التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٥٠ - رسالة اصطلاح الصوفية لابن عربي ص ٦ ) .

والراجح أن الشيخ نجم الدين هنا يستخدم الفناء بمعنى غياب الحس ، ذلك لأنه ينفي هذه الحالة ويؤكد شعور الذاكر الواقع ذكره في القلب ، وكأن الذكر دلو يأتى بالماء من بئر القلب .. وهى صورة فريدة من صور الشعور . أما في الفناء - بمعانيه المتعددة - فلا نجد مثل تلك الصور الشعورية .

(٢) أ ، ج : ابن .

(٣) الصَّعَقَات نوع من الصرخات المفاجئة التى تصدر عن الصوفى إذا هجمت عليه الواردات الإلهية .. وفى كتب الطبقات نرى العديد من وقائع الصعق على مشايخ الصوفية ، وبعضهم مات بتلك الصعقة الشديدة .

ومن علامات وقوع الذكر في القلب ، أن تشاهد من قُدَامِكَ ينبوعًا ، ينبع نورًا سريعَ التَّبَعَانِ ، يجد إليه السَّيَّارُ طمأنينةً ، ويتخذها مؤنسًا . ومن العلامات<sup>(١)</sup> أن الذكر يفتح الجنب الأيمن ، فَيَسِمُ على الجنب مثل أثر الجراحة إذا اندملت ، فتخرج منه أنوارُ الذكر .. ثمَّ يدور ذاك الوسم بجذاء عمل الذكر على القلب ، فيرجع من الجنب إلى ما وراء الظهر ، فيحسُّ السَّيَّارُ بالداخل والخارج منه . ومن ذاك الباب ، يخرج القلب والروح القُدْسِي ، فيعلو الراكب على المركب ، وقد كان تحته ؛ وأعنى بالراكب : اللطيفة الناطقة ، وبالمركب : القالب .. وحينئذٍ يعرج به إلى المحاضر ، محاضر الحقِّ<sup>(٢)</sup> .

### الاستغراق الثالث ، وقوعُ الذكر إلى السَّرِّ<sup>(٣)</sup> :

وهو غَيْبِيَّةٌ<sup>(٤)</sup> الذاكر عن الذكر ، في المذكور<sup>(٥)</sup> ؛ فذكره : الهَيِّمَانُ فيه ، والغرقُ فيه . ومن علاماته ، أنك إذا تركت الذكر لم يتركك

(١) ب ، ج : العلامة .

(٢) المحاضر : جمع « محاضرة » وهي كما يقول القاشاني : حضور القلب مع الحق في الاستفاضة من أسمائه تعالى ( اصطلاحات الصوفية ص ٨١ ) .

(٣) السر : هو ما يخص كل شيء من الحق ، عند التوجه الإيجادي إليه ، المشار إليه بقوله تعالى « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » ولهذا قيل : لا يعرف الحق إلا الحق . ولا يجب الحق إلا الحق . ولا يطلب الحق إلا الحق ! لأن ذلك السر هو الطالب للحق ، والمحِبُّ له ، والعارف به .. كما قال النبي عليه السلام : عرفت ربي بربي .

(٤) راجع معنى « الغيبة » فيما يأتي من كلام الشيخ نجم الدين .

(٥) المذكور : الله تعالى .

الذكر ؛ وذلك طيرانُ الذكر فيك ، لينبّهك عن الغيبة إلى الحضور<sup>(١)</sup> .  
ومن علاماته : شدُّ الذكر رأسك وأعضاءك جميعها ، فتكون كالمشدود  
بالسلاسل والقيود . ومن علاماته أنه لا تحمد نيرانه ، ولا تذهب أنواره ،  
بل ترى أبداً أنواراً صاعدة وأخرى نازلة ، والنيران حواليك صافية تتأجج  
وتتقد .

فذكر الحروف بلا حضور ، ذكرُ اللسان .

وذكر الحضور في القلب ، ذكر القلب .

وذكر الغيبة عن الحضور في المذكور ، ذكرُ السرِّ .

فإذا رجعت إلى الحضور وفهم الذكر ، نزلت درجة . فإذا ذهلت  
عن المذكور والحضور ، واختصرت بمجرد لقلقة اللسان ، نزلت درجة  
أخرى .

.. واعلم ، أن للذكر - وإن كان بمجرد اللسان - سلطاناً عظيماً ،  
ولكنه لا يظهر عند الوجود ، لقوة احتجابه عن سلطان الذكر ؛ فإذا عرى  
السَّيَّار عن الوجود - بالنوم أو بالغيبة عند ضعف الوجود - ظهر سلطان  
الذكر . وهو نورٌ يقع عليه من فوق ، أو من وراء ، أو من قدام ؛

(١) الملاحظ هنا ، أن الشيخ نجم الدين يجعل الغيبة مدخل الحضور ، فإذا كانت الغيبة بمعناها  
الأول هي الذهول عن الوجود المحسوس ، فهي بمعناها الثاني حضور مع الله .. ثم يجعل  
الشيخ « الغيبة » هي الخروج عن الحضور في الذكر ، وبذلك فبدلاً من الغيبة عن  
الوجود الحسى بالحضور مع الذكر ، تكون الغيبة - عن الحضور مع الذكر - في الشعور  
بالوجود المحسوس !

فيتزلزل وينتفض ، ويقول عند ذلك - ضرورة المخافة : « لا إله إلا الله »  
 ويجد قوَّةً عظيمةً وشدَّةً شديدةً ، حتى إنه يسجد وينيب حينئذٍ إلى الله  
 - عزَّ اسمه - ويُسلم ويؤمن ، وهذا يظهر بقدر خدمته للذكر ومواظبته  
 عليه .

### [ مراتب النفس ]

النفوس ثلاثة : النفس الأُمارة بالسوء ، وهى نفس العامة .. تكون  
 مظلمة ، فإذا وقع الذكر ، كان الذكر مثل السراج الموقد في البيت  
 المظلم . فحينئذٍ تصير لَوامةً ، لأنها . تبصر أن البيت ملآنٌ من نجاسةٍ ،  
 وكلبٍ ، وخنزيرٍ ، وفهدٍ ، وغمرٍ ، وحمارٍ ، وثورٍ ، وفيلٍ ، وكلُّ شيءٍ  
 مدمومٌ في الوجود<sup>(١)</sup> .

ثم تجتهد في إخراجهم عن هذا البيت ، بعد أن تَلَطَّخت بأنواع  
 النجاسات ، وتجرَّحت من أنواع السَّبَاع . فتلازم ذكر الحقِّ ،  
 والإنابة<sup>(٢)</sup> ، حتى يظهر سلطان الذكر عليهم .. فيخرجهم .

ثمُّ تقرب من المطمئنة ، فلا تزال تجتهد في جمع أثاث البيت ، حتى

(١) المراد بالبيت هنا : الجسد .. والمراد بتلك الحيوانات ، ما يقابلها في خلق الإنسان ،  
 حيث يرمز الكلب والخنزير لشهوات البدن ، والثور لشراسة الخلق ، والحمار للغباء ..  
 وهكذا .

والرمز الصوفي لقوى النفس بالحيوانات ، يتكرر عند غير واحد من كبار مؤلفي

التصوف ، فراه في قصة « حى بن يقظان » لابن سينا وفي « الإحياء » للغزالي .

(٢) الإنابة : الرجوع . والمراد هنا : الرجوع إلى الله .



يتزَّينُ البيْتُ بأنواعِ المحمودات ، فتتحلى<sup>(١)</sup> بها ، ويصلح البيت لنزول السلطان فيه ، فينزل .. فإذا نزل فيه السلطان ، وتجلَّى الحقُّ<sup>(٢)</sup> ؛ اطمأنت<sup>(٣)</sup> .

واعلم أن للنفس الأمانة علامة في الشاهدة ، وهى دائرة كبيرة تطلع من قدامك مسودة كأنها قير ، ثم تفنى ، ثم تطلع قدامك كأنها غيم ، ثم تطلع وقد انكشف من حافاتهما شئ كالللال يبدو طرف منه أثناء الغيوم ، ثم تكون هلالاً . ثم إذا لامت نفسها ، فتطلع من الحَدِّ الأيمن كأنها شمس حمراء - يجد الحَدُّ حرارتها - وتارة تكون بجذاء الأذن ، وتارة بجذاء الجبهة ، وتارة فوق الرأس .. وهذه النفس اللوامة هى العقل .

(١) التحلى مرتبة تلى التحلى .. فإذا كان التحلى هو تحلية النفس من الأوصاف المذمومة - تلك التى رمز إليها الشيخ بالحيوانات - فإن التحلى هو تحلية النفس بضدها ، أى الصفات المحمودة المؤهلة لنزول سلطان الذكر الإلهى .

(٢) التجلى : هو ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب ( اصطلاح الصوفية لابن عربى ص ٩ - اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٥٥ ) .

(٣) يشير الشيخ نجم الدين هنا إلى ثلاث مراتب للنفس : الأمانة بالسوء - اللوامة - المطمئنة .. وهى ثلاثة أوصاف مستمدة من النص القرآنى :

★ ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾ سورة يوسف، آية ٥٣ .

★ ﴿لا أقسم بيوم القيامة \* ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ سورة القيامة، آية ١ ، ٢ .

★ ﴿يا أيها النفس المطمئنة \* ارجعى إلى ربك راضية مرضية﴾ سورة الفجر، آية ٢٧ ، ٢٨ .

وقد زاد بعض الصوفية فى مراتب النفس فجعلها سبعة : الأمانة - اللوامة - الملهمة - المطمئنة - الراضية - المرضية - الصافية أو الكاملة . ( راجع : الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية ، لإسماعيل القادري ص ١٤ وما بعدها ) .

وأما النفس المطمئنة فلها علامة في المشاهدة ، وهى أنها تطلع تارةً قُدَّامك مثل الينبوع الكبير ، فتفيض منها الأنوارُ ، وتارةً تشاهدها فى الغيبة دائرةً وَجْهَكَ من نورٍ ، صافيةً مثل السجندجل المصقول ؛ وهذا إذا صعدت إلى الوجه ، وفنى فيها الوجهُ ؛ فيكون وجهك - حينئذٍ - هو<sup>(١)</sup> النفس المطمئنة . وتارةً تشاهدها بعيدةً عنك فى الغيبة ، وبينك وبين دائرتها ألف منزل<sup>(٢)</sup> ، لو دنوت من واحدٍ منها احترقت<sup>(٣)</sup> .

واعلم أن فى الوجه دوائر تظهر فى نهايات السير ، منها « دائرتا العينين من نورٍ » تظهرا فى كل مُلْتَفَتٍ يمينًا وشمالاً ، ودائرة أخرى « دائرة نور الحق » تظهر من بين الحاجبين والعينين ، وهذه الدائرة لا نقطة فى وسطها - بخلاف دائرة العينين ، ففى وسطها نقطة - وربما تفنى دائرة العينين فى النقطة ، فتبقى النقطة وتنفى الدائرتان .. و « دائرة الروح » وهى تظهر بجذاء الأنف . ونور اللسان ليس له دائرة ، وإنما هو نورٌ مطلق ، ورَشٌّ محض ، لا دائرة فيه . ولا دائرة لنور السمع ، وإنما ذلك نقطتان من نور تظهرا وراء دائرتى العينين .

(١) أ ، ج : هى !

(٢) المنزل فى معناه المشهور : المحط ودار الإقامة . وفى الاصطلاح ، يشير عند أهل علم الفلك إلى المسافة التى يقطعها القمر فى يوم وليلته ( كشاف اصطلاحات الفنون - ص ١٤٢٣ ) وعند الصوفية ، المنزل هو المقام الذى يكون فيه الصوفى خلال رحلة عروجة . والشيخ نجم الدين ، يستخدم « المنزل » هنا بمعناه الفلكى .

(٣) قارن ذلك بقول جبريل للنبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج : لو تقدمتُ شبرًا لاحترقتُ .

## [ معاينة ]

كنتُ في الحُلُوة ، فغبتُ ، ثُمَّ عُرِّجْتُ إلى أن كان بين يديَّ شمسٌ طالعة ؛ فأدخلتُ في الشمس بعد أن قاسيتُ من قواها شدةً عظيمة . فسألتُ الشيخ ، فقال : الحمد لله ، وأنا رأيتُ في المنام كأنى أمشي في حرم مَكَّة ، وأنتَ معي - والشمس في وسط السماء - وتقول : أيها الشيخ ، أتعرفني مَنْ أنا ؟ قال : فقلتُ مَنْ أنتَ ؟ فقلتُ : أنا ذاك الشمس في السماء ! ففرح شيخى عمَّار لتطابق الواقعتين ، وقال : أُدخلت في عالم القلب ، جاهدتُ في الله ليالى ، فكنتُ أنظرُ إلى السماء إلى أن دخلت السماء في داخلي ، حتى ذُقْتُ أنى السماء ؛ وكنتُ أنظرُ إليها ليالى أُخر ، إلى أن أبصرتها تحتى بمثل ما أبصرتها فوقى ؛ وكنتُ أنظرُ إلى الأرض ليالى ، واستكشفتُ على ماذا هي ! حتى فنَّيتُ في دائرةٍ من نور .

## [ تفسير ]

وحظُّ العلم ، من هذه الواقعات : أن الروح القدسى لطيفةٌ سماوية ، فإذا فاضت بقوة الهمة<sup>(١)</sup> ، لحقت بالسماء وغرقت السماء فيها ، بل السماء والروح شىء واحد .. وهذا الروح لا يزال يطير ويربو وينمو ، إلى أن يكسب شرقاً فوق شرف السماء ، فيعلوها .

(١) راجع معنى « الهمة » فيما سبق .

## [ تفسير آخر ]

أو نقول : إنَّ في الآدميِّ جواهر من كل معدن ، فالطالب لكل معدنٍ جنسه من الجواهر ؛ فإذا صدقت إرادته وطلبه وجدَّ ، وجد الأصل ولحق به . وما رأيتُ السماءَ تحتى ولا فى داخلى ، إلَّا بعد أن قام فى داخلى طلبٌ وعتابٌ : « أنى لأيش<sup>(١)</sup> ما كنت فى السماء ، أو أكبر من السماء ، أو فوق السماء بحسب ما هى فوقى ؟ » فصَدَقْتُ الجواهر الغريبة فى الحنين إلى معادنها ، فلحقت بها .. والدائرة التى فנית فيها الأرض : دائرة القدرة .

## [ طبقات المشاهدة ]

اعلم أن المشاهدة مشاهدتان ؛ أدنى ، وأعلى . فالمشاهدة التى هى أدنى ، مشاهدةٌ ما تشتمل به الأرض - أعنى بها فى الغيب لا فى عالم الشهادة - من صورٍ وألوانٍ وبحارٍ ونيرانٍ ومفازات<sup>(٢)</sup> وقُرى<sup>(٣)</sup> وآبارٍ وصروحٍ وغير ذلك .. والمشاهدة العليا مشاهدة ما تشتمل به السماء من الشمس والقمر والكواكب والبروج والمنازل وكل شىء ، فلا تَرى ولا تُشَاهِدُ إلا ببعضه<sup>(٤)</sup> - كما قلنا : إن الجواهر لا يشاهد إلا معدنه

(١) تتردد كلمة « أيش » كثيرًا فى كتابات وأقوال الصوفية ذوى الأصول الفارسية ، وهى اليوم لفظة عامية كثيرة التداول بين البدو وسكان صعيد مصر .. ويقابلها فى الفصحى : ماذا .

(٢) المفازة هى الأرض الصحراء الخالية ، وجمعها : مفاوز .

(٣) أ ، ج : قرايا .. والواضح أن ناسخ ج صَحَّحها بما أثبتناه فى المتن !

(٤) ب : ببعض .

ولا يريد إلا معدنه ولا يحنُّ إلا إلى معدنه - فإذا شاهدتَ سماءً أو أرضاً أو شمساً أو كواكب أو قمراً ، فاعلمْ أنه<sup>(١)</sup> قد زكا فيك الجزء من ذلك المعدن .. ولا تعتقد أن السماء التي تشاهد في الغيب ، هذه السماء ! بل في الغيب سماواتٌ آخر أطف ، وأخضر ، وأصفى ، وأنضر ؛ بلا عَدُّ ولا حصر . وكلما زدتَ صفاءً ، بدت لك سماءٌ أصفى وأبهى ؛ إلى أن تسيّر في صفاء الله - وذلك في نهاية السير<sup>(٢)</sup> - وصفاء الله لا نهاية له ، فلا تعتقد أن الذي نلتَه ليس شيءٌ وراءه أعلى منه !

### [ المَحَاضِرُ الرِّبَانِيَّةُ ]

اعلمْ أن للحقِّ محاضرٌ ، وهي محاضر الصفات<sup>(٣)</sup> وتُميِّز المحضر عن المحضر بحالتك ؛ فإنك إذا عرجت إلى ذلك المحضر ، جرى على لسانك - بلا اختيارك - اسم ذلك المحضر وصفته ، إلى أن تدور على المحضر وصفته ، فتسبح الله تعالى به ، فتارةً تسبِّحه بسبحان العليِّ الكبير ، وتارةً بسبحان العليِّ الأعلى ، وتارةً بربِّي وقادري ، وتارةً : أَحَدٌ أَحَدٌ .. وهكذا إلى أن تدور على المحاضر .

وللقلب نصيبٌ من كُلِّ صفةٍ من صفات الله - عَزَّ وَجَلَّ - وذاته ، ولا تزال تزداد .. وأرباب القلوب<sup>(٤)</sup> متفاوتون في ذلك . وكُلُّ صفةٍ

(١) . . أن .

(٢) المعروف أنه لا آخر للسير في طريق الله - كما سيشير الشيخ بعد قليل - وإنما يقال

« نهايات السير » على سبيل الإشارة إلى المراتب المتقدمة من الطريق .

(٣) راجع « المحاضر » فيما سبق .

(٤) يقصد : الأولياء .

على المحاضر ، وللقلب نصيبٌ من كُلِّ صفةٍ من صفات الحق ، فيتجلَّى للقلب بواسطة نصيب القلب منها ، فتتجلَّى الصفات للصفات ، والذات للذات .. وتارةً تشهد الصفات ، وتارةً يشهد في محاضر الصفات .

والتجلَّى في الأول ، بالعلم<sup>(١)</sup> . ثمَّ بالمشاهدة - بأن تشهد الصفات أو يشهد في محاضر الصفات - ثمَّ التجلَّى بالاتصاف ، وهو أن يتخلَّق القلب بهذه الصفات ، بأن يكون ويوجد ويحيى ويميت ويرحم ويعاقب إلى غير ذلك من صفات الفضل والعدل<sup>(٢)</sup> .

ثمَّ في الاتصاف ثلاث درجات :

الأولى : يتصف بالصفات بالنسبة إلى نفسه في تغيير المعاني .

والثانية يتصف بالصفات بالنسبة إلى نفسه ، وغيره ، في تغيير المعاني .

والثالثة : الاتصاف بالصفات بوجهٍ يتصرف مطلقاً في الأكوان والألوان والمعاني .. والكمال في ذلك لله عزَّ اسمه .

(١) يقول عبد الكريم الجليل : من تجلَّى الله عليه بالصفة العلمية .. علم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد ، وعلم كل شيء . كيف كان ، وكيف هو كائن ، وكيف يكون . وعلم : ما لم يكن ، ولم لا يكون « ما لم يكن » ولو كان « ما لم يكن » كيف كان يكون ! كل ذلك علماً أصلياً حكماً كشفياً ذوقياً .. لكن في غيب الغيب ( الإنسان الكامل ٣٧/١ ) .

(٢) الحديث القدسي : ما يزال عبدى يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإن أحبته كنت عينه التى يرى بها .. ويصبح عبداً ربانياً يقول للشئ « كن » فيكون .

واعلم أن من الأنوار ما يصعد ، ومن الأنوار ما ينزل . فالأنوار التي تصعد قلبية ، والتي تنزل عرشية ؛ والوجود حجاب بين العرش والقلب ، فإذا تحرق الوجود ، وفتح من القلب باب إلى العرش ، حنَّ الجنس إلى الجنس ، فيصعد النور إلى النور ، وينزل النور على النور .. نورٌ على نور<sup>(١)</sup> .

وحقيقة الجمعية<sup>(٢)</sup> أنه مهما حنَّ القلب إلى العرش ، حنَّ العرش إلى القلب ، فيلتقيان ، فيجتمع ما بينهما من الوجود والنفس ، بل يفنى ما بينهما مثل الهواء الحاصل بين اليدين ، إذا صَفَّقَتَ بهما فنى الهواء فيما بينهما ؛ ومثل الطعام بين الحجرين ، إذا دار بعضه على بعض خرج الطعام من البين<sup>(٣)</sup> .

### [ سِرُّ السِرِّ والجذب ]

وكلُّ ما فيك من جوهر نفيس ، يوجب لك حالة أو مشاهدة في السماء مثله من نار شوقٍ ومحبةٍ وعشق<sup>(٤)</sup> . وكلما صعد منك نورٌ ،

(١) سورة النور ، آية ٣٥ .

(٢) الجمعية ، الجمع : هو إزالة الشعث والتفرقة بين القدم والحدث ، لأنه لما انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات ، استتر نور العقل المقارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة ، وارتفع التمييز بين القدم والحدث لزهوق الباطل عند مجيء الحق ، وتسمى هذه الحالة « جمعاً » ثم إذا أسبل حجاب العزة على وجه الذات وعاد الروح إلى عالم الخلق وظهر نور العقل .. عاد التمييز بين الحدث والقدم ، وتسمى هذه الحالة « تفرقة » ( كشف اصطلاحات الفنون ٢٣٤ ) .

(٣) يقصد ، القمح المطحون بين حجري الرحى .

(٤) انتقد بعض الفقهاء قول الصوفية بالعشق . راجع رأى ابن الجوزى في هذه المسألة وردنا عليه فيها ، في كتابنا : الطريق الصوفي .. ص ١٠٣ وما بعدها .

نزل إليك نور ؛ وكلما صعدت منك نيرانٌ ، نزلت عليك نيرانٌ مثلها .  
غير أن الجواهر في السماء محدودةٌ لا تجاوز حدّها ، بخلاف الجواهر منك ،  
فإنها تقبل التربية والازدياد . فإن كان جوهر السماء أقوى من مثله فيك ،  
حَنَّ جوهره الناقص إلى الزائد وجَذَبَهُ القويُّ ، وإن تساويا ، حَنَّا وجذبا ،  
فيلتقيان في وسط الطريق - والحنين من صفة الرحمة ، والجذب<sup>(١)</sup> من قوة  
القدرة - وإذا كثرت الجواهر فيك ، صار كُلاًّ بالنسبة إلى جوهره الذي هو  
من جنسه في السماء ، فيحَنُّ الجوهر من السماء ، ويجذبه جوهره إلى  
نفسه ، فينزل عليك .. وهذا سيرُ السير والجذب ، فإن السير ليس  
إلا تصفية الجوهر ليعلم ، إن كان زائداً جَذَبَ ، وإن كان ناقصاً حَنَّ .

### [ إشارة ]

قال أبو بكر الواسطي<sup>(٢)</sup> ، قدّس الله روحه : تصادمتُ صفةُ الجلال

(١) الجذب أو الجذبة : تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي  
المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعى منه ( اصطلاحات الصوفية ص ٣٩ ) . ويمكن الرجوع  
إلى ما استعرضناه من صور الجذب الروحي ، في كتابنا : عبد القادر الجيلاني .. ص ٥٢  
وما بعدها .

(٢) الواسطي ، نسبة إلى « واسط » وهي بلدة بالعراق سميت بذلك لأنها متوسطة بين  
البصرة والكوفة ( معجم البلدان ٣٤٧/٥ ) وهناك العديد من أعلام الرجال يلقبون  
بالواسطي ، منهم أربعة يحملون لقب وكنية « أبي بكر الواسطي » وهم : أبو بكر محمد  
ابن سليمان بن الحارث الواسطي الباغندي - ابنه : أبو بكر محمد بن محمد الواسطي  
- أبو بكر يوسف بن يعقوب الواسطي الأصم المقرئ ( راجع تراجمهم في سير أعلام  
النبلاء ٣٨٦/١٣ ، ٣٨٣/١٤ ، ٢١٨/١٥ ) .

والمقصود في كلام الشيخ نجم الدين ، هو رابعهم : أبو بكر محمد بن موسى =



وصفة الجمال ، فتولّد منهما الروح .. فالابن إشارةً إلى الجزء ، والأب  
والأم إشارةً إلى الكل<sup>(١)</sup> .

### [ وصل ]

إذا صفت دائرة الوجه ، فاضت بالأنوار - كالينبوع بالمياه - حتى  
يحسُّ السَّيَّارُ تَبَعَانَ الأنوار من وجهه ، ويكون النبعان من بين العينين  
والحاجبين ؛ ثُمَّ يستغرق الوجه كله . ويكون حينئذٍ من قُدَّامِك - بحذاء  
وجهك - وجهٌ من نورٍ ، كذلك ، ينبع بالأنوار .. وتُرى من وراء سِتره  
الرقيقِ شمسٌ تجيىء وتذهب ، مثل الأرجوحة تجيىء وتذهب ، فذلك  
الوجه في الحقيقة وجهك ! وتلك<sup>(٢)</sup> الشمسُ شمسُ الروح تتردّد في البدن .

= الواسطي ، المعروف بابن الفرغاني - نسبة إلى فرغانة بالقرب من تركستان - ترجم له  
السلمى فقال :

من قدماء أصحاب الجنيد وأبي الحسين النورى : وهو من علماء مشايخ القوم ، لم  
يتكلم أحد في أصول التصوف مثلما تكلم هو ، وكان عالماً بالأصول وعلوم الظاهر .  
دخل خراسان واستوطن كورة « مرو » ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة ، وكلامه  
عندهم ( طبقات الصوفية ص ٣٠٢ ) ويمكن مراجعة المزيد من ترجمته في : حلية الأولياء  
٣٤٩/١٠ - الرسالة القشيرية ٣٢ - نتائج الأفكار القدسية ١٧٨/١ - المنتظم في تاريخ  
الملوك والأمم ٢٦٢/٦ .

(١) حاول الصوفية تفسير عقيدة التثليث النصرانية والقول بالأقانيم الثلاثة ( الأب - الابن  
- الأم ) وفقاً لحقائق الصفات الإلهية . ولقد توقف عبد الكريم الجليل عند هذه النقطة في  
معرض مناقشاته لأصحاب الديانات وبيان مداخل الخطأ في الاعتقادات .. ( راجع  
الفصل الخاص بحقيقة الديانات في كتابنا : عبد الكريم الجليل فيلسوف الصوفية - الهيئة  
المصرية العامة للكتاب ) .

(٢) .. وذلك .

ثُمَّ يستغرق الصفاء جميع البدن ، فتشاهد بين يديك حينئذٍ شخصاً من نورٍ تتولّد منه الأنوار ؛ ويحسُّ السَّيَّارُ تولّد الأنوار من جميع بدنه كذلك ، وربما يُكشَفُ الحِجَابُ عن كل الأناية ، فترى بكلّ البدن الكُلَّ .

وأولُّ فتح البصيرة من العين ، ثُمَّ من الوجه ، ثُمَّ من الصدر ، ثُمَّ البدن كله .. ويسمّى هذا الشخص النوراني بين يديك ، تسمية القوم « المقدم » ويسمونه أيضاً « شيخ الغيب » ويسمونه « ميزان الغيب » ، وقد يستقبلك هذا الشخص في أول السير ، ولكنه في اللون أسودّ زنجيٌّ .. ثُمَّ يغيب عنك ! فذلك لا يغيب عنك ، بل أنت هو ، فيدخل فيك ويتحد بك . وإنما يكون أسود ، لأجل لباس الوجود الظلماني ، فإذا أفنيت الوجود عنه ، وأحرقت لباسه نيران الذكر والشوق ، عرى الجوهر عن اللباس ، فصار نورانياً كذلك .

### [ حقيقة ]

واعلم أن النفس والشيطان والمَلَك ليست أشياء خارجة عنك ، بل أنت هم . وكذلك السماء والأرض والكرسي<sup>(١)</sup> ، ليست أشياء خارجة عنك ؛ ولا الجنة والنار ولا الموت ولا الحياة ، إنما هي أشياء فيك ، فإذا سيرت وصفوت ، تبينت ذلك إن شاء الله !

(١) الكرسي ؛ هو محل استواء الله على الكون ( العرش ) وهو في المصطلح الصوفي : مظهر الاقتدار الإلهي ومحل نفوذ الأمر والنهي ومحل القضاء الإلهي ، الذي وسع السماوات والأرض ( الإنسان الكامل ٥/٢ ) .

## [ أنوار ]

واعلم أن الله نورُ السماوات والأرض<sup>(١)</sup> ، ونور الرسول من نور العِزَّة ، ونور الأولياء والمؤمنين من نور الرسول .. فلا نور إلاَّ نوره<sup>(٢)</sup> . وهذا سرُّ الآيتين :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

## [ شيخ الغيب ]

واعلم أن للسَّيَّار شاهدًا - وهو الذي يُقال له : شيخُ الغيب - يرفع السَّيَّار إلى السماء ، فيظهر في السماء . والدليل على أنه شاهده ، بل هو هو ؛ لأن السَّيَّار يتحرك بحركته ، ويسكن بسكونه ، ويفيض بفيضانه ، وينبسط لظهوره ، وينقبض لغيبته . وهذا<sup>(٥)</sup> متى صفا وتنور ، دَلَّ على أن الميزان قد رجح ؛ وإن اسودَّ أو غاب أو خفى وراء الحجاب ، دَلَّ على أن الميزان قد تحفَّ .

وكذلك في وسط الطريق « دائرتا العينين » متى ما ظهرتا ، دَلَّ على حُسن الحال ، وإن خفيتا دَلَّ على سوء الحال وغلبة الوجود . وهذه الدوائر

(١) الآية : الله نور السماوات والأرض .. سورة النور ، آية ٣٥ .

(٢) يقصد ؛ نور الله عز وجل .

(٣) سورة فاطر ، آية ١٠ .

(٤) سورة المنافقون ، آية ٨ .. وجاء في الأصول : فله !

(٥) يقصد ؛ شيخ الغيب .

تكبر وتكثر وتقل وتصغر ، وذلك يدلُّ أيضاً على رجحان الميزان والنقصان ؛ إلا إذا هجم على السيار ثقل العقل الكبير ، فعند ذلك تخفى الدوائر ، والميزان راجح ! وعلامته : أن يلتفت مطبقاً جفنيه ، فيرى نقطَ العقل الكبير - وهي في لون العقيق - وإنما ترى هذه النقط بجذاء الجبهة ، وإذا تختصُّ رؤيتها بجذاء الجبهة ، لأن الرأي<sup>(١)</sup> لذلك ثمة<sup>(٢)</sup> ، وهو العقل الصغير .. فقد قلنا إنه : لا يرى جوهراً إلا جنسه ، ولا يرى إلا بجنسه .

### [ كُتُبُ الغيب ]

إن في الغيب لكُتُباً كتبها الله عَزَّ وَجَلَّ ، بعضها بالنقط مكتوبة ، وبعضها بالأشكال ، وبعضها بالحروف - ولكن غير هذه العبارات - ولها أسام عجيبة مثل « ينبوع الأبرار » و « مجموع الأسرار » و « كتاب المهد » و « كتاب الفلكي » و « فرحة الأبرار » و « نزهة الأسرار » و « كتاب العزائم » و « كتاب العشق » و « كتاب البحر »<sup>(٣)</sup> و « البرهان الكبير »<sup>(٤)</sup> و « كتاب الأشكال » .. وفيه أحكام نجومية<sup>(٥)</sup> .

(١) أ ، ج : الرأي .

(٢) يقصد ؛ هناك .

(٣) أ : السحر - غير واضحة في ج .

(٤) ب : كتاب البرهان .

(٥) ب : النجومية .

ففى الأول ، يرى<sup>(١)</sup> كُتِبًا مكتوبة ، معقولة ، مفهومة ؛ كالقرآن .  
 ثُمَّ تقع إلى السر<sup>(٢)</sup> ، فقد يفهمها وقد لا يفهمها - لظلام الوجود  
 المنسى<sup>(٣)</sup> - ثُمَّ يرى كُتِبًا مشكولة أشكال التبريع ، وغيرها . ثُمَّ كُتِبًا  
 مكتوبة بالنقط<sup>(٤)</sup> ، يفهمها ويقرأها<sup>(٥)</sup> ؛ فيعلم العلم اللدنى ، ثم إذا عاد إلى  
 الوجود<sup>(٦)</sup> نسيها ، ولكن تبقى حلاوة الفهم فى قلبه ، ويؤمن بها ، ويورثه  
 ذلك رغبة وشوقاً ومحبةً وعشقاً .

### [ مشاهدات ]

وقد يلوح له سماءٌ ذات كواكب ، وهو قرآنٌ ! يفهمه ويقرأه من  
 دلالة النقط . وقد يرى فى وسط الشدائد ، فى الغيبة - إذا صبر وصدق  
 صبره - لونَ الذهب والفضة ، فذلك لون الإخلاص والصدق .  
 ، وقد يبدو سهيل<sup>(٧)</sup> الذُّكْر من بعيد ، يرتعد ارتعاد السهيل ، فذلك  
 سهيل الذُّكْر طَلَعَ من يُؤمن بالإيمان<sup>(٨)</sup> والإيقان والفرقان<sup>(٩)</sup> . وقد يبدو زُحَل<sup>(١٠)</sup>

(١) المقصود هنا ؛ السيار السابح فى عالم الغيب .

(٢) السرُّ هنا : الباطن .

(٣) يقصد ؛ الوجود المادى الجسمانى الذى ينسى به الإنسان ما سبق أن شاهده الروح فى

« عالم الدر » الذى كانت فيه الأرواح قبل خلق الأجساد .

(٤) انظر الأشكال المنقوطة التى سترد فيما بعد .

(٥) ب : يقرأها .

(٦) الوجود هنا : العالم المحسوس .

(٧) سهيل : كوكب فى السماء .

(٨) الحديث الشريف : الإيمان يمان والحكمة يمانية .

(٩) أ : العرفان .

(١٠) زحل ؛ كوكب فى السماء .

الهيمّة في خفائه<sup>(١)</sup> من بعيد ، فهو نهاية الكون - إذا كانت عاليةً - وقد يكبر إذا قرب منك ونزل من العلو ، فيكون مثل المُشترى<sup>(٢)</sup> ؛ وعلامة أنه كوكب الهيمّة ، أنك أينما نظرت وقع موقع نظرك . وقد يبدو مَرَّيخ النزاع والسفك ، وهذا إذا لم يكن في السّيّار ، لم يكن فقيرًا .. قال المشايخ : « الفقير إذا لم يكن يُحیی ويمیت ، فليس بفقير »<sup>(٣)</sup> . وقد تبدو الشمس ، فهي شمسُ الروح أو القلب ؛ وقد تبدو زُهْرَةٌ<sup>(٤)</sup> الطرب والنشاط والفرح بالله عزّ وجل ، وعطارد<sup>(٥)</sup> العلم ، وقمر الوجود .

وقد يرى السّيّار أنه راكبٌ حمارًا ، فذلك علامة أنه<sup>(٦)</sup> مَلَك الشهوة . وإذا رأى أنه راكبٌ بغلةً ، فذلك علامة أنه مَلَك النفس<sup>(٧)</sup> . فإن مات تحته واحدٌ ، فذلك علامة موته<sup>(٨)</sup> . وإن رأى أنه راكبٌ فرسًا ،

(١) ب : صفائه .

(٢) المشترى ؛ كوكب في السماء .

(٣) الإشارة هنا إلى التصرف في الأكوان .

(٤) الزهرة ؛ كوكب .

(٥) عطارد ؛ كوكب .. وبخصوص الكواكب المذكورة هنا ، ومواقعها ؛ يمكن الرجوع إلى كتاب عمر الصوفي الفلكي : صور الكواكب الثمانية والأربعين ( دار الآفاق الجديدة - بيروت ) .

(٦) ب : علامة لأنه ، ج : بالسوء .

(٧) المقصود هنا : النفس الأمارة بالسوء .

(٨) يستخدم الصوفية لفظ « الموت » بمعنى مجازي يشير إلى موت شهوات البدن والنفس . وللموت بهذا المفهوم مظاهر وألوان ، فالموت الأبيض ( الجوع ) والموت الأخضر ( ليس المرقع ) والموت الأسود ( احتمال الأذى من الناس ) .. راجع بخصوص ذلك : اصطلاحات الصوفية ص ٩١ وما بعدها .

فذلك علامة سير القلب . وإن رأى أنه راكبٌ جملًا ، فذلك علامة أنه يسير بالشوق . فإن كان يطير ، فذلك علامة حياة الهمة . فإن رأى الهوية<sup>(١)</sup> غشيت عليه وانصبت إليه ، فذلك علامة أنه مطلوب محبوب . وإن رأى أنه راكبٌ في السفينة - في بحر - فالسفينة الشريعة ، والبحر الطريقة<sup>(٢)</sup> . . واعلم أن الشريعة قانون الحكمة ، والحكمة قانون الهمة ؛ وهي « القدرة » بلسان القوم<sup>(٣)</sup> .

### [ الاسم الأعظم ]

واعلم أن كلُّ أحدٍ من السَّيَّارين يوثى اسمًا من أساميهِ العظام . والاسم الأعظم ينبع من القلوب ، والاسم الأعظم مركَّبٌ من جميع الآيات ، فما من آية في عالم الغيب والشهادة ، إلَّا هي حرفٌ من حروف الاسم الأعظم ؛ فبقدر ظهور البيانات والآيات والعلامات والأمارات ، يزداد الاسم الأعظم<sup>(٤)</sup> . . وسواء قلَّت المعرفة والاسم<sup>(٥)</sup> الأعظم !

(١) يقول الجيلي : هوية الحق ، غيبة الذي لا يمكن ظهوره باعتبار جملة الأسماء والصفات الإلهية ، فكأنها إشارة إلى باطن الواحدية .. وهي مأخوذة من لفظة « هو » الذي يستخدم للإشارة إلى الغائب ، وهي في حق الله تعالى إشارة إلى كنه ذاته باعتبار أسمائه وصفاته مع الفهم بغيبوية ذلك ( الإنسان الكامل ٥٨/١ ) .

(٢) قارن ذلك بعبارة الشيخ نجم الدين الشهيرة : الشريعة كالسفينة ، والطريقة كالبحر ، والحقيقة كالدر .

(٣) تعبير « لسان القوم » يقصد به : لغة الصوفية واصطلاحاتهم .

(٤) بخصوص « الاسم الأعظم » وأقوال الصوفية فيه ، يمكن الرجوع إلى مقالة الإمام عبد القادر الجيلاني وتعليقاتنا عليها في نشرتنا لديوانه ( مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة ) .

(٥) ب : فالاسم .

ونهاية الأمر المعرفة والمحبة<sup>(١)</sup> . والمحبة ثمرة المعرفة ، لأن مَنْ لا يعرف لا يحب . ومحبه لنا سابقةً على محبتنا له<sup>(٢)</sup> ، ومن أحبَّ شيئاً ، أكثر ذِكْرَهُ ؛ ويقول الحقُّ سبحانه وتعالى : « كذب مَنْ ادَّعى محبتي ، ثُمَّ إذا جَنَّهُ الليل<sup>(٣)</sup> نام عنى<sup>(٤)</sup> » وعلامة المُحبِّ أنه لا يرى شيئاً سواه ، حالةً ، لا علماً<sup>(٥)</sup> .

### [ كرامات ]

وَحُكِي عن سمنون المحب<sup>(٦)</sup> أنه كان إذا تكَلَّمَ في المحبة ، جعلت الشونيزية<sup>(٧)</sup> تجيىء وتذهب يميناً وشمالاً . وقيل له تكَلَّم في المحبة ! فقال :

- (١) يقول الصوفية : المحبة آخر درجة من درجات العلم ، وأول درجة من درجات المعرفة ( المعارف الغيبية في شرح العينية الجيلية ، للنابلسي - مخطوط ) والفرق بين العلم والمعرفة ، أن الأول ظاهري والأخرى باطنية قلبية .. فالعلم نظر ، والمعرفة ذوق .
- (٢) يظهر هذا المعنى ، في تقديم محبة الله على محبة العبد في قوله تعالى : يحبهم ويحبونه .. الآية .
- (٣) قوله « جنه الليل » أى شمله واحتواه .
- (٤) انظر « الرسالة القشيرية » طبعة مصر ١٣٤٦هـ ، ص ١٧٦ .
- (٥) يقصد : لا يرى المحب سوى محبوبه ( الله ) في أحواله ، مع علمه بأن هناك حق وخلق .. ويجمع هذا المعنى بين الحضور والغيبية !
- (٦) هو سمنون بن حمزة الخواص ، المعروف بالمحب ، توفي سنة ٢٩٧ .. راجع بخصوصه ، الفصل الأول من كتابنا ( شعراء الصوفية المجهولون ) وانظر أيضاً :
- طبقات الصوفية ص ١٩٥ - حلية الأولياء ٣٠٩/١٠ - صفة الصفوة ٢٤٠/٢ - طبقات الشعراى ١٠٤/١ - الرسالة القشيرية ص ٢٨ - تاريخ بغداد ٢٣٤/٩ - البداية والنهاية ١١٥/١١ - نتائج الأفكار القدسية ١٥٩/١ - المنتظم ١٠٨/٦ .
- (٧) الشونيز : كلمة فارسية تعنى « الحبة السوداء » تعريب شنيز ( معجم الألفاظ الفارسية ص ١٠٥ ) والشونيزية : مقبرة ببغداد بالجانب الغربى ، دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين ، منهم الجنيد والخلوى ورويم وسمنون المحب ، وهناك خانقاه للصوفية ( معجم البلدان ٣٧٤/٣ ) .



لا أعلمُ أحدًا على وجه الأرض يستأهل الكلام في المحبة ! فوقع بين يديه طيرٌ ، فقال : « إن كان فهذا » .. وجعل يكلمه في المحبة ، والطير يضرب بمنقاره الأرض ، إلى أن سال الدم عنه ، ومات<sup>(١)</sup> .

### [ المحبة والفناء ]

وظهور الآيات في عالم الشهادة والغيب يورث الإيمان والإيقان والعرفان ، وبالعرفان تظهر الآلاء والنعم ، وذلك يورث المحبة ، والمحبة تورث الفناء ، بل هو حقيقة المحبة وحاصلها .

والفناء فناءان : فناءً عن الصفات في صفات الحق<sup>(٢)</sup> ، وذلك الفناء في « الفردانية » . وفناءً عن صفاته في ذاته ، وذلك الفناء في « الوجدانية » .. وإذا تجلَّت الذات ، تجلَّت الهيبة ، فيتدكدك السَّيَّار ويندق ، ويكاد يقرب من<sup>(٣)</sup> الموت . ويسمع حينئذٍ : أَحَدٌ أَحَدٌ ! وإذا فنى في ذاته ، بقى به ، ويحى به<sup>(٤)</sup> .

(١) + أ : القشيري ١٤٦ - كشف المحجوب ١٧٣ - تذكرة العطار ٨٣/٢ - التعرف ١٢٥ - الواضح المبين ١٧٦/١ .. والحكاية مشهورة تتردد في العديد من كتب الصوفية .  
(٢) يقصد : أن الصوفي يفنى عن صفاته البشرية ويستبدل بها صفات الله كالكرم والحلم وغير ذلك .

(٣) أ ، ج : عن !

(٤) المقصود هنا أن الصوفي يبقى بالله ويحى بالله . وهو الحال الصوفي المشار إليه بالبقاء الثاني ، أو البقاء بعد الفناء ؛ وهو من الأحوال الخاصة بالتصوف الإسلامي ، التي تميزه عن أنماط الزهد والرهبنة عند غير المسلمين .. فالزاهد الهندي يقف طريقه الروحي عند حالة الفناء المعروفة باسم « النرفانا » ويقف الراهب المسيحي عند مرتبة الفناء في المسيح ؛ فهذه الاتجاهات الروحية تجعل الرحلة الإنسانية إلى الله رحلة « ذهاب » أما عند المسلمين ، فالرحلة « ذهاب » في الله ، ثم « عودة » بالله !

وقد يغيب السَّيَّار ، فيرفعه الحقُّ إليه ، فيجد ذَوْقَ الربوبية في نفسه ، وهذا الذوق يكون كطرفة العين ، وهذا أسنى المقامات والكرامات ، أن يذيقه الله - عَزَّ اسمه - ذلك الذوق . فإن السَّيَّار لا يزال مع الحق - سبحانه - في عتابٍ وجدالٍ ، يقول : ما الذى أوجب أن تكون رَبًّا وأكون مربوبًا ؟ وتكون خالقًا وأكون مخلوقًا ؟ وتكون قديمًا وأكون محدثًا؟! فيذيقه الله هذا المذاق ، فيستريح من ذلك التحير والعتاب .

والعارف واقف ، والمتحير يسير<sup>(١)</sup> .. بل العارف المطلق هو الله ، وغيره مُتَعَارِفٌ .

ولا مقام يُنال ، إلا وبعده أسنى من ذلك ، فإن<sup>(٢)</sup> الذوق للقدِّم ، وإن كان سَنِيًّا ، فدوام هذا الذوق أسنى منه . وهذا ميدانٌ فسيحٌ ، لا يُدرك حُدُّه إلا بعد الهلاك والرجوع إليه ، ولا يُدرك الهلاك إلا بعد ركوب هولٍ عظيم ، وهو بذل الروح ، كما فعل « الحسين<sup>(٣)</sup> » في قوله : أنا الحق<sup>(٤)</sup> .

(١) + أ : أخذ نجم الدين هذا القول من شيخه روزبهان الفارسي ، فإنه قال في رسالته التي لا اسم لها : سمعت الشيخ روزبهان الفارسي يقول : من كان عارفاً كان ( في الأصل : فكان ) واقفاً ، ومن كان حائراً كان سائراً لذلك ( نسخة شهيد على باسطنبول برقم ١٣٩٥ ورقة ٦٤ أ ) .

(٢) العبارة التالية ساقطة من ب .

(٣) الحسين بن منصور «الحلاج» .. القائل: تُهدى الأضاحي وأُهدى مهجتي ودمي !  
والقائل: إن كان سفك دمي أقصى مرادكم ، فما غلَّت نظرة منكم بسفك دمي !  
(٤) تلك هي اللفظة التي حوكم الحلاج بسببها ، فاتته المحاكمة بقتله قتلة شتاء .. والمعنى هنا : أن الحلاج « بذل روحه » بتصريحه بتلك الأقوال ( أنا الحق - ما في الجبة غير الله ) وما شابهها ، إذ أعطى بها لمعاصريه حقَّ التصرف في دمه ؛ انظر ما سيأتى .

والهلاك والفناء واحدٌ ، يقول في مناجاته : نَاسُوتِيَّتِي اسْتُهْلِكْتُ فِي  
لَاهُوتِيَّتِكَ ، فَبِحَقِّ نَاسُوتِيَّتِي عَلَى لَاهُوتِيَّتِكَ ، أَنْ تَغْفِرَ لِمَنْ ابْتَغَى قَتْلِي<sup>(١)</sup> !  
والاستهلاك أثر المحبة . فأولُّ المحبة طلبُ المحبوب للنفس ، ثُمَّ بذلُ  
النفس له ، ثُمَّ نسيانُ الاثنية ، ثُمَّ الفناء في الوجدانية .. وهذا قد ذُقناه ،  
حالةً مستمرةً دائمةً في المخلوقين ، ولكن هذا ميدانُ قريبِ المدركِ  
والوصولِ إلى حده . وميدانُ الفردانية بعيد المدرك - كما قلنا - وكل متاع  
فبشمن المثل<sup>(٢)</sup> .

### [ من المحبة إلى العشق ]

سئل الجنيد عن العشق ، فقال : لا أدري ما هو ! ولكن رأيتُ رجلاً  
أعمى عشق صبيّاً ، وكان الصبي لا ينقاد له ، فقال الأعمى : يا حبيبي ،

(١) قال الحلاج يوم مقتله ، مناجياً ربه :

نحن بشواهدك نلوذ

وبسنا عزتك نستضيء

لتبدي لنا ما شئت من شأنك وأنت الذي

في السماء عرشك وأنت الذي

في السماء إله .. وفي الأرض إله ..

وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتل تعصباً لدينك وتقرباً إليك

فاغفر لهم

فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي ، لما فعلوا ما فعلوا

وإنك لو سترت عني ما سترت عنهم ، لما لقيت ما لقيت

فلك التقدير فيما تفعل ، ولك التقدير فيما تريد

(٢) يقصد : أن الفردانية مطلب عزيز ، فإذا كان الفناء في الوجدانية يستلزم الاستهلاك في

المحبة .. فإن الفناء في الفردانية يستلزم بذل الروح .

أيش تريد منى ؟ فقال الصبى : روحك ! ففارق روحه في الحال<sup>(١)</sup> .

العشقُ نارٌ تحرق الحشا<sup>(٢)</sup> والكبد ، وتطيشُ العقل ، وتعمى البصر ، وتذهب السمع ، وتُهَوِّن ركوب الأهوال ، وتُضيقُ الحلق حتى لا يعبر فيه إِلَّا النَّفْس ، وتُجمَعُ الهمة على المعشوق ، وتُسيء الظن بالمحبوب من الغيرة .. وتزيد ، فيذهبُ النظام ، ويدومُ الهيام ، ويطيبُ الموت ، ويورثُ النسيان . ويطفئها الوصلُ ، ويقللها العتابُ والشتمُ والضرب .. ويودُّ المحبُّ ألا يكونَ حبيبهُ ، حتى لا يصل إليه غَيْرُهُ ! وقد ينتهى فى المخلوق إلى أن يقول : أَنْتَ رَبِّي لَا رَبَّ لِي سِوَاكَ .. وهذه كلمةٌ كفرٌ ، ولكن عن حالة اضطرار ، لا عن كسبٍ واختيار . وهذه كلمةٌ لا يقوها العاشق ، بل إنما تقوها نارُ العشق - لأن تربية نار العشق من الحبيب -

(١) وردت هذه الواقعة فى كتاب السلمى « المقدمة فى التصوف ص ٣٣ » وأعاد ذكرها فى كتابه « الفتوة ص ٣٨ » ونصها عند السلمى :

حكى أن أبا الحسين النورى جاء إلى الجنيد فقال : بلغنى أنك تتكلم فى شىء من المحبة ، فتكلم فيما أثبتت حتى أردته عليك ! فقال الجنيد : أحكى بدء الحكاية ، كنت أنا وجماعة من أصحابنا فى بستان ، فأبطأ علينا مَنْ يجيئنا بما نحتاج إليه ، فصعدنا بطلع فإذا بضيرٍ معه غلام جميل الوجه ، والضير يقول له : أمرتنى يا هذا بكذا وكذا ففعلت ، ونهيتنى عن كذا وكذا فتركت ، وما خالفتك فى شىء تريده ، فماذا تريد منى ؟ فقال الغلام : أريد أن تموت ! فقال الضير : ها أنا ذا أموت .. وتمدد وغطى وجهه . فقلت لأصحابى : ما بقى على هذا الضير شىء ، قد تشبه بالموتى ، ولكن لا يمكنه الموت على الحقيقة . فنزلنا إليه وحركناه ، فإذا هو ميت ! فقام النورى وانصرف .

وتشير القصة إلى أن العشق الحسى يقود إلى الموت ، فما بالك بالحب الإلهى .

(٢) ب : الحشى .

وإنما العاشق يقول بلسان الحال : أَنْتَ هَلَائِكِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ ، وَأَنْتَ كُفْرِي وَإِيمَانِي وَغَايَةُ رَغْبَتِي ، وَأَنْتَ أَنَا .. للحسين<sup>(١)</sup> :

عَجِبْتُ مِنْكَ وَمِنِّي      أَفْنَيْتِي بِكَ عَنِّي  
أَدْنَيْتِي مِنْكَ حَتَّى      ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَلْيَ<sup>(٢)</sup>

وقد يفنى العاشق في العشق ، فيكون العاشق هو العشق . ثم يفنى العشق في المعشوق .

### [ تَذَكُّر ]

عشقتُ جاريةً بقريةً على ساحل نيل مصر ، فبقيتُ أيامًا لا آكل ولا أشرب - إلا ما شاء الله - حتى كثرت نارُ العشق ، فكنتُ أتنفسُ نيرانًا .. وكلما تنفَّستُ نارا ، تنفَّسوا من السماء - بجذءِ نفْسي - نارا ،

(١) الحلاج .

(٢) البيتان من قطعة شعرية للحلاج ( الديوان ، نشرة ماسينيون - باريس ١٩٣١ ) يقول فيها :

عَجِبْتُ مِنْكَ وَمِنِّي      يَا مَنِيَّةَ الْمُتَمُنِّي  
أَدْنَيْتِي مِنْكَ حَتَّى      ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَلْيَ  
وَعَبْتُ فِي الْوَجْدِ حَتَّى      أَفْنَيْتِي بِكَ عَنِّي

وفي النسختين ب ، ج ثلاثة أبيات ترد في هامش أ ، وهي :

أَقْلَنِي عَثْرَتِي وَاسْمِعْ دَعَائِي      فَأَنْتَ الْيَوْمَ فِي الدُّنْيَا رَجَائِي  
لَقَدْ أَعْيَا الْأَحْبَةَ : مَا دَوَائِي      وَعِنْدَكَ يَا عَزِيزَ دَوَاءِ دَائِي  
دَوَائِي نَظْرَةٌ فِيهَا شِفَائِي      شِفَائِي فِي لِقَائِكَ يَا مَنَائِي

والأبيات من بحر الوافر ، وفي كلمة « منائي » ضرورة شعرية قبيحة من حيث اللغة فالصحيح : مناي .

فتلتقى الناران ما بينى وبين السماء ، فما كنتُ أدري من ثَمَّة أين  
تلتحقان ؛ فعلمتُ أن ذلك شاهدى فى السماء<sup>(١)</sup> .

### [ عَوْدٌ للمحبة والعشق ]

نهاياتُ المحبة بداياتُ العشق . والمحبةُ للقلب ، والعشقُ للروح ؛  
والسِّرُّ<sup>(٢)</sup> يجمع الأحياب ، والهمةُ أئثرُ الجمع .. قيل : ما نهايةُ هذا الأمر ؟  
قال : الرجوعُ إلى البداية !

وبدايةُ هذا الأمر ، طلبُ الجنس للجنس ، وهو نورٌ ولُطفٌ منه .  
وذلك يورث التمنى بالشهوة ، والإرادة بالفؤاد ، والمحبة بالقلب ، والعشق  
بالروح ، والوصل بالسِّرِّ ، والتصرف<sup>(٣)</sup> بالهمة ، والصفاء فى الصِّفَّة<sup>(٤)</sup> ،  
والفناء فى الذات ، والبقاء به .. وتورُّه ولُطفُه من الأول إلى الآخر ، بلا  
أول ولا آخر ، باقٍ به ، طالبٌ له .

(١) راجع كلام الشيخ عن « الشاهد » فيما سبق .

(٢) السر هنا من السرية ، بمعنى : انمحاق السالك فى الحق عند الوصول التام ( راجع  
اصطلاحات الصوفية ص ١٠٣ ) .

(٣) التصرف : الإيجاد الخيالى والفعل المنسوب للأولياء .

(٤) أصل الصفة : اسم لجماعة شهيرة تعد أول ظهور التصوف فى الإسلام ( انظر : حلية  
الأولياء ، باب أهل الصفة ) والمقصود بالصفة هنا : المقامات العالية .

## فصل : ما الفرق بين الحال والمقام والوقت ؟

قلنا : الحالُ زادٌ وشرابٌ ومركبٌ ، بها يتقوى السَّيَّارُ ويستعين في سفره المعنوي إلى مطلوبه الكلّي . والسفر حرامٌ بدون الاستطاعة ، ولكن الاستطاعة عند القوم إما بالحال أو بالمال ! والحال هي قوّة الروح أو القلب أو النفس أو الشهوة ؛ والمال تقوية للنفس والشهوة فحسب ، فكان « الحال » في الاستطاعة أقوى ، فإن الحال قوّة « من باقٍ في باقٍ إلى باقٍ » والمال قوّة « من فانٍ في فانٍ إلى فانٍ » .

وقولنا « من باقٍ » : من الحق ، وهي كالنَّزْل من السلطان الوافد عليه<sup>(١)</sup> « في باقٍ » : في القلب والروح ، فإن قيل : فهل للنفس والشهوة من بقاء ، حيث سلكتُهُما في نظام واحد ؟ قلنا : النفس إذا قَصَدَتْ هذا المقصد تزكَّتْ ، وإذا تزكَّتْ لَامَتْ ، وإذا لَامَتْ ذَكَرَتْ واطمأنت ، فصارت قلبًا . والشهوة كذلك ، فإنها متى ما نزلت من الفاني إلى الباقي ، صارت شوقًا في القلب ، وحنينًا ورغبةً ، حتى يُسمع من القلب حنين كحنين الفرس<sup>(٢)</sup> ، وهو سِرُّ إسلام الشيطان<sup>(٣)</sup> وإلهام التقوى للنفس<sup>(٤)</sup> .

(١) يتفق الصوفية على أن « الأحوال » مواهب من الله ، فهي من الباقي عَزَّ وَجَلَّ .

(٢) الحنين : صوت الإبل إذا نزع منها ولدها ( لسان العرب ٧٤١/١ ) .

(٣) في الحديث الشريف : لكل امرئ شيطان ، قالوا : حتى أنت يا رسول الله ؟ قال : حتى أنا ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم .

(٤) الآية : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ سورة الشمس ، آية ٨ .

وقولنا « من فإِنِ إلى فإِنِ إلى فان » : فإنه من المال ، والمال فإِنِ في فان ، فإنه قوَّةٌ في النفس والشهوة ، فإنهما فانيتان - فإن النفس والشهوة لما تولَّتا عن سواء الطريق والمنهج المستقيم فَنَيْتَا في مفاوز الهيبة - فإن قيل : أليست الهيبةُ في طريق القلب والروح ؟ قلنا : بلى ، ولكنهما حَقَّان قاصدان الحق ، فعلا ما أمرهما الحقُّ ، وما عصياه ، وبَدَلًا الجهد في الطلب . فإذا برزت عليها سواطعُ الهيبة ، أدركتهما أنوارُ الجلال والرحمة والإفضال ؛ فلا يذوقان خوفًا وفزعًا - لمكانتهما من لطف الحقِّ - فإذا كان الهوى والشهوة في صحبتهما ، وحملت عليهما<sup>(١)</sup> بوادرُ الهيبة ، ظهرت حقيقةُ الإنابة وسِرُّ الاستعاذة في الهوى والشهوة ، فيلتبسان بأذيال القلب والروح ، ويظهر في القلب والروح سِرُّ التسليم والتفويض والرضا والتوكُّل ، بالتبرُّؤ عن الحلول والقوة مع حُسن الظن بقلب القلوب وروح الأرواح ، فيدركها نورُ الجمال والرحمة ، فيستأنسان به ، فيبقى القلبُ والروح بالرَّبِّ ، والهوى والشهوة بالروح والقلب ، فينجون جميعًا ، فهم القوم لا يشقى بهم جليس<sup>(٢)</sup> .. وهو سرُّ الرفيق في الطريق .

والمقامُ للنزول والاستراحة عن تعب السير . فالحال بمنزلة أسباب السفر ، والمقام بمنزلة « المنازل » في الطريق .. أو نقول : الحال بمنزلة الجناحين للطير ، والمقام بمنزلة الوكر له .

(١) .: عليهم !

(٢) الحديث : هم القوم لا يشقى بهم جليس ( أخرجه البخارى في الدعوات ٦٦ والترمذى في الدعوات أيضًا ٦٦ ) .



ولا بد للسيّار من قوتين مختلفتين في حالة واحدة ، نبعثا من معنى واحد ، سواء كان السيّار مبتدئاً أو متوسطاً أو منتهياً - والمبتدئ طفل الطريق ، والمتوسط كهل<sup>(١)</sup> الطريق ، والمنتهى شيخ الطريق - وهاتان القوتان يجب أن تكونا متساويتين ككفتيّ الميزان ؛ ومن كَشَفِ هذا السّرّ يتجلّى الميزانُ ، ويُعلم معنى قوله : الصراط أدقُّ من الشّعرة وأحدُّ من السيف<sup>(٢)</sup> .

وليس جناح المنتهى مثل جناح الكهل ، ولا جناح الكهل كجناح الطفل . اعتبر هذا بجناح النّسر وبُغاث الطير<sup>(٣)</sup> ! فجناحا الطفل الخوف والرجاء<sup>(٤)</sup> ، وجناحا الكهل القبض والبسط<sup>(٥)</sup> ، وجناحا الشيخ الأنس والهيبة ؛ ومنهما يترقى إلى جناحي المعرفة والمحبة ، والفناء والبقاء ، والوصل والفصل ، والصحو والسُّكر ، والحو والإثبات . وهذان الجناحان إنما يصحُّ الطيران بهما ، إذا كانا متساويين في الذات والتحريك ،

(١) الكهل : الذي عمره من الثلاثين إلى الخمسين .

(٢) راجع الأحاديث النبوية الخاصة بالصراط في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٣٠٠/٣ ( طبعة بريل - لندن ١٩٥٥ ) .

(٣) البغاث : كل طائر ليس من جوارح الطير ، ويقال : هو اسم للجنس من الطير الذي يُصاد ( لسان العرب ١/٢٣٨ ) .

(٤) في الحديث الشريف : الخوف والرجاء جناحا الإيمان .

(٥) القبض : هو في مقام القلب بمثابة الرجاء في مقام النفس ؛ يقول القاشاني : وهو وارد قبول ولطف ورحمة وأنس . ويقابله وارد القبض ، كالخوف في مقابلة الرجاء في مقام النفس .. والبسط هو أن يبسط الله العبد مع الخلق ظاهراً ، ويقبضه الله إليه باطناً ، رحمةً للخلق . وهو يسع الأشياء ولا يسعه شيء ، ويؤثر في كل شيء ولا يؤثر فيه شيء ( اصطلاحات الصوفية ص ٣٧ ) .

أما إذا تفاوتتا في الذات أو الصفة ، فإنه يتفاوت السَّيَّارُ والطَّيَّارُ بهما ، لأن الثقل يجذبه إلى التحت والخفيف يقلُّه إلى الفوق ، وإذا كان أحدهما أقوى من الآخر ، فيقدِّمه الأقوى ويخلفه الأضعف ، فيقف السَّيَّارُ .. أو يكون أحدهما أكثر حركة من الآخر ، فيوجب الاختلافُ فيهما ، الحَيْدُ عن الطريق السوى والصراط المستقيم ، الذى هو أدقُّ من الشَّعْر ، لأنه لو كان مثل الشَّعْر لكانت فيه فسحة الحَيْدِ ! ومَنْ ترَجَّحْ خوفه على رجائه ، وقع فى زمهرير الأفكار ؛ ومَنْ ترَجَّحْ رجائه ، زَلَّ عن الصراط فى جحيم الاغترار . وصفة الحق العدل « شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ »<sup>(١)</sup> فعقابه أوجب له جناح الخوف ، وفضله أوجب له جناح الرجاء .

واعلم أن هذين الجناحين فى ميدان الطفل ، ولا يتبدلان حتى يستقيم فيه ، فإن الاستقامة سبب العبور على الصراط ؛ إما أن يزلَّ بمعصية فيزيد خوفه ، أو يغترَّ بعبادةٍ فيعثر بها ! فلا طمع فى العبور .. وهكذا دأب الأطفال ، يبقون فى زمهرير الخوف مُدَّةً ، وقد يبقون فى جحيم الرجاء مُدَّةً ، وقد يستقيمون فيها مُدَّةً ؛ وذلك لنقصهم وضعفهم ، وهو مقام « التلويح » فى مقام « الخوف والرجاء » . وكُلُّ صاحب مقامٍ وحال ، فلا بد أن يكون فيه - فى البداية - ملوِّناً ، وفى النهاية مستقيماً متمكناً .. فإذا استقام وتمكَّن ، تمكَّن من العبور على الصراط .

وعند الاستقامة فى الخوف والرجاء ، يدخل فى أول حدود الكهل ، وهو القبض والبسط . وفى القبض والبسط من الشرائط والبيان ، مثل

(١) الآية : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ سورة غافر، آية ٣ .

ما ذكرناه فى الخوف والرجاء ؛ وإنما كان القبض والبسط جناحى الكهل ، وميزان أعماله - وما بينهما صراطٌ ، والحيد عنه يمينًا وشمالًا زمهريره وجحيمه - لأنهما أعلى من الخوف والرجاء بدرجةٍ ، من قبل أن الخوف والرجاء سببهما العلمُ ، والقبض والبسط سببهما تصرف القدرة القديمة<sup>(١)</sup> فيه . والعلمُ ، تتطرق إليه آفةٌ ، كالنسيان أو الاشتغال بذكر مخالفه أو ضده ، مع أن<sup>(٢)</sup> ذكرهما يتعلق بفعل المختار<sup>(٣)</sup> ؛ بخلاف القبض والبسط ، فإن سببهما القدرة القديمة ، وتلك لا تتطرق إليها آفةٌ ولا معارضٌ ولا مانعٌ ، ولا تتعلّق باختيار السّيّار بل باختيار الواحد القهّار .. ولأن القبض والبسط ذوقٌ فى القلب والأجساد ، والخوف والرجاء ذوقٌ فى القلوب دون الأجساد .

فإن قيل : قد علّم أن الخوف والرجاء يمكن فرضهما فى حالةٍ واحدة ، وتُعقل التسوية والاستقامة فيهما ، فهل يمكن ذلك فى القبض والبسط ، مع أنهما ضدّان لا يجتمعان ؟

قلنا : فى أوائل الدخول فى هذا الميدان ، تارةً يكون القلب منبسطًا وتظهر آثاره على الوجه ، وتارةً يكون منقبضًا وتظهر آثاره على الوجه ؛ وذلك فى مقام « التلوين » فى ميدان القبض والبسط . ولكن المستقيم فيه يكون منقبضًا منبسطًا ، ولكن إذا رآه الجاهل حسب منقبضًا فحسب ؛

(١) يقصد : القدرة الإلهية الأزلية .

(٢) يقصد : علاوةً على أن .

(٣) الإشارة إلى اختيار العبد « السيار » لا اختيار الله « الإرادة القديمة » .

أما إذا رآه الأهل<sup>(١)</sup> ، قرأ من جبينه أنه دُرُجٌ من قبضٍ فيه جوهرٌ من بسط ، لِمَا أنه وصل إلى ما وصل<sup>(٢)</sup> وذاق ما ذاق ؛ وذلك أن عباد الله الخواص ، إذا<sup>(٣)</sup> اطلَّعوا على الخزائن والدفائن ، وعرفوا أن معه<sup>(٤)</sup> المزيد - من غير نفاذ إلى أبد الآباد - فرحوا بما عندهم ، وخرجوا إلى طلب المزيد ، فلزموا الوقار واجتنبوا الإظهار ، غيرَةً وخيفةً على ظهور الأسرار عند الأغيار<sup>(٥)</sup> .. فتعلوهم صفاتُ الجبروت والكبرياء ، ويضمرون صفات الرحمة والجمال ؛ فهم منقبضون بأبدانهم ، كأنهم قيَّدوا بالسلاسل من شدة الوقار والأناة والتذكار ، ومنبسطون بالقلوب والأرواح انبساط الفوف<sup>(٦)</sup> عند مهب الريح .

فإن قيل : ماذا أوجب أن تعلوهم صفاتُ الهيبة والجبروت ، ويضمرون صفاتِ الجمال والفضل والرحمة ؟ قلنا : لأن الجمال والفضل

(١) الأهل : الذى عرف هذا المقام وخبره .

(٢) أى أن « الأهل » سبق له الوصول إلى ما فيه صاحب الاستقامة والجمع بين القبض والبسط .

(٣) ب : إذ .

(٤) أى ، مع الله عز وجل .

(٥) قارن ما يقوله الشيخ نجم الدين هنا ، بما يقوله القشيري من أن الصوفية استخدموا لغة الرمز : لتكون معانى ألفاظهم مستهمة على الأجانب ، غيرَةً منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها ( الرسالة القشيرية ص ٥٣ ) .

(٦) ب : النون ، + ب : النون ، + أ : الفوف القطن .. وعند ابن منظور : الفوف هو الحبة البيضاء في باطن النواة التي تنبت منها النخلة ، وهو القشرة التي على حنية القلب والنواة دون لحمة الثمرة ، وكل ثمرة فوف ( لسان العرب ١/١١٤٥ ) :

والرحمة ، حرائر ومُخَدَّرَات<sup>(١)</sup> ذوات جمالٍ ودلال ، تسترّن بالحجاب لكلا  
يطمع فيهنّ الغيرُ ، فيفتن<sup>(٢)</sup> !

فإن قيل : فصفاً الهيبة والجبروت ، أليست هي المطلوبة ؟ قلنا :  
بلى ، ولكن الغير يبصر منها صورها دون معانيها ، وصورها هائلة كالثعبان  
والأسد والعقرب والحية ، والغيرُ مجتنِبٌ عن مثل هؤلاءك ، فلا يطمع  
فيهنّ ؛ بخلاف الصفات الجمالية . فنسبة الصفات الجمالية إلى الصفات  
الجلالية ، نسبة النساء إلى الرجال بصورها ؛ وبالضدّ من ذلك ، من  
حيث معناها .

### [ أقوالٌ وأحوال ]

قال الجنيد ، قدّس الله سيرّه : لو علم الملوك ما نحن فيه ، لحاربونا  
بالسيوف عليه<sup>(٣)</sup> .

وقيل : إنه كان يوماً في سماع<sup>(٤)</sup> لبعض الإخوان ، وقد طاب لهم

(١) الحرائر : جمع « حرة » وهي المرأة الجميلة المصونة ؛ والمخدرات ، الجميلات اللواتي  
احتججن في الخدر ( = الخيمة ، الهودج ) .

(٢) المراد هنا ، هو عين ما أشار إليه القشيري في قوله السابقة .. والغير ، هم « الأجانب » في  
عبارة القشيري ، أي : العامة الذين من شأنهم الافتتان بمعاني الأولياء .

(٣) هي عبارة مشهورة من عبارات الجنيد ، أوردها بعض المؤرخين بهذا اللفظ المذكور ،  
وأوردها البعض بلفظ : لجالدونا عليه بالسيوف .

(٤) السماع : مجلس صوفي يجتمع فيه الإخوان للذكر والإنشاد ، وتستخدم فيه الموسيقى ..  
راجع مناقشة الغزالي لهذا الموضوع في الجزء الثاني من الإحياء ( الكتاب الثامن من  
السماع والوجد ) وانظر أيضاً : التعرف ص ١٦٠ ، اللمع ص ٣٤٠ - حل الرموز  
للمقدسي ص ٦٦ .

الوقت وقاموا للرقص<sup>(١)</sup> ، والجنيد قاعدٌ لم يتحرك ، فحسبوا أن الرقص عنده حرام ، فسألوه عن ذلك فقال : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> .

فالراقص يستولى عليه البسط فيملكه ، والشيخ لا يملكه شيء ، وإنما هو يملك الأحوال .. وكذلك أبو الحسين النُّورى<sup>(٣)</sup> ، كان قاعدًا في السماع ، فتحرَّك القومُ للدوران وهو قاعدٌ - كأنه جماد - لم يتحرَّك ، فحسب القومُ أنه ما أثر فيه السماعُ ؛ فلما كان بعد ساعة ، تفصَّد جبينه وطار الدَّمُ ، وإنما طار الدَّمُ ، لأجل ترقُّى الحالة إلى نهايتها ، فإن الحالة إذا انتهت - ومقامها الروح ، والدَّمُ عرشُ الروح - انفتحت العروق وامتلات ، وانفطرت ، إذ لم يكن فيها للحالة مجال .

(١) دخل الرقص في مجالس السماع الصوفي في وقت متأخر نسبيًا ، ثم داوم عليه « المولوية » أتباع مولانا جلال الدين الرومي الذي كان يقول : لا يفنى في الله من لم يعرف قوة الرقص .  
(٢) بقية الآية : ﴿ وهى تمر مر السحاب ﴾ . والمعنى : أنه ثابت الظاهر كالجبال ، لكن باطنه مثلها يضطرم ويظير من الوجد .

(٣) هو أحمد بن محمد النورى الخراسانى ، من كبار رجال التصوف في القرن الثالث الهجرى . انظر ترجمته في : طبقات الصوفية ص ١٦٤ - حلية الأولياء ٢٤٩/١٠ - تاريخ بغداد ١٣٠/٥ - الرسالة القشيرية ص ٢٠ - الأنساب ص ٥٧٠ - صفة الصفوة ٤٣٩/٢ - المنتظم ٧٧/٦ - البداية والنهاية ١٠٦/١١ - النجوم الزاهرة ١٦٣/٣ - سير أعلام النبلاء ٧٠/١٤ .

وقد مات النورى ميتة درامية ، فقد سمع يوماً بيتًا شعريًا يقول :  
ما زلتُ أنزلُ من ووداك منزلًا      تحبير الألباب عند نزوله  
فقام وتواجد وهام على وجهه ، فدخل حقلًا للقصب كان قصبه قد قُطع وبقيت أصوله في الأرض كالسيوف ، فظل الدم ينزف منه وهو يعدو ويعيد البيت .. ومات بذلك .

وإنما للقبض أثره في الصورة والخيال ، لأنها أشدُّ الأشياء قوَّةً وقساوَةً وشدةً وكثافةً ، فالقبض يجتمع بها تحقيقًا للجنسية ؛ بخلاف المعاني والأنوار والقلوب والأرواح ، فإنها ألطف من كمال لطفها ، تخلَّصت عن القيد والأخذ - إلا بهيبة الكبرياء - فاجتمع بها الأنس ، لثبوت نسبته إلى اللطف . وبهذين الجناحين ، يطير الكهل إلى ميدان الشيخ ، ويتبدَّلان حينئذٍ بالأنس والهيبة .. وإنما فاقا على القبض والبسط ، لأن فيهما كثرت الشواهد من الوجدان والذوق والمشاهدة ، وفي القبض والبسط قلَّت الشواهد - فإن شواهدهما الوجدان والذوق فحسب - فكانت جلالة الأنس والهيبة من هذا المعنى .

والشيخ ، له كذلك - بهذين الجناحين - حَيْدٌ عن الصراط المستقيم واستقامةٌ ، وهو تلويته وتمكينه . وتلويته أن تكون تارة تتجلَّى له صفات الجمال من الفضل والرحمة واللطف والكرم ، فيكون مستغرقًا في الأنس ، وتارة تتجلَّى له صفات الجلال من القدرة والعظمة والكبرياء والعزَّة والسطوة وشدة البطش ، فيكون مستغرقًا في الهيبة ، وتارة تترج الصفات إذا تجلَّت<sup>(١)</sup> الذات .. فإن الذات أمُّ الصفات ومجموعها .

فالخائف الراجي مسلمٌ ، والمنقبض المنبسط مؤمنٌ موقنٌ ، وصاحب الأنس والهيبة متقنٌ عارف . فهذا المتقن العارف المحسن ، إذا تجلَّت<sup>(٢)</sup> له الذات ، يحبُّ ذلك ، وإن كان يؤخذ منه حبُّ الأشياء من القلب والروح

(١) . . تجلَّى !

(٢) . . تجلَّى !

– لِمَا يرى ويدوق من جلاله ذلك الشأن وعظمته – فمحبته أنسه ،  
وَأَخَذُ المحبوب منه ، هيئته . ومن الهيبة والأنس يترقى إلى جناحي المحبة  
والمعرفة ، وجناحي الفناء والبقاء .

وإنما قلنا بأن<sup>(١)</sup> الأنس<sup>(٢)</sup> والهيبة جناحا الشيخ ، لأنهما ثمرتا تجلّي  
الذات ؛ فهو واصلٌ إلى الذات وموصلٌ إليها<sup>(٣)</sup> ، وهو المقصد الأسمى .  
والقبض والبسط ثمرتا الصفات ، وكان كهلاً لأنه واصلٌ إلى الصفات .  
وصاحب الخوف والرجاء طفلٌ ، لأنهما ثمرة العلم ، ويتطرق إليه من  
الآفات ما ذكرناه .. فسبب تمام الخوف دوام العلم ، وسبب تمام القبض  
والبسط دوام الشكر والصبر ، وسبب تمام الأنس والهيبة دوام الرضا  
والتفويض ؛ وقد ينقلب الرضا والتفويض ثمرةً للأنس والهيبة ، لأنه إذا  
شاهد الآلاء والبلاء منه – عزَّ اسمه – بطريق سلب الاختيار عنه ، تملَّق إلى  
الحقِّ بحكم الحيلة ، بالرضا والشكر – لقضائه وآلائه – والصبر والتفويض  
أمَّر نفسه إليه ، على بلائه ، فيقول : أنت ربِّي وقادري ، إن شئتَ أحنيني  
وإن شئتَ أمتني .

وجناحا المعرفة والمحبة لا يثبتان معاً ، بل جناحا المعرفة يسبق جناح  
المحبة ، إلا أنها ملازمة لها ، كالظلِّ للشئء يشاركه في الزيادة والنقصان .  
والفناء والبقاء كذلك ، كلما فنى من غيره<sup>(٤)</sup> ، بقى به ؛ وكلما انفصل

(١) – أ .

(٢) أ : بالأنس .

(٣) . . إليه .

(٤) أى عن غير الله .



عن غيره ، اتصل به ؛ وكلما صحا عن غيره ، سكر بشراب شهوده ؛  
 وكلما محاه<sup>(١)</sup> الحق ، أثبتته . وهذا المحو والإثبات ، والصحو والسُّكْر ،  
 مقاماتٌ قبل الفناء والبقاء .

### [ الشوق ]

فإن قيل : فما زوج الشوق من الأجنحة ؟ أهو جناحٌ واحدٌ لا زوج  
 له ؟! قلنا : هو بمنزلة المحبة ، زوجةُ العرفان ، فإنه<sup>(٢)</sup> بقدر العرفان يشقائق .  
 وفي العرفان درجاتٌ ثلاث ؛ عرفان العامة ، وعرفان الخاصة ، وعرفان  
 خاصة الخاصة .

فعرفان العامة : الاستدلال بالآيات الظاهرة .

وعرفان الخاصة : الاستدلال بالآيات الظاهرة والباطنة بالغيب ، وهو  
 عرفان الإيمان والإيقان .

وعرفان خاصة الخاصة : الاستدلال بناصب الآيات على الآيات<sup>(٣)</sup> ،  
 وهو عرفان الإتيقان .. فعرفوا كل شيء به ، لا أنهم عرفوه بشيء .

ومثال هذا ، ينبوع والبحر والسواقي : فإن مَنْ أبصر الساقية عرف

(١) ب ، ج : محاه .

(٢) أ : فإن .

(٣) يقول الصوفي : ما عرفْتُ الله بالأشياء ، بل عرفْتُ الأشياء به .. وراجع بخصوص

هذا المعنى ، حوار الشيخ نجم الدين مع فخر الدين الرازي المذكور في هذا الكتاب ،

ص ٦٣ وما بعدها .

أن لها مُمِدًّا ، فهو عرفانٌ ، إلا أنه ناقص ؛ لأنه عرفان بأن ثمة مُمِدًّا ، ولكنه لا يعرف قَدْرَ المُمِدِّ ، أهو مثل الساقية ، أم هو فوقها بكثير .. فلا يزال يقتضى الساقية ، إلى أن وصل إلى البحر الذى هو مُمِدُّ تلك الساقية ، فاستعظم البحر واستكثره ؛ إلا أنه قال : وإن كان هذا البحر عظيمًا ، إلا أنه من جنس الساقية ، لكونه محدودًا ! ودَلَّت<sup>(١)</sup> عظمة البحر على عظمة المُمِدِّ ، وهو عرفانٌ ، إلا أنه ناقصٌ لأنه ما أبصر المُمِدِّ ، أهو مثل البحر ، أم فوقه ، أم دونه .. فلا يزال فى طلب مُمِدِّه إلى أن وصل إلى ينبوع الذى منه وجود البحر والسواقى . فعرفَ السواقى والبحور منه ، الآن ، وقبل ذلك كان عارفًا به بواسطة السواقى والبحر .

فالمقصود ، أن كُلَّ عرفانٍ يوجب محبةً وشوقًا بقدره . أو نقول : يفنى الطالبُ فى الشوق ، أو المعرفةُ فى المحبة ؛ لأن العرفان يقتضى الوصف ، والمحبة تنفى الوصل وتقتضى الإجلال عن النعت ، فإذا فنى الموصوف فى الصفة ، والمُثَمَّرُ فى الثمرة - مثل العرفان فى الشوق والمحبة - والصفة تبتغى أبدًا موصوفًا ، فإذا فنى المحبُ فى المحبة ، اتحدت محبته بمحبة الحبيب ، فحينئذٍ : لا طائر ولا جناح ! فيكون طيرانه ومحبته للحق ، بمحبة الحق له .. ولا « له » به !

(١) .: دل .

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا<sup>(١)</sup>

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

والشوق بدايات المحبة ، ففي الأول يصحب التوجُّه - لنقصانه -  
فإذا صار محبةً وعشقًا ، يندر التوجُّه ، ويكون طائرًا من كل جهةٍ إلى كلِّ  
جهة . لأن الحبيب هناك ! فيطير من قُدَّامٍ ووراءٍ ، وفوقٍ وتحتٍ ، ويمينًا  
وشمالاً ، وخارجًا وداخلًا .. إذ الحبيب يتجلَّى له من كلِّ جهةٍ ، لكلِّ  
جهةٍ ، إلى كل جهةٍ ، في كل جهة .

### [ إجمال ]

والحال ، ما تحوَّلت به من مقامٍ إلى مقام . والمقام ، ما وقفت فيه حين  
الفتور . والوقت ، سيفٌ قاطع ؛ لأنه لو لم يكن قاطعًا لتوقف لك حتى  
تتدبَّر وتنفكَّر ، ولكن الوقت مضاءٌ كالسيف البتَّار .

### [ تفصيل ]

والصوفي ابن الوقت ، لأنه يدور مع الوقت كيفما كان ، ولا ينظر  
إلى ما مضى ، ولا إلى المستقبل ؛ لأن نظره إلى الماضي والمستقبل يضيِّع

(١) الشطر الأول من بيتي الحلاج الشهيرين :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا      نحن روحان حللنا بدننا  
فإذا أبصرتني أبصرتنه      وإذا أبصرتنه أبصرتنا  
( ديوان الحلاج ، نشرة ماسينيون ، ص ٩٢ )

(٢) سورة القصص ، آية ٨٨ .

عليه الوقت ، وربما ضيع أوقاتاً كثيرة .. وهذا<sup>(١)</sup> ، شرطُ صحة المراقبة<sup>(٢)</sup> ، والمراقبة من المفاعلة مع الحق الحبيب ، لأن الحق رقيب في كل ما يصنع ويفعل من خيرٍ وشرٍّ والتفاتٍ واستماعٍ إلى غيره ، وهو رقيبُ الحق في كل ما يرد عليه من ولاءٍ أو بلاء ، فيستقبلهما تارةً بالصبر والشكر - في أوائل الطريق - وتارةً بالشكر والإيثار - في وسط الطريق - وتارةً بإنزالهما مكاناً واحداً .

أَجِبْ عَلَى أَيَّمَا حَالَةٍ إِسَاءَةٍ لَيْلَى وَإِحْسَانَهَا<sup>(٣)</sup>

رأيتُ عاشقاً كلما صفعه المعشوق ، جعل يباهى بها الناس ،  
ويضحك ويقول شبهَ الفرحان : ما يقصّر في حقنا !

قيل : الصوفي لا تجاوز همته قدامه<sup>(٤)</sup> . فلا تظنّ بهذا دناءة همة الصوفي ، فإن إحدى قدمي الصوفي في النهاية والأخرى في اللانهاية ؛ فلا يفارق همته أبداً ، لأن السيار فارسٌ والهمة فرسه .

(١) الإشارة إلى كون الصوفي ابن وقته .

(٢) المراقبة : إحدى الرياضات الروحية التي يرصد فيها الصوفي حاله مع الله ويطرصد خطرات النفس .. راجع أقوال الصوفية في « المراقبة » كما أوردها القشيري في الرسالة ص ١٨٩ وما بعدها .

(٣) + أ : ديوان البحتری قسطنطينية ١٣٠٠ هـ / ٢٥٤ / ١ .

(٤) هي عبارة شهيرة للشيخ أبي محمد المرتعش النيسابوري المتوفى ٣٢٩ هجرية ، رواها القشيري بلفظ : ينبغي للفقير أن لا تسبق همته خطوته .. ورواها الهجویری بلفظ قريب .

## [ بيان أمر الهمة ]

وللهمة بدايات ونهايات .. فبدايتها الإرادة ، ثمَّ الطلب ، ثمَّ الربط<sup>(١)</sup> ، ثمَّ التصرف<sup>(٢)</sup> ، ثمَّ الكون<sup>(٣)</sup> . والهمةُ قدرةٌ ، والسُّرُّ يجمِّح الهمةَ وقدرةَ الحق ، والإرادة والطلب من القلب ، والروح لا يخفى ، إنما يكشف عن الربط الذوق به . فنقول : إذا قويت الإرادة واشتدَّت ، وصدق الطلب ؛ حصل بين صاحب الهمة والمطلوب رابطة ، إما بإيجاد ، أو إفناء . مثل السلسلة بين الشيئين ، أو الرمح الحاصل بين يدي المبارز وصدر الآخر ، أو السهم ، أو النور بين الشمس والأرض .. والله يربط على قلوب عباده المنيبين إليه ، بنورٍ منه . ويدوق السَّيَّار رابطةً بينه وبين السماء ، كأنهما شيءٌ واحد ؛ وهو قد يرى سلسلةً من السماء إلى قلبه ، وهو معتصمٌ بها - وهو جبل الله<sup>(٤)</sup> - حين تنزَّكى الأجزاء السماوية .. وقد شاهدنا الهمةَ في صورة رجلٍ - كان ينفصل عَنَّا في كُلِّ نَفْسٍ ولحظة - يصعد إلى السماء ، وذلك عند التكوين .

كنتُ صبيًّا وقد بُتُّ في دارٍ ، وحيدًا ، لأحفظ فيها أقمشة ، فما زال يوسوسنى الشيطانُ ، وتحدَّثنى النفسُ بدخول السارق - وكانت الأبواب مغلقة - حتى هممتُ تكوين السارق بواسطة بطلان الحواس ، من شدة

(١) أى ربط القلب بالمرار .

(٢) هو تصرف الإرادة في عالم المحسوسات .

(٣) يقصد « التكوين » وهو المرتبة التالية للتصرف ، وفيه تكوين للهمة قدرةً على تكوين

الصور الحسية ، كما سيوضح الشيخ في الواقعة التى سيذكرها فى الفقرة التالية .

(٤) الآية : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾ سورة آل عمران ، آية ١٠٣ .

الخوف ، وظهور حواس الغيب<sup>(١)</sup> .. فكنتُ أسمع حسَّ رجلٍ جاء إلى الباب ، ودقَّ الباب فوجده مغلقًا ، فجعل يحرك المغلاق حتى فتح الباب ودخل . فأنحلَّ قيدُ العقل وزال ، فكنتُ مغشيًا عليَّ حتى نصف النهار ؛ فلما أفقتُ قلتُ : أيش<sup>(٢)</sup> أصابني ؟ فتذكرتُ دخول السارق وأخذ القماش ، فكنتُ<sup>(٣)</sup> أفنش عن القماش فإذا هو كما كان ، وبدرتُ<sup>(٤)</sup> إلى الباب فوجدته مغلقًا ؛ فعرفت في هذا الطريق ، أن همتي فعلت ذلك .. وهذا سيرُّ ظهور الأشخاص الهائلة عند شدائد المخاوف .

والهمةُ ثمرةُ الجمعية ، بل هي سيرُّ الجمعية ؛ وضدُّها التفرقة<sup>(٥)</sup> . ولا نعمة كالجمعية ، ولا عذاب كالتفرقة .. والجمعية لحوق القلب بالعرش ، أو لحوق العرش بالقلب ، أو التقائهما في وسط الطريق . وجمعيةُ الجمعية<sup>(٦)</sup> ، فناء القلب والعرش في الحق ، وذلك عند استواء

(١) حواس الغيب هنا ، هي ما يُعرف عند قدماء الفلاسفة من اليونان والمسلمين بالحواس الباطنة ، وهي : الذاكرة والخيلة والحس المشترك . وكلام الشيخ هنا يقصد به الخيلة بالذات .

(٢) ب ، ج : أى شيء .

(٣) ب : فقامت .

(٤) ب : وبادرت .

(٥) الجمعية والتفرقة هنا ، هما ما يُعرف في المصطلح الصوفي بالجمع والفرق . راجع معنى « الجمع » فيما سبق .

(٦) يقصد « جمع الجمع » وهو اصطلاح يشرحه القاشاني بقوله : هو شهود الخلق قائمًا بالحق ، ويسمى الفرق بعد الجمع .

الحقُّ عليها ، واستواء الحق على العرش<sup>(١)</sup> ، حسب استوائه في القلوب ؛ إلا أن استواءه على العرش جَلَالِيٌّ ، واستواءه على القلوب جمالي .. وهو معنى « الرحمن الرحيم » فالرحمن هو المستوى على العرش ، والرحيم هو المتجلى في القلب<sup>(٢)</sup> ؛ وهو معنى الألف والياء في الرحمن الرحيم . وهذا سِرٌّ ذوقِيٌّ ، فإنك إذا ذكرت « الرحمن » أو سمعته من غيرك ، وجدت وذقت منه<sup>(٣)</sup> مجموع صفات الجلال ، من الكبرياء والعظمة والقدرة والعزّة والتعالى وشيّدّة البطش والقوّة ؛ وإذا ذكرت « الرحيم » أو سمعته من غيرك ، وجدت وذقت منه مجموع صفات الجمال ، من الرحمة والكرم والعطف والسلام والنعمة .

فالألف سماوية والياء أرضية<sup>(٤)</sup> ، وكذلك العرش سماوي والقلب أرضي . فلهذا جعلت الألف علامة النصب ، والياء علامة الكسر<sup>(٥)</sup> ، والواو علامة الرفع - لأن الرفع ما بين النصب والكسر<sup>(٦)</sup> - فإن الواو

(١) استواء الله على العرش ، مشكلة أثارت العديد من تأويلات الأئمة والفقهاء ، فلما احتدم الجدل فيها قال بعضهم : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

(٢) يقرر عبد الكريم الجليل - استنادًا لهذا المعنى - أن القلب هو العرش الحقيقي للألوهية .

(٣) - ب .

(٤) يدخل كلام الشيخ هنا ، تحت ما يُعرف بأسرار الحروف - كما سيصرّح هو بعد ذلك - وهي واحدة من المعارف الصوفية التي ازدهرت بعد القرن السادس الهجري ( انظر ما سيقوله الشيخ نجم الدين في أسرار الحروف ) .

(٥) + ب : الجر .

(٦) ب : الجر .

اسم الروح ، والألف اسم الحق ، والياء اسم الخلق ! فلذلك ، جعلت الأرواح منازل الأسرار والتعلُّقات بين الحق والخلق ، هي الأمر بين المكوّن والمكوّن ؛ وينكشف لك من هذا ، معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾<sup>(١)</sup> ، فإنه تفسيرٌ للروح ، لا أنه سكوتٌ عن معناه ، ولكنه يشبه السكوت عن الجواب ، لسرٍّ بين الله ورسوله والمؤمنين . ولهذا اختلف المشايخ في الروح ، وأصحُّ ما قيل فيه ، قول الجنيد قدّس الله روحه : لا نقول هو قديم ولا مخلوق .

فكأن نسبة الروح إلى الحقِّ والخلقِ ، نسبة الواو إلى الألف والياء ، أو نسبة الرفع إلى النصب والخفض .. وهكذا ينحو السِّيَار إلى أسرار الحروف .

(١) سورة الإسراء ، آية ٨٥ .



## مسألة [ في أسرار الحروف ]

دائرة العين<sup>(١)</sup> لا تبدو جملةً واحدةً ، وإنما هي تبدو شيئاً فشيئاً ، وتزداد شيئاً فشيئاً ، حسب بدو الهلال في أول يوم من الشهر ، والثاني ، والثالث والرابع ؛ فيذوق السَّيَّارُ منها مذاق القمر ومنازله في السماء . وقد تنكشف هذه الدائرة - دائرة العين - وقد تفنى في الحاق ، فهذه كلها أنموذج من القمر وفلكه ومنازله وبروجه في السَّيَّار ؛ ويعلم السَّيَّار أن الحروف - التي هي ثمانية وعشرون أو تسعة وعشرون<sup>(٢)</sup> - تولدت من السماء الأولى ، التي هي فلك القمر<sup>(٣)</sup> . وفي الكلام<sup>(٤)</sup> سبعُ سماوات<sup>(٥)</sup> ، أولها الحروف ، ولهذا حَكَت الحروف ، بصورة<sup>(٦)</sup> ومعنى ، وعدد انحراف

(١) الكلام هنا عن دائرة « حرف العين » .

(٢) باعتبار أن « لام ألف » حرفاً أو غير حرف .

(٣) يقصد أيام الشهر العربي ، تلك التي تتقرر بحسب منازل القمر ، فأونة تكون ٣٠ يوماً ، وأونة ٢٩ يوماً .

(٤) الإشارة إلى الكلام الإلهي « القرآن » .

(٥) الآيات :

- ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ سورة البقرة ، آية ٢٩ .

- ﴿ تسبح له السموات السبع ﴾ سورة الإسراء ، آية ٤٤ .

- ﴿ قل من رب السموات السبع ﴾ سورة المؤمنون ، آية ٨٦ .

- ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقاً ﴾ سورة الملك ، آية ٣ .

- ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ﴾ سورة الطلاق ، آية ١٢ .

- ﴿ ألم ترأ كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ﴾ سورة نوح ، آية ١٥ .

(٦) أ : صورة .

القمر في منازلها<sup>(١)</sup> ؛ وثلاثون سِنَّاً في الفم - الذى هو مدارُ الحروف - إشارةً إلى هذا . وَحَدُّ لوح الحروف على العرش ، من الشفة إلى القلب ، ومن الباء إلى الهاء .

وهذه الحروف تثبت في هذا اللوح بواسطة الاختيار الإنساني ، ثم إذا استهلكت ، تثبت بلا واسطة اختيارية ، بل تُثبت بحسب ما يجب أن يُثبت بقلم<sup>(٢)</sup> الحق وراءها .. وإرادةُ الحقِّ وقدرته وراء القلم ، فحينئذٍ يفنى الكاتبُ المُحدَث ، ويكتبُ الكاتبُ القديم بما شاء ، وكيف شاء ، وأنى شاء<sup>(٣)</sup> .

(١) الإشارة إلى المطابقة بين عدد الحروف وعدد أيام الشهر العرى .  
(٢) أ : لقلم .

(٣) كان ابن عرى كثير التنبيه على هذا المعنى ، فهو لا يفتأ يذكرنا في غير موضع من كتابه الكبير « الفتوحات المكية » بأنه كان مجرد أداة لظهور الكتاب ، ففي المقدمة يقول عن سبب تأليفه للفتوحات : أقام الله في خاطري أن أعرف الولي بفنون من المعارف عند تطوافي في بيته المكرّم .. وفي الباب ٤٨ يقول : اعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكري ، وإنما الحق تعالى يُملئ لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره .. وفي الباب ٣٧٣ يقول : واعلم أن جميع ما أتكلم به في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه ، فإنني أعطيت مفاتيح الفهم والإمداد منه ... إلخ .

وقول الشيخ نجم الدين إن الكاتب القديم يكتب « أنى شاء » يذكرنا بأحوال الشاعر الصوفي عبد الهادي السوداني اليمنى ، الذى كان يكتب أشعاره على الجدران بالفحم ، وقتما تتملكه الواردات الإلهية ، وربما كان يحو ما كتبه عند عودته إلى الصحو والحضور .. انظر كتابنا : شعراء الصوفية المجهولون ( أخبار اليوم ) ص ١١٣ وما بعدها .

## [ مُعَايِنَات ]

وصلت إلى هذا المقام ، فأول ما كُتِبَ في لوحى : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فالله معناه الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، أى المعروف الموصوف بالصفات الجلالية والجمالية . ولهذا ، جميع حروفه حروف المعرفة ؛ وكأنه يقول : باسم المعروف فى السماء ، والمعروف فى الأرض ، والمعروف فى العرش ، والمعروف فى القلوب .

غبتُ ، فكأنى برسول الله - ﷺ - وأصحابه ، فقلتُ يا رسول الله ، ما معنى الرَّحْمَنُ ؟ فقال : الَّذِى عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى<sup>(١)</sup> .. فقلتُ : ما معنى الرَّحِيمِ ؟ فقال : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

## [ إِشَارَةٌ ]

إذا ثبتت هذه الحروف كذلك ، فينكشف حينئذٍ قوله - عليه السلام - حكايةً عن رَبِّهِ : فبى ينطق<sup>(٣)</sup> .

## [ عَوْدٌ لِلْعَيْنِ ]

وهذه الدائرة - دائرة العين - لا تبقى على حالةٍ واحدةٍ لوئًا وقدرًا ، بل تزداد وتنمو بقدر السير ؛ إشارةً إلى سبع طباقها ، وإلى سبع طباق السماوات .. كُلُّ طَبَقَةٍ مِنْهَا ، حُرُوفٌ كُلُّ سَمَاءٍ .

(١) قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ الأعراف / ٥٤ - يونس / ٣ - الرعد / ٢ - الفرقان / ٥٩ - السجدة / ٤ - الحديد / ٤ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٤٣ .

(٣) الحديث القدسى : ما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه .. فبى ينطق وبى يمشى وبى يبطش ... إلخ .

فإذا صفا الجزء السماوي بالتدرّج ، ظهر لون تلك السماء وقدرها بالنسبة إلى الأولى ؛ إلى أن تستغرق الدائرة الوجه . وقد تبدو<sup>(١)</sup> - في حال الفرج بعد الشدّة ، والأنس بعد الهيبة ، والبسط بعد القبض ، والرغبة بعد الفترة عند الملتفت<sup>(٢)</sup> - جميع دوائر الوجه ، كأنها تسبيح ! وتُسبّح ، فتتجلّى حينئذٍ سبحات وجهه الكريم ، ويجرى على لسان السيّار - بحكم الاضطرار : « سبحاني سبحاني ، ما أعظم شأنى<sup>(٣)</sup> » هذا إذا كان السيّار مستغرقاً كل الاستغراق ؛ أما إذا كان محفوظاً ، فيقول حينئذٍ سبحانه سبحانه ، ما أعظم شأنه !

---

(١) . . . يبدو .

(٢) يقصد : الفتور الناشئ من الالتفات إلى غير الله .

(٣) هي واحدة من شطحات البسطامي الشهيرة .. راجع تحليل د. عبد الرحمن بدوي لهذه

العبارة وأمثالها في كتابه ( شطحات الصوفية - بيروت ) .

### مسألة : [ في مراقى الذُّكر ]

إذا أخذ الذاكرُ في الذُّكرِ ، ووقع الذُّكرُ إلى القلب ، وانفتحت بصيرته ، وأنس إلى الخَلوة - وما يخرج منها إلا بحاجة ثم يدخلها ويشرع في الذُّكر - هجمت عليه جنود الذُّكر كأنها رِجُلٌ<sup>(١)</sup> من جَرَادٍ لها رَنَّةٌ كَرَّتِه ، تهجم عليه من ورائه ، حتى تحوم حواليه مثل النار على الحطب ؛ وربما يخرج من الخلوة بالليل ويمشي في صحراء<sup>(٢)</sup> ، فيرى مدَّ البصر مَيْمَنَةً ومَيْسَرَةً عنه ، وهو في القلب مثل السلطان . وربما تهجم عليه الواردات بالليل ، خارج الخَلوة ، حتى تغيب عنه الجمادات ، فلا يشاهد إلا زجاجًا في زجاج ؛ وذلك نهاية صفاء الوجود - أن يكون في لون الزجاج - وحينئذٍ : يرى شمس الروح من ورائه .

إن في جوف الأرض نارا ، وفي أوج السماء نارا ؛ فإذا صار القلب مكمنا نيران الذكر والشوق والعشق ، نزلت إليه نيران ، ونبعت من الأرض نيران كالشرر من الكُورة<sup>(٣)</sup> !

(١) الرُّجُلُ : الطائفة من الشيء ، وخصَّ بعض أهل اللغة به « القطعة العظيمة من الجراد » والجمع « أرجال » وفي الحديث الشريف : كأن نبلهم رِجُلُ جراد ( لسان العرب ١١٣٤/١ ) .

(٢) ب : الصحراء .

(٣) يقصد « كور الحداد » وهو الذي فيه الجمر ، وتوقد فيه النار .. وللكلمة معان أخرى عديدة . انظر : لسان العرب ٣١٢/٣ .

## [ معاينة ]

ودار الإخلاص - وهى دارٌ مَنْ ذهب<sup>(١)</sup> - لا يعبر إليها السَّيَّار  
 إلَّا بعد خرق أنواع الوجود ، والوجود يأتي شِبْه الترس المدوَّر بين يدي  
 السَّيَّار ، فلا يعبره حتى يذوق الموت ، وذلك مذاق الهيبة .. وقد عبرت  
 إليها - لا باختيار منى ، بل عُبرْتُ إليها - فذقتُ مذاق الموت ، ثم بلغتني  
 الراحة لما وقع بصري على تلك الحَضْرَة . وقد أُلْهِمْتُ أنها حَضْرَة  
 الرحمة ، وفيها شيخُ أُلْهِمْتُ أنه الرضوان ، وفيها جماعةٌ من الأَبْكار أُلْهِمْتُ  
 أنهنَّ الحور العين - لما أبصرنني بادرَنَ بالحجاب<sup>(٢)</sup> ، إلا واحدةً منهنَّ -  
 وكأني ملفوفٌ في كفنٍ ، أطيّر بين السماء والأرض مستخلصًا من أثقال  
 التراب .

فلما دنوتُ من الأرض ، بلغتني تلك العيناء<sup>(٣)</sup> ، فأجلستني على  
 كرسى ، ثم قام الشيخُ إليَّ ، فجلس وراء ظهري ، فغمزني<sup>(٤)</sup> وهمس في  
 قلبي : تألّه إلى ربِّك ! ففهمتُ أنه أرسلني إلى حَضْرَة الربوبية والألوهية .  
 ثم رجعتُ إلى الوجود وأنا ملآنٌ من الإله<sup>(٥)</sup> والشوق واليقين ، مستريحٌ من  
 كل تعب .

(١) يقصد ؛ مَنْ مات .

(٢) أ : الحجاب .

(٣) أى تلك التى لم تبادر إلى الحجاب من الحور العين .

(٤) ب : فغمزنى ، + ب : فحفزنى .

(٥) يقصد ؛ التألّه .

## [ عودة إلى مراقى الذكر ] :

إذا استُخلص القلب والروح من الأجزاء الترايبية ، وقويا<sup>(١)</sup> بالروحانية ، وداوم السَّيَّارُ على الجلوس والسهر والذكر ؛ فإذا وضع جَنْبُهُ على الأرض لينام ، أحسَّ - قطعاً - أنه قاعدٌ بذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ، مع أنه مضطجعٌ على الأرض ! فيتعجب من ذلك كل العجب ، ثُمَّ يلتمس كيف يتصوَّر ذلك ، فيعود القاعد إلى المضطجع فيجتمعان . وهكذا من تعود القيام ، ثُمَّ قعد ، أحسَّ أنه قائمٌ ؛ وحينئذٍ يتجلَّى له « الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ »<sup>(٢)</sup> . وكذلك الدائم القائم ، القائم الدائم .

أما في أوائل السير ، فإنه يترك الاختيار في النوم ، فلا ينام باختياره حتى يضجعه رقباء الرحمة ؛ فيستيقظ وهو مضطجع ، أو يستيقظ وهو في السجود . فإن انتبه وهو مضطجعٌ على اليسار ، فهو أحسن حالاً ممن ينام بالاختيار ؛ واليمين أحسن من اليسار ، والسجود أحسن من الكل .. هذا ، لأجل أن النفس مُدَسَّسَةٌ بالتراب ، والترابُ يطلب الترابَ ؛ فإذا استخلصت<sup>(٣)</sup> من التراب ، كان حالها ما ذكرنا .

وأما حالة السَّيَّار بين المرتبتين - بين أول السير ونهايته - فهي<sup>(٤)</sup> أنه لا يُنَوِّم ، ولا يُضجع . فإذا اضطجع باختياره ، شاهد جنود الذكر حاموا حواليه ومن فوقه ، ويسمع منهم رَنَّةً كَرَّتِيَّةَ النحل أو دوىِّ الريح ،

(١) . قويت .

(٢) الإشارة إلى سورة البقرة ، آية ٢٥٥ ( آية الكرسي ) .

(٣) أ ، ج : استخلص - ب : تخلص .. والكلام هنا عن النفس .

(٤) . فهو .

فلا يقدر أن ينام ، لفرار النوم من الأصوات .. وذلك حين ضعيف الحواس الظاهرة ، وقوة الحواس الباطنة : حواس القلب .

### [ أسرار الخلوة ]

لا بد أن يرى صاحب الخلوة والانقطاع إلى الله ، كل من عاشره خارج الخلوة ، بالوهم والمشاهدة ، في الحضور والغيبة ، يدعونه إلى ما كان عليه فيما سلف . فإن كان ضعيفاً جذبوه وأخرجوه إلى اللهو واللعب ، فلعبوا به كما كانوا يلعبون به ، وأهلكوه كما أهلكوا أنفسهم .. وإن كان قوياً ، انقطع عنهم بقدر قوته .

فإن تَمَّت له الخلوة ، علم أنه أقوى من الكل ؛ وإن لم تتم له الخلوة ، علم أنهم أقوى منه . وفي الأول تكون قوته بالشيخ ، فإنه صبي بعد ؛ فإن حن إليهم وخرج عن الخلوة ، كان ذلك من ضعف الشيخ وتقصيره ، حيث أدخله الخلوة وما قطع عنه الجاذب الذي يستجذبه .. إلا أن الشيخ قد يدخله الخلوة لأجل إتمام الأمر عليه ، وقد يدخله لأجل فائدة ما ؛ وذلك أن المرید لا يخلو من دفين مدموم في باطنه ، والشيخ لا يقدر على قطع ذلك إلا بواسطة صَفْع الخلوة !

أول ما دخلت الخلوة ، كان في قلبي نوع من رياءٍ وسمعةٍ وطلبٍ لكلام هذا الطريق - حتى أعظ الناس في رعوس المنابر ، وأعدت من جملتهم مع أني لست منهم - فأعطيت شيئاً من الكشف بقدر ما علمت أن هذا الطريق صحيح ، ولكن كان بناء الخلوة فاسداً ؛ لأجل أنه ما كان غرضي صحيحاً ونيتي صادقة . وكانت لي أشياء من الكتب خارج الخلوة ألتفت



إليها ، فأخرجوني من الخَلوة في الحادى عشر ، ثُمَّ بقيتُ خارج الخَلوة بقدر ما زال عَنِّي وجعُ ضرب الخَلوة ؛ وأردتُ الخَلوة ، فقلتُ في نفسى : « إن دخلت الخَلوة كما دخلت ، أُخرجت منها كما أُخرجت ؛ ولكن أدخلُ مُدخل صدقٍ ، حتى أخرج مخرج صدق » .

فصفتُ النيَّة لأجله<sup>(١)</sup> ، ووضعتُ الروح بالكفِّ ، وقلتُ : « ها هي<sup>(٢)</sup> ذا ، خذها » ووقفتُ الكتب ، ووهبتُ الثياب ، وتصدَّقت بالdraهم ، ونبذتُ الدُّنيا وراء ظهري ، وجعلتُ القيامة بين يديّ ، وخلعتُ عذار<sup>(٣)</sup> العار والشنار<sup>(٤)</sup> أن يقول الناسُ فَيّ : « ذلَّ واستكان ، أو جُنَّ وكان من أمره ما كان » وجعلتُ النفس بين يديّ الشيخ ، مثل الميت على اللوح بين يديّ الغاسل<sup>(٥)</sup> . وقلتُ : « الساعة أدخلُ القبر ، فلا أنشرُ منه إلى يوم القيامة » .. حتى قلتُ : « هذه البقية من الثياب ، كَفَنِي ؛ فإن قويت الخواطرُ بالخروج من الخَلوة ، مَزَّقْتُ ثيابي على البدن خرقاً خرقاً ، حتى أستحي من الناس فلا أُخرج ، فيكون لباسي جدران الخَلوة » . وذلك كله من شدة شوقى إلى طلب النجاة .. فلما دخلتُ هكذا ، ما خرجتُ عنها إلا بإذن الشيخ .

(١) أى لأجل الله تعالى .

(٢) . هو .

(٣) خلع العذار ؛ إشارة إلى التجرد عن أسباب الدنيا .. ويتكرر هذا التعبير كثيراً عند الصوفية ، خاصة في شعر ابن الفارض .

(٤) الشنار : الحزى والعار .

(٥) المرید بين يديّ شيخه ( ربه ) كالبيت بين يديّ الغاسل ، عبارة صوفية شهيرة تتردد في متون كتب التصوف منذ وقت مبكر ، وتنسب لغير واحد من أهل الطريق .

قال شيخى عَمَّار : إذا دخلت الخَلوة ، فلا تحدِّث نفسك بأنك تخرج منها بعد الأربعين<sup>(١)</sup> ؛ فإن حدِّثت نفسك بذلك ، أخرج في اليوم الأول .. ولكن حدِّثها بأن هذا قبرك إلى يوم القيامة ! قال : وهذا دقيق ، لا ينتبه إليه إلا البالغون .

ولا يأنس السَّيَّار إلى الخَلوة ، حتى يحاربه كُلُّ مَنْ عاشره وصاحبه ورآه ومَلَكه ؛ وإنما يحاربه لأنه كان إلهه قبل الخَلوة ، فلما أن خلا بالله وأعرض عن كُلِّ شَيْءٍ ، جاءه كُلُّ شَيْءٍ يدعوهُ أن يعبدَه من دون الله ، فإذا جاهد في الله ، ونصره الله عليهم ، صَحَّتْ خَلوته وُحِلُّوه عنهم ، فيأنس إذن إلى الخَلوة ، ثُمَّ إذا أنس إلى الخَلوة استوحش عن ضيِّدِها ، وحينئذٍ يأنس إلى ذكر مَنِ الخَلوةُ لأجله ؛ وهو ذكر الحقِّ سبحانه وتعالى .

قد يسبق الأُنْسُ بالذكر ، ولكنهما في الجملة يتسابقان ، يتعاقبان ؛ وسِرُّ المسابقة أنه قد يكون في أول طريق السَّيَّار : الوحشةُ عن الأضداد ، فيأنس إلى الخَلوة ثم يقوم في طلب الأُنيس . وقد يكون في أول طريقه :

(١) الأربعين هنا إشارة إلى ما يعرف عند الصوفية بالأربعينية ، وهى قضاء أربعين يوماً متوالياً في الخَلوة . وقد عقد السهروردي ثلاثة أبواب حول هذا الموضوع ، بدأها بالبَاب السادس والعشرين من « عوارف المعارف » بعنوان ( في خاصية الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية ) وفيه يقول : ليس مطلوب القوم من الأربعين شيئاً مخصوصاً لا يطلبونه في غيرها ، ولكن لما طرقهم مخالفات حكم الأوقات أحبوا تقييد الوقت بأربعين رجاء أن ينسحب حكم الأربعين على جميع زمانهم ، فيكونوا في جميع أوقاتهم كهيئتهم في الأربعين ؛ على أن الأربعين نُحِصت بالذكر في قول رسول الله ﷺ « من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقد خص الله تعالى الأربعين بالذكر في قصة موسى عليه السلام .. ( عوارف المعارف ص ١٢١ ) .

كشَّف الحَقَّ ، فيأنس إلى ذكر الجليس ، ثُمَّ الأضدادُ يشوِّشون عليه منادمة الجليس<sup>(١)</sup> ، فيأنس إلى الخلوة ، ثُمَّ لا يزال يكون مُستأنساً بالذكر والخلوة حتى تنقطع عنه الأضدادُ والآلهة بالكلية ، وذكرها البتة ، فيكون أنسه حينئذٍ بالحق .. وذلك نهاية ميدان الخلوة ، ومن ثَمَّة : بداية تخلوة المعنى ، فيكون بصورته مع الأغيار ، وبمعناه مع العارف .

قال الجنيد - قَدَّسَ اللهُ روحه - لمريديه أصحابِ الخَلَوَاتِ : إن كان أنسُكُمْ في الخَلْوَةِ بالخلوة ، ذهب أنسُكُمْ إذا خرجتم منها ؛ وإن كان أنسُكُمْ في الخَلْوَةِ به<sup>(٢)</sup> ، استوت عندكم الصحارى والخلوات .

كان صاحبُ تخلوةٍ قد ذكر عند الشيخ أبي النجيب<sup>(٣)</sup> ، أنه انتهى

(١) أى الله تعالى .

(٢) أى بالله عزَّ وجلَّ .

(٣) هو الشيخ نجيب الدين السهروردي ، عم شهاب الدين السهروردي صاحب « العوارف » ؛ يصفه الذهبي فيقول : الشيخ الإمام العالم المفتي المتفنن الزاهد العابد القدوة شيخ المشايخ ، أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله .. البكرى السهروردي الشافعي الصوفي الواعظ ، شيخ بغداد ( سير أعلام النبلاء ٤٧٥/٢٠ ) ولد أبو النجيب سنة ٤٩٠ بسهرورد ، وتوفى سنة ٥٦٣ ببغداد .. واشتهر أمره في زمنه ، وانتفع به الناس ، وكان الخليفة يزوره في رباطه . وهو من أصحاب الإمام عبد القادر الجيلاني ، له من المؤلفات : آداب المريدين .

راجع المزيد من ترجمته في :

الأنساب ١٩٧/٧ - المنتظم ٢٢٥/١٠ - معجم البلدان ٢٨٩/٣ - الكامل في

التاريخ ٣٣٣/١١ - اللباب ١٥٧/٢ - وفيات الأعيان ٢٠٤/٣ - العبر ١٨١/٤ =

استغراقه في الذكر إلى حَدِّ يُسمع الذكر من صدره ، ولكنه إذا سمع صوتاً أو رأى شيئاً من عالم الشهادة ، تشوّش عليه الذكر ، وخرج صدره ، وغضب وأنكر . فكان الشيخ يوصي مرّديه فيقول : لا تكونوا مثله ! معناه : صَحِّحوا الأنس به حتى لا يشوّشكم شيءٌ ، فإن الذاكر قد جعل الذكر الصافي ، وشواهده ، وطيرانه ، معبوداً له من دون الله ، فكان - لا جرم - يتشوّش عليه بخاطرٍ يخطر على قلبه ، وصوتٍ يُسمع ، وشيءٍ يراه .

### [ أسرارُ الذكر ]

يصل السّيّار الذاكر إلى مقام يقال له : لا تذكر ، لتري الذكر كيف يذكر ، وإنه مذكورٌ وليس بذاكر ! والإنسان - أبداً - مذكورٌ الحق ، إلا أنه من كثرة الظلمات وكثافة الحُجب ، لا يسمع ولا يجد ذلك . فإذا استغرق في الذكر ، أمره الشيخ بترك الذكر ، حتى لا يقف موقف المنقطعين ؛ فإنه وقوفٌ في الصفات وانقطاع عن الذات .

وقد ينتهي السّيّار بعد مُدَّةٍ مديدةٍ من الذكر باللسان ، إلى حَدِّ يسأم القلب عن ذكر اللسان ، ويكون ذكر اللسان تشويشاً له ، فيمنع اللسان عن الذكر ، ويدوم حضوره بالقلب ، فلا يجرى الذكر على لسانه سنين

= - مرآة الجنان ٣/٣٧٢ - طبقات الشافعية للسبكي ٧/١٧٣ - طبقات الإسنى  
٢/٦٤ - البداية والنهاية ١٢/٢٥٤ - النجوم الزاهرة ٥/٣٨٠ - طبقات الشعرا  
١/١٤٠ - شذرات الذهب ٤/٢٠٨ - هدية العارفين ١/٦٠٦ .

- وهو مؤمنٌ موقنٌ متقنٌ - إلا في الصلوات المفروضة ، عملاً بتقوى القلب .. فإن القلب لا يُفتى بترك المفروضات قَطَّ ، ولا يُفتى بما فيه شكٌ قَطَّ<sup>(١)</sup> .

---

(١) في كلام الشيخ هنا ، رَدُّ على قاصري الأفهام الذين ذهبوا إلى القول بأن الصوفية يسقطون التكاليف الشرعية وفروض العبادة ، حين يصلوا إلى مرتبة معينة .. والحقيقة ، فإن قواعد الشرع ، هي مقياسٌ لصحة أحوال الصوفي ، مهما بلغت به المراتب الروحية ، بل إن تلك المراتب لا تجوز أصلاً لمن يترك ظاهر العبادات .

### فصل : الجمود والخمود في طريق القوم<sup>(١)</sup>

أما الجمود ، فيكون بعد انطفاء النيران المذمومة ، من نار الشهوة وجوع الكلب<sup>(٢)</sup> والعطش ، ونار الشيطنة ، ونار النفس وما يشتمل عليها من الخصائل المذمومة . فإذا كان كذلك ، برد الداخل والباطن من برد يصعد وآخر ينزل من السماء ، فيصير السَّيَّار كالجَمَد<sup>(٣)</sup> في البرودة ؛ وهو بَرْد العفو . ويجمد جمودًا محمودًا غير مذموم ، في راحةٍ وخِفَّةٍ وطربٍ ونشاط ، لا تنفعه الثيابُ الكثيرة ولا البيت الدفئ من ذلك البرد ، ولو دخل النار .. ويظهر حينئذٍ معنى قوله عليه السلام : اللّهم اغسلنى بماء الثلج والبرّد<sup>(٤)</sup> .

(١) يعدُّ الشيخ هو أول مَنْ أشار إلى هذين المصطلحين - فيما نعلم - ولعل أقرب المصطلحات الصوفية إليهما هو مصطلح « الخمول » الذى استخدمه ابن عطاء الله السكندرى فى حكمته الموجهة للمريد المبتدئ : ادفنْ وجودك فى أرض الخمول ، فما تَبَّتْ مما لم يصلح دفنه ، لا يتم نتاجه ( راجع : الحكم العطائية بشرح الشيخ زروق ص ٣٦ ) وسوف نرى أن الشيخ نجم الدين يقصد بهذين المصطلحين دلالة خاصة .

(٢) الجوع الكلبي : مصطلح استخدمه الأطباء العرب للإشارة إلى الجوع المرضى الذى لا يعرف صاحبه الشبع .

(٣) الجمد : الثلج . قال الأطباء العرب : والفرق بين الثلج والصقيع والبرد والجمد ، مع اشتراكها فى الجمود ، أن ذلك الجمود إما أن يكون بعد صيرورة ما يجمد أو لا ، والأول إما أن يكون من السحاب فيسمى بردًا أو لا يكون كذلك ويخص باسم الجمد ، والثانى هو الثلج إن كان كثيرًا محسوسًا ، وإلا فهو الصقيع . وجميع مياه هذه تكون غليظة ( رسالة فيما ورد فى الثلج والجمد والبرد ، للعبدى - بغداد ص ٨٦ ) .

(٤) الحديث بألفاظ قريبة ، أخرجه : البخارى فى الآذان ٨٩ والدعوات ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٦ =

والخمود ، خمود النيران التي وصفناها .

والخمود والجمود حالان يتعاقبان معًا ، وكلما خمدت النيران جمدت أماكنها ، فالموضع لا يخلو عن الشيء وضدّه<sup>(١)</sup> . وهما حالتان تصطحبانه إلى حالة لا يؤذيه حرٌّ ولا برِّد إلى أبد الآباد .. لا حرٌّ ، ولا برِّد ؛ فإنه من الجمود والخمود ، يترقى إلى حالة « لا جمود ولا خمود » إذا استخلص من الأركان<sup>(٢)</sup> إلى محض الصفاء .

وهذه النيران أجزاء من كليات لا تعدم بالكلية ، بل تلتحق بكلياتها . وتلك الكليات ، هي النيران التي يعدب بها المجرمون الذين أجرموا ، وكبروا جرّم النيران. ويظهر من هذا سيرُّ « الكبيرة والصغيرة »<sup>(٣)</sup> فإن نار الكبيرة ليست كنار الصغيرة ؛ فلذلك جعلت قُرّة الصلاة<sup>(٤)</sup> مبرّدة لتلك النيران بعضها ، ولا تكفى البعض ؛ فيحتاج إلى برِّد القصاص والحَدِّ والكفّارة والتوبة في كُلِّ ذلك ، وهو الندم ؛ فهو الضابط ، فإنه متى

= ومسلم في المساجد ١٤٧ والذكر ٤٨ والترمذى في الدعوات ٧٦ والنسائي في الطهارة ٤٧ ، ٤٨ والمياه ٥ والافتتاح ١٥ والاستعاذة ١٧ ، ٢٦ وابن ماجه في الإقامة ١ والدعاء ٣ وابن حنبل في المسند ٥٧/٦ ، ٢٠٧ .

(١) يخالف الشيخ هنا ، القانون الأول من قوانين الفكر الأساسية في المنطق ، وهو القانون القائل « النقيضان لا يجتمعان معًا ولا يفترقان معًا » ليؤكد بذلك أن حياة الروح منطقيًا خاصًا ، لا تنطبق عليه قوانين المنطق الصوري أو الرياضي .

(٢) المراد بالأركان ، مبادئ الوجود الأربعة المشهورة : الهواء والماء والتراب والنار . وهي هنا تشير - مجتمعة - إلى تعلّقات الحياة الأرضية .

(٣) يقصد كبائر الذنوب وصغائرها .

(٤) الحديث : حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم الطيب والنساء ، وجعلت قُرّة عيني في الصلاة .. الحديث مشهور ، والقر : البرد .

توقدت النيران بوقودِ النَّاسِ وَحِجَارَةِ<sup>(١)</sup> القلوب<sup>(٢)</sup> ، نسي صاحبها الرَّبَّ ، حتى تجد النارُ طُعْمَهَا ، فإذا شَبِعَتْ ، سكنت عن الهياج ؛ فحينئذٍ يتذكَّرُ المجرم ، فيعزم على الإقبال بالحق ، والرجوع عن الباطل - وهو الندم - فينادم رَبَّهُ ويقول : بئسَ ما فعلتُ ، وقد عهدتُ منك الجميل قديماً وحديثاً ، فاعف عني وكن رعوفاً رحيماً ، هذا رجائي وظنِّي .

وهذه البرودة أيضاً جزءٌ لها كُلُّها لا يعدم ، إلا أنه يلتحق بالكلِّ ؛ وهو الزمهير الذي يكون في جهنم !

وإذا استخلص السَّيَّارُ عن وبال الأركان ، عرَّجته أربعة من الملائكة إلى حضرة القدرة والربوبية التي منها تربية الأركان ؛ والطريق في هذا التعرَّيج<sup>(٣)</sup> ، في أَرْقَّةٍ على شكل التدوير ، وهي بروج الوجود أو آبار الطبيعة ، كيفما شئت قلت<sup>(٤)</sup> . وبعد هذا يكون السَّيَّارُ - في الغيبة

(١) الآيات :

- ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ سورة البقرة ، آية ٢٤ .
- ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ سورة التحريم ، آية ٦ .
- (٢) الآية : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ سورة البقرة ، آية ٢٤ .

(٣) يقصد ؛ عروج الملائكة الأربعة بالسيار .

(٤) المراد هنا : أن هذه الأربعة الدائرية إذا نظرت إليها من عُلٍّ ، رأيتها كأنها آبار الطبيعة الجسمانية التي ارتقيت عنها . وإذا نظرت إليها من واقع سجنك في قيد الطبيعة الجسمانية ، وقد تشوفت للارتقاء ، رأيتها كأنها بروج الوجود العلوى .. فالأمر واحد ، لكن المنظور مختلف .



والحضور - أبداً مشاهداً لصفاء القلب ، أو صفاء العرش ، حتى إنه إلى أى شئ<sup>(١)</sup> ما نظر من الأشكال في عالم الشهادة ، تنقش في ميدان قلبه ، فيشاهد ذلك الشكل - سواء أطبق جفنيه أو فتحهما - بين يديه ساعةً ، ثمَّ ينمحي .

ومن هذا تتجلى فائدة الخلوة ، فإن الخلوة تجلو مرآة القلب عن أشكال تنقشت فيها منذ عقل وعاشر الدنيا وما فيها . وهذه الأشكال ظلمات تنطبق - بعضها على بعض - وتركب ، فيحصل منها صدأ القلب ، وهو الغفلة .. فبواسطة الخلوة ، والذكر ، والصوم ، والطهارة ، والسكوت<sup>(٢)</sup> ، ونفى الخواطر ، والربط ، وتوحيد المطلب ، تتجلى « مرآة القلب » عن الصدأ ؛ فالذكر ناز ومبرد ومطرقة ، والخلوة كورة ، والصوم والطهارة آلة التصقيل ، والسكوت ونفى الخواطر نفى الوارد من الظلمات عليها ، والربط تلميذ ، وتوحيد المطلب أستاذ .

### [ حكاية غريبة ]

عشقتُ واحداً من بلاد المغرب ، فسَلطت عليه الهمة فأخذته ، وربطته ، ومنعته عن سواى . إلا أنه كان عليه رُقباء ، فسكت عن صريح

(١) أ : أيش .

(٢) يقصد « الصمت » الذى هو أحد لوازم الطريق الصوفى ، كما هو وارد في العبارة الصوفية الشهيرة : ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربعة خصال ؛ الجوع والصمت والسهر . والخلوة .

المقال ، وجعل يكلمنى بلسان الحال ، فأفهمه ؛ وأكلمه كذلك ،  
فيفهمه . وانتهى الأمر إلى أن صرت أنا هو ، وهو أنا ، وقع العشقُ إلى  
محض صفاء الروح ؛ فجاءتني روحه سَحْرًا ، وتمرَّغ وجهها في التراب ،  
وتقول : أيها الشيخ ، الأمان الأمان ، قتلتنى ، أدركنى ! فقلتُ : ماذا  
تريدين<sup>(١)</sup> ؟ قالت : أريد أن تدعنى حتى أُقبَّل قدمك ! فأذنتُ لها ،  
ففعلت ، ورفعت وجهها ، فقبَّلتها حتى استراحت واطمأنت إلى  
صدرى .

---

(١) . . . تريد .

## فصل [ في اسم الله ]

الذكر الجارى على نفوس جميع الحيوانات - شاءوا أم أبوا - أنفاسهم الصاعدة والنازلة ، وفي كُلِّ نَفْسٍ يصعد وينزل ، اسم الله عَزَّ وَجَلَّ ؛ وهو الهاء . فالهاء الصاعدة ، معدنها القلب ؛ والهاء النازلة معدنها العرش . والواو في « هو » اسم الروح ؛ لأنها من حُدامِ حضرة الهويَّة ، فأكسبت هذا الوصال .

قال شيخ من المشايخ - وأظنه سهل بن عبد الله التستري<sup>(١)</sup> - لمريديه : إذا أصابتهم مصيبة فلا تقولوا « آخ » فإنه اسم الشيطان ، وقولوا « آه » فإنه اسم الله .. وكذلك « وَه » و « وَه »<sup>(٢)</sup> فإنه مقلوب « هو » فإن اللسان لا يفي بذكر حرف واحد - فإن اللسان من الأزواج - أما القلب فقد وَفَى ، لأنه واحد ، في جوف كُلِّ أحد .

والهاء في « الله » هي<sup>(٣)</sup> هذه الهاء ، والألف والسلام المشددة

(١) هو الشيخ سهل بن عبد الله بن يونس ، الشهير بالتستري نسبة إلى بلدة « تُسْتَر » توفى سنة ٢٨٣ هجرية . راجع ترجماته في : حلة الأولياء ١٨٩/١٠ - صفة الصفوة ٤٦/٤ - الرسالة القشيرية ص ١٨ - طبقات الشعراني ٩٠/١ - طبقات السلمى ص ٢٠٦ - وفيات الأعيان ٢٧٣/١ - تاريخ الإسلام ٦٢/١٦ - سير أعلام النبلاء ٧٦/٩ - المنتظم ١٦٢/٥ - مرآة الجنان ١٤٨/٢ - شذرات الذهب ١٨٢/٢ - نتائج الأفكار القدسية ١٠٩/١ .

(٢) أ : وَه .

(٣) . : هو .

للتعريف ، والتشديدُ تمكين التعريف .. وذلك لأن الهاء ساكنٌ ، ولام التعريف ساكنٌ ، والساكنان إذا اجتمعا ، يحرِّك الأول بالكسر ، فيكون « أَلَهٌ » فيشابه الفعل ويخرج من قلب الاسم ، فزيدت فيه اللام ، وضُمَّتْ إلى أختها ، وبقيت الأولى مجزومة على أصلها ، وحُرِّكت الثانية كلها ، تبيينًا لاسمه الأعظم الذي هو الهاء .

وإنما قلنا : « هو ساكنٌ » لأن أصله من القلب ، والقلب دائرةٌ ، وتدويرها في الكتابة إشارة إلى هذا المعنى . والدائرة لا حركة لها من أصلها - الذي هو النقطة - ونقطة دائرة القلب : الحُقُّ .

ويمكن أن يُقال : « ساكنٌ ومتحرِّكٌ » . كالدائرة الدائرة حول النقطة ، أو الرحا<sup>(١)</sup> حول القطب ، أو القطبين الدائرين - الجنوبي والشمالي - في أماكنهما .

ولا نعني بها<sup>(٢)</sup> ، الهاء التي يُنفوّه بها في الأفواه ، فإنها هاءٌ وألفٌ ؛ وهما حرفان . وإنما نعني بها الحرف الواحد الأصلي من القلب ، الذي لم يصعد بعد إلى عالم الأزواج ؛ فالقلب واسطة بين الأزواج والآحاد ، ويظهر من هذا سيرٌ عظيم في قوله عزَّ اسمه : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ \* فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .. يعني من الأزواج إلى الواحد !

(١) ب : الرحي .

(٢) يقصد ، هاء الهوية في اسم الله .

(٣) سورة الذاريات ، الآيات : ٤٩ ، ٥٠ .

والقلب كاسمه ، قلبٌ .. أى وسطٌ - صورةً ومعنى - عدلٌ ؛ ولهذا جاء الهاءُ في حَدِّ الأعداد ، اسمُ الخمسة<sup>(١)</sup> . لأن الخمسة وسط أصل الأعداد - التى هى من الواحد إلى التسعة - ويظهر من هذا سرُّ الصلوات الخمس ، وقوله : بُنِيَ الإسلام على خمس<sup>(٢)</sup> .

والهُويَّة هُويَّتَان : هُويَّته وهُويَّتكَ . فإذا أفنيت هُويَّتكَ ، بقيت هُويَّته ، وقوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>(٣)</sup> ، وهذا معنى قوله - حتى يفنى مَنْ سواه - ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(٤)</sup> . فبقدر ما تفنى هُويَّتكَ ، تغشاك هُويَّته ؛ فتفنى - فى الأول - صفات هُويَّتكَ ، مذموماتها ومحموداتها ، فتغشاك لا جرم - فى الأول - صفات هُويَّته ، من صفات الجلال والجمال . ثم تفنى ذاتك ، فتغشى هُويَّته ، ولا هُويَّة حينئذٍ هُويَّته ، فتجد حينئذٍ الوعدَ نقداً : لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ<sup>(٥)</sup> .. فاللهُ معناه - فى مقام تجلَّى الذات - الواحدُ من كُلِّ وجهٍ ، لا يتقاضى ثانياً آخر - موجوداً ؛ لأنه ينافى ذلك خاصية الواحد . والقَهَّارُ معنى الواحد ، لأنه بوحده انيته يقهر سُكَّانَ الفردانية ؛ فيصيحون

(١) فى حساب الجمل : أ = ١ / ب = ٢ / ج = ٣ / د = ٤ / هـ = ٥ .. وهكذا تعطى لحروف

الأبجدية أرقاماً متتالية حتى العدد ١٠ ويليه ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ إلى آخر الحروف .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى الايمان ١ ، ٢ وفى تفسير سورة البقرة ٣٠ ؛ وأخرجه مسلم

فى الايمان ٢٠ ، ٢١ والترمذى فى الايمان ٣ والنسائى فى الايمان ١٣ وابن حنبل فى المسند

٣٦ / ٢ ، ٩٣ ، ١٢٠ ، ١٤٣ .

(٣) الآية : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص / ٨٨ .

(٤) سورة غافر ، آية ١٦ .

(٥) سورة غافر ، آية ١٦ .

حين أثبتهم بعد أن محاهم ، وأوجدهم بعد أن أفناهم : « الله الواحد القهار » لِمَا ذاقوا من غَشْيَانِ الهوية الوجدانية والقهر .

### [ كلام الله ]

إن كلام الحق إذا عَرَى - في الغيب - عن اللباس ، يسمع السَّيَّارُ أصواتًا تكاد تخرق دَفَّةَ الأذان . ويصعق السَّيَّار ، شاء أم أبى ، ثم يتداركه جمال الحق ، فيثبته ؛ وذلك بقدر ما يطيقه - ولو زاده الله تجريدًا في الكلام لَمَاتَ - فتكشف له حالة موسى عليه السلام ؛ قال الله عزَّ اسمه : « يَا مُوسَى إِنَّا كَلَّمْنَاكَ بِقُوَّةٍ عَشْرَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، وَلَوْ زِدْنَاكَ لَمَتَّ » . ويتجلى ذلك من نفخ الصُّور<sup>(١)</sup> ، وتتجلى أيامُ الله - وأيام الله هي التي أهلك فيها أقوامًا مجرمين ، في قوله : أَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ وَالرَّجْفَةَ<sup>(٢)</sup> ؛ ثم لم يتداركهم لطف الحق ، فماتوا من ساعتهم . والسَّيَّار إنما يُفعل به ذلك<sup>(٣)</sup> ، ليزداد ثباتًا وقُوَّةً وإيمانًا وعرفانًا ، ليهبه القاصدون حَقَّ الهيبة ، ويتَّقوه حَقَّ تقاته .. ويظهر من هذا ، سيرُّ قوله عزَّ اسمه : ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أُنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾<sup>(٤)</sup> . وكان عليه السلام يجد

(١) قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ سورة الزمر ، آية ٦٨ .

(٢) الآيات : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ ﴾ الأعراف / ٧٨ ، ٩١ ﴿ فَلَمَّا أَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ ﴾ الأعراف / ١٥٥ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ ﴾ العنكبوت / ٣٧ .

(٣) يقصد : يصعق بكلام الله ، ثم يتداركه الجمال الإلهي والرحمة فينتبته .

(٤) سورة هود ، آية ١٢٠ .

من هذه القصص هذا المذاق ، وكان يقول : شَيْبَتْنِي سُورَةُ هُودٍ وَأَخْوَاتُهَا<sup>(١)</sup> . لِمَا فِي هَذَا الْمِذَاقِ مِنْ أَهْوَالِ تُشْيِبِ النَّوَاصِي<sup>(٢)</sup> ؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ لَهُ - عَزَّ اسْمُهُ - فِي هَذِهِ السُّورَةِ : ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ ، وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ، وَلَا تَطْغَوْا ﴾ الْآيَاتِ<sup>(٣)</sup> .

### [ عَوْدَةٌ لِكَلَامِ التُّسْتَرِيِّ ]

أَنْصَرَفَ إِلَى كَلَامِ التُّسْتَرِيِّ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - وَأَقُولُ : قَوْلُهُ « آه ، اسْمُ اللَّهِ » فَلِمَا قُلْتُ ، وَقَوْلُهُ « آخ ، اسْمُ الشَّيْطَانِ » فَلِبُعْدِ الْخَاءِ مِنْ مَقَامِ الْقُرْبِ ، الَّذِي هُوَ الْقَلْبُ ، وَلِهَذَا كُتِبَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْفِظَ النِّخَامَةَ مِنْ فَمِهِ ، قَالَ « آخ » كَأَنَّهُ لَعَنَهُ وَطَرَدَهُ ، لِمَا لَا يَرْضَاهُ ؛ وَكَذَلِكَ مَنْ رَأَى شَيْئًا كَرِيهًا وَأَرَادَ بُعْدَهُ ، قَالَ « آخ » لِيُرْمِيَ الْبِزَاقَ عَلَيْهِ ؛ وَكَذَلِكَ كَانَ مَنِيعَ حَرْفِ الْخَاءِ أَعْلَى مَنَابِعِ الْحُرُوفِ ، لِاسْتِكْبَارِ الشَّيْطَانِ .. وَكَذَلِكَ إِذَا وَجَدْتَ النَّفْسَ رَاحَةً ، اسْتَرَاخَتْ وَاسْتَرَخَتْ وَقَالَتْ « آخِ » لِأَنَّهَا حَبِيبَةُ الشَّيْطَانِ وَأَخْتُهُ ، فَتَجَرَّعَ الْكُتُوسَ بِاسْمِ أَخِيهَا وَحَبِيبِهَا . وَكَذَلِكَ ، إِذَا أَصَابَتْهَا سَهَامُ الْمَصَائِبِ قَالَتْ « آخِ » بِخِلَافِ النَّفْسِ الْمَطْمَئِنَّةِ ، فَإِنَّهَا تَقُولُ عِنْدَ الْفَرَجِ « اللَّهُ اللَّهُ » وَهَذَا سِرُّ قَوْلِهِ ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه الترمذى فى التفسير بلفظ : يا رسول الله قد شبت قال : شيتنى هود والواقعة ..

والحديث فى « تمييز الطيب من الخبيث » للشيبانى ( طبعة مصر ١٣٢٤ ) ص ١١٥ .

(٢) النواصى : الرعوس .. وفى القرآن الكريم : ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ سورة الرحمن ، آية ٤١ .

(٣) سورة هود ، آية ١١٢ .

(٤) سورة البقرة ، آية ١٥٥ ، ١٥٦ .

## [ صِيحَةُ الهَاءِ ]

إِلَّا أَنَّهُ يَنْتَهِي هَذَا الْاسْمَ - الَّذِي هُوَ الْهَاءُ - إِلَى حَدِّ يَتَّصِلُ بِالْاسْمِ الْأَعْظَمِ . وَابْتِدَاءَ الْاسْمِ الْأَعْظَمِ مِنَ اللَّهِ ، لِأَنَّهُ اسْمُ الذَّاتِ الْمَشْتَمَلَةِ بِالصِّفَاتِ الْجَلَالِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ ؛ ثُمَّ تُقَلَّلُ حُرُوفُهُ بِزِيَادَةِ كَشْفِ الْمَعْنَى ، فَتَقُولُ « هُوَ » وَ « هُوَ » إِشَارَةً إِلَى الذَّاتِ الْقَرِيبَةِ الْحَاضِرَةِ . وَمِنْ الْحُرُوفِ وَالكَثْرَةِ ، يَقَعُ التَّقْلِيلُ إِلَى حَذْفِ الْوَاوِ مِنْهُ ، فَتَنْتَفِي الْكَثْرَةُ وَالتَّرْكِيْبُ وَالتَّفْوُّهُ بِهَا ، فَيَقَعُ إِلَى مَجْرَدِ حَضُورِ الْقَلْبِ وَالدُّكْرِ ، ثُمَّ يَتَقَوَّى هَذَا فِي الْقَلْبِ فَيَنْتَقِلُ إِلَى السَّرِّ ، وَيَتَقَوَّى فِي السَّرِّ ، فَيَنْتَقِلُ إِلَى الْهَمَّةِ وَالْقُدْرَةِ .. وَعِنْدَهَا يَتَّصِلُ بِالْاسْمِ .

فَعِنْدَ وَقُوعِهِ - فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ - فِي بَحْرِ الْاسْمِ ، تَخْرُجُ صِيحَةٌ مِنْ قَلْبِ السِّيَّارِ ، مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارِهِ ؛ وَتَكُونُ الصِّيحَةُ فِي الْأَوَّلِ : مِثْلَ الْفَوَاقِ فِي الصَّدْرِ ! ثُمَّ يَقْوَى ، فَيَنْتَهِي إِلَى مَقَامِ يَمُوتُ بِهِ السِّيَّارُ - أَوْ يَمُوتُ بِهِ غَيْرُهُ<sup>(١)</sup> - عَلَى حَسَبِ نَفْخِ إِسْرَافِيلَ فِي الصُّورِ .

وَعِنْدَ ضَعْفِ الْإِتِّصَالِ بِالْاسْمِ الْأَعْظَمِ ، يَكُونُ كَعْبًا وَاحِدًا . وَعِنْدَ قُوَّةِ الْإِتِّصَالِ بِهِ يَصِيرُ ذَا كَعْبَيْنِ ؛ وَقَدْ يَصِيرُ ثَلَاثَةَ كَعَابٍ ، إِشَارَةً إِلَى زِيَادَةِ الْإِتِّصَالِ بِهِ . وَقَدْ تَكُونُ الصِّيحَةُ ضَعِيفَةً ؛ وَقَدْ تَكُونُ قَوِيَّةً ، لِاخْتِلَافِ الرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ بِهَا - وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّاسْمُهُ ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ \* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾<sup>(٢)</sup> . عَالَمُ الْحُدُوثِ وَعَالَمُ الْقِدَمِ ، وَكَلِمَا غَلَبَ

(١) تَمَلَّى كَتَبَ طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ بِوَقَائِعِ الَّذِينَ مَاتُوا عِنْدَ صِيحَتِهِمْ ، أَوْ مَاتُوا عِنْدَ سَمَاعِ صِيحَةِ غَيْرِهِمْ . وَفِي ( حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ ) لِلْأَصْفَهَانِيِّ ، شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ .

(٢) سُورَةُ الرَّحْمَنِ ، آيَاتَانِ : ١٩ ، ٢٠ .



على القلب القِدَمُ ، قَلَّتْ غَلْبَةُ الحدوث عليه ، وكلما صفر منه امتلاً من ثمَّ<sup>(١)</sup> - وفيه إشارة إلى قوله عَزَّ اسْمُهُ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> قال الشيخ أبو النجيب<sup>(٣)</sup> ، قَدَّسَ اللهُ روحه : إنما قلبي مثل الجُبِّ الفارغ ، لأجله<sup>(٤)</sup> .

فهذه الصيحات والزُعقات الخارجة من القلوب ، من اتصالها بالاسم الأعظم ، إذا خرجت صافية خالصة عن شائبة الاختيار ؛ أما إذا خرجت من اختيار ، فتلك الصيحات لم تدخل بعدُ إيوان<sup>(٥)</sup> الإخلاص . والفرق بينهما ، أن الصيحة الخارجة عن غير اختيار ، لها فراق<sup>(٦)</sup> الحجرين إذا تصادما - وأنت غافل عن مبادئ التصادم<sup>(٧)</sup> - أو الرعد الشديد الصوت إذا سَبَّحَ<sup>(٨)</sup> ، حتى يخاف على الأسماع

(١) قوله « صفر منه » أى « خلا منه » والمعنى : كلما خلا القلب من الوجود المادى المحدث ، امتلأت جوانحه بالوجود الإلهى القديم .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٨٩ .

(٣) يقصد ؛ الشيخ أبا النجيب السهروردى .. راجع ترجمته فيما سبق .

(٤) المعنى هنا ، أنه جعل قلبه كالبحر العميق الخالى ، من أجل الله الذى يتجلّى بأنواره على قلوب عباده .. وهو معنى قريب من حال ( التخلية والتحلية ) الذى تحدثنا عنه فى تعليقاتنا السابقة .

(٥) الإيوان : المكان العظيم ، ومنه « إيوان كسرى » وهى كلمة فارسية وكردية ، أصلها آرامى ، وأوى بالعربية : سكن ( معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٣ ) .

(٦) أ : مذاق .

(٧) يريد الشيخ هنا أن يقول : إن خروج الصيحة اللا اختيارية يكون خروجاً مفاجئاً يمر كلمح البصر دون الانتباه إلى مبدأ أمره .

(٨) تسييح الرعد تعبير قرآنى ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾ وفى ديوان أمية ابن أبى الصلت :

ومن خوف ربه سَبَّحَ الرعد فوقنا وسَبَّحَ الأشجار والوحش أبْدُ

منه<sup>(١)</sup> ، من غير أن تجد أو تذوق منه<sup>(٢)</sup> ابتداءً في ذلك . أما الصيحة الخارجة من الاختيار ، فتلك لها ألف ابتداء ، وقصد الابتداء .. وهما على حسب حركة المرتعش والمختار ، فإنك تدرك تفرقةً ضروريةً بينهما .

فإحدى الصيحتين طاهرةٌ ، خارج الكون ؛ والثانية - الاختيارية - نجسةٌ بنجاسة الرياء والسمعة . فلا جرم أن الأولى تقبلها القلوب والأرواح ، وتنقاد لها النفوس ؛ والاختيارية لا تقبلها القلوب والأرواح ، وإن قبلتها النفوس لغلبة الاختيار عليها . والأولى تورث عَجَبًا وخرقًا لعادة الصيحات ، والثانية تكون لها أمثالٌ في الصيحات ولا تورث عَجَبًا وخرقًا لعادة الصيحات .. فهذه الصيحة الطاهرة ، لا يُمنح بها السَّيَّار ، إلا بعد فناء الاختيار في اختيار الشيخ .

سُئِلَ الجُنَيْدُ ، قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ، عَنِ صِيحَةِ الْفُقَرَاءِ ؛ فَقَالَ : هِيَ اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمِ ، فَمَنْ أَنْكَرَهَا أَوْ كَرَّهَهَا ، لَمْ يَجِدْ لَذَّةَ الصِّيحَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

### [ الأُنْسُ بِالْحُزَنِ ]

الحُزْنُ سَكُوتٌ مُحْضٌ لَا يُوجِبُ صِيحَةَ ، إِلَّا تَنْفُسُ الصُّعْدَاءِ<sup>(٣)</sup> . فَإِذَا قَوِيَ ، فَالرَّئِينَ . فَإِذَا جَاوَزَ الرَّئِينَ ، يَنْتَهَى الْحُزْنُ وَيَهْجُمُ النِّشَاطُ وَالطَّرْبُ

(١) . . منها .

(٢) . . منها .

(٣) الصعداء : التنفس الممدود ، وهو النفس بتوجع .. والصعداء : المشقة ( لسان العرب

والفرح ، لظهور الأُنس بالحزن ! فإن الحزن لا يكون إلا لفوات محبوب ،  
وحقيقة هذا مثل حَنَّةِ القلب إلى المحبوب وشوقه ، إلا أنه في حالة الوصل  
واصل إلى المحنون إليه ، فلا يحنّ ؛ فإذا فارقَه ، حَزِنَ لفراقه .

فالحزن لباسٌ أو قشرٌ ، والملبوسُ أو اللُبُّ : الحَنَّةُ أو الحَنَّانُ . أو  
الحزنُ اللقمةُ ، والعاشقُ الآكلُ . أو الحزنُ الشرابُ ، والعاشقُ أو العاشقُ  
الشاربُ .. فإذا قَوِيَ اللابسُ ، رمى الثيابَ ، أو خرق الحجابَ ؛ فإن  
الثياب عند الأحياب حجاب ! أو كَبُرَ اللُبُّ ففتق القشر ، أو نمت الحَبَّةُ  
فنقبت الحجر والأرض فنبتت ، أو كبر الفرخ في البيضة وحيى فكسر  
القشر ، أو قويت<sup>(١)</sup> حَنَّةُ الحَنَّانِ - من تواتر لُقمات الحزن وشرباته -  
فخطت<sup>(٢)</sup> إلى الإلف ؛ وصيحتته من غير اختيار ، خطوئته إليه .

فعلى هذا ، جميع أصوات الطيور تخرج من حَنَّةٍ في صدورها ، إما من  
طربٍ أو نشاط غير مسبوقٍ بحزن ، وإما مسبوقٍ بحزن متقويةٍ . والسَّيَّارُ  
يصل إلى حالة تخرج منه أصواتُ الطيور ، ثمراثُ حالة البسطِ والأُنسِ بالله  
وما بعده ، والفرح به .

### [ أحوال ]

كنت أسمعها<sup>(٣)</sup> من فقير لقينته في طريق كربلاء ، فأنكرتُ عليه  
ذلك ، وسألته عنها ؛ فقال : خيرًا يكون إن شاء الله ، هذا يكون مباركًا

(١) . . . قوى .

(٢) . . . فخط .

(٣) يقصد ؛ الصيحات الشبيهة بصيحات الطير .

فقط ! وما أجابني بما وراء ذلك ، لتفرسه<sup>(١)</sup> في عدم وصولي إلى ذلك المقام .. فلما كان بعد ذلك بزمان ، وصلت إلى هذا المقام ، وعجمت<sup>(٢)</sup> أعواد الصيحات الطيرية ؛ فعلمت أن صيحات الفقير كانت صحيحة ، فعضضت بنان الندمان ، وسبحت شبه المتعجب الحيران . وعند ذلك ، أعدت عند الناس من المجانين ، إلا عند الخبير بذلك<sup>(٣)</sup> .

وهذه حالة سنيّة<sup>(٤)</sup> ، إلا أن فوقها أعلى منها ؛ وذلك مُلكُ الحالة ، فإن مُلكَ الرجل للحالة ، أقوى من مُلكِ الحالة للرجل<sup>(٥)</sup> . ووجهه<sup>(٦)</sup> : أن الرجل في الأول يفنى من اختياره في اختيار الحق ، ثم يترقى فيتصّف باختيار الحق ؛ وذلك أجلُّ من الفناء في اختيار الحق . وذلك إنما يتم إذا ابتلى وامتنح في هواجم العظمة ، وسرح في مسارح الجلال ، وسابق في ميادين الكبرياء ، وطار في هواء الهويّة حتى كسب كسوة الاتصاف ،

(١) الفِرَاسَة : القدرة على استشفاف الباطن . وفي الحديث الشريف « اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله » راجع بخصوص ذلك : كتاب الفراسة لفخر الدين الرازي .  
 (٢) يقصد : فهمت كلامها الأعجمي .. ويقال « عجمي » لكل ما ليس عربيًا ، والحيوانات يقال لها « عجموات » لأنها لا تفصح ؛ فالإعجام نقيض الإفصاح .  
 (٣) يشير الشيخ هنا إلى أنه صار محلاً لنقد غير العارفين ، مثلما كان الفقير فيما سبق محلاً لنقده . والجنون هنا مرحلة في الطريق يستند فيها الصوفية لقول النبي ﷺ : لا يكمل إيمان أحدكم حتى يقال إنه مجنون ! وقد كان الإمام الجيلاني في بعض مراحل تصوفه المبكرة ، يقال له : عبد القادر المجنون ( راجع كتابنا : عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب ، ص ٥٣ ) .

(٤) ب ، ج : شين !

(٥) يقول الصوفية : المبتدئ تملكه الأحوال ، والواصل يملك الأحوال .

(٦) يقصد ؛ وبيانه .

وخلعت عليه خلعة الاختيار ؛ فهو الخليفة - على الاستحقاق - في الطريقة ، وإليه الإشارة في قوله :

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> .

و ﴿خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup> .

و ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة النمل ، آية ٦٢ .. وفي الأصول : جعلكم خلفاء .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٦٥ - سورة يونس ، آية ١٤ - سورة فاطر ، آية ٣٩ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

### فصل : [ مشاهدات كونية ]

تبدو في الغيبة سماواتٌ وفيها كواكبٌ وشموسٌ وأقمار ، كلها أسباب اليقين ، ولكن لهذه الكواكب تفسير ومعنى ؛ فقد تكون قرآناً ، وقد تكون جواهر الأشخاص من الناس .

فإن بدت له<sup>(١)</sup> ، وهي ثابتة في سمائها ، غير هاجمة عليه ؛ فإنه يردُّ عليها ويزورها . وإن هجمت عليه ودخلت في داخله ، فإنها تردُّ عليه وتزوره .. وكبرُّها وصغرُّها ، وصفاءُها ، وخفاؤها ونورها ، وكثرتها وقلتها ، واجتماعها وافتراقها ؛ آياتٌ وعلاماتٌ على الكبر والصغر والصفاء والخفاء والنور والكثرة والقلّة والاجتماع والافتراق ، الكائنة في الزُّور .. وقد يشاهد البروج والمنازل - وما يدخلها من السبعة السيّارة<sup>(٢)</sup> - فيكون لها معنى وواقعة استقبلته ، وستدخل في الوجود .

### [ معاينة ]

غبتُ ، فرأيتُ الشمس خرجتُ من القوس ودخلتُ في الجدى .. فدخل عليّ وزيرُ أمير تلك الخطة<sup>(٣)</sup> ليزورني ، وأنا حينئذٍ في الخلوّة ، ففهمتُ أنه تواضع الأمير للفقير .

(١) أى : بدت للسيار .

(٢) هي الكواكب السبعة السبارة عند العرب : الشمس والقمر - ويقال لهما « النيران » وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد - ويقال لها الخمسة المتحيرة - لتحيرها في السير رجعة واستقامة ( كشاف اصطلاحات الفنون ص ١٢٣٥ ) .

(٣) الخطة : المنطقة .

## [ تزاور الأرواح ]

وسيرٌ هذا ، اجتماعُ الأرواح قبل الأجساد ، وزيارتها بعضها بعضاً قبل زيادة الأجساد ، لشرف الأرواح عليها . وهذا ثابتٌ في حَقِّ الناس جميعاً ، إلا أن<sup>(١)</sup> مَنْ فَسَدَ ذوقه لا يجد ذلك ، وَمَنْ عمى بصره - لاستحكام سَبِيل<sup>(٢)</sup> الوجود على البصيرة - لا يبصر ذلك ؛ إلا أن يصيب كُلُّ أحدٍ من اجتماع الأرواح بقدره .. ففي حَقِّ العامة ، الخطران بالبال والذكر باللسان ، فإذا هجم عليهم المذكور ، قالوا في المثل : إذا ذكرت الحبيبَ فهَيَّئ<sup>(٣)</sup> الزبيبَ ! معناه : أنه زارك بروحه أو زرتَه بالروح ، ستقع الزيارة بالأشخاص .. وفي حَقِّ الخاصة ، يجد في الداخل حساً أنه زائرٌ أخاه ، أو أخوه زائرٌ إيَّاه ، وأنه يجرى بينهما كذا وكذا ؛ أو يجد وقاراً يقع عليه ، فيطمئن مع أنه يذكر أخاه ، ثم يزداد قليلاً ، فيرى غَيْمًا أبيض مثل المزن<sup>(٤)</sup> يقع عليه قُدَّامه ، يضطرب ويزداد ، فيكون نوراً بين يديه يتحرك ويسطع ويأخذ النظر بالتعجب - كَمَنْ رأى شيئاً غريباً أو سمع شيئاً بديعاً غريباً ، تتحوَّل باصرته كأنه ينظر إلى شيءٍ ويديم النظر إليه من غير تحريك الأَجْفَان - وينسى حينئذٍ كُلَّ شيءٍ حتى نفسه ،

(١) - ب ، وفي الهامش وضع الناسخ علامة استفهام ، لغموض المعنى بدونها .

(٢) السَّبِيل : غشاوة تعرض للعين من انتفاخ عروقها الظاهرة في سطح الملتحمة والقرنية ( قاموس الأطباء ١/٣٤٨ ) .

(٣) ب : فهز ، ووضع الناسخ في الهامش علامة استفهام كالسابقة .

(٤) المزن : السحاب .

لا اجتماع الأسرار في عالم الأرواح ؛ فحينئذ يفهم الخاصة أنه ستجرى<sup>(١)</sup> بينهم وبين الإخوان زيارة في عالم الأشخاص ، وأن هذه زيارة الأرواح قد وقعت .

### [ واقعة ]

كنتُ في ابتداء اتصالي بخدمة الشيخ الشيخ عَمَّار البديسي<sup>(٢)</sup> متردداً في هذا الشأن ، أهو صحيح أم لا ؟ فسافر الشيخ إلى قرية ، ثم رجع إلينا ، فلما قرب من البلد وقع وقارُ الشيخ وظلُّه وهَمَّتْهُ عَلَيَّ كالجلبل ، لا أطيق أن أتحرَّك عنه ؛ فألهمتُ أنه الشيخ قد رجع ، وقرب من البلد ، فقلتُ للأصحاب : قوموا بنا إلى الشيخ نستقبله ، فقد قرب من البلد . فقالوا : مَنْ أخبرك بهذا ؟ فقلتُ : وقع عَلَيَّ وقارُه ! فضحكوا من ذلك شيه المستهزئين ؛ فلما أبصروا منى الجد قاموا معي مجرَّبين مقاتلي ، فلما<sup>(٣)</sup> خرجنا من البلد ، إذ طلع علينا الشيخ مشرفاً على تَلٍّ ، وهو راكبٌ فرساً .. فلما أبصروا ذلك ، تعجَّبوا وندموا على ما فعلوا .

### [ عودٌ للكُونيات ]

وفي حَقِّ الخاصة ، يبدو لهم شكلُ الأرواح بهيئة الشمس والقمر والخمسة المتحيرة<sup>(٤)</sup> ، وغير ذلك من الكواكب الثابتة في السماء . ولهذا

(١) .: سيجرى .

(٢) - أ ، وفي النسخة ب وضع الناسخ علامة استفهام تفيد تردده في وضع اسم : البديسي .

(٣) أ : فما .

(٤) راجع معنى « الخمسة المتحيرة » فيما سبق .



مبادئ ونهايات ؛ ففي الابتداء يبدو شبيه النقطة في الغيبة ، ثم يكبر فيكون كواكب . وقد يبدو وهو غير غائبٍ إلا أنه مُطَبَّقُ جَفْنِيَّه ، ثم يزداد فتبدو هذه الكواكب للسَّيَّار في ضوء النهار ، وهو غير مُطَبَّقِ جَفْنِيه ، فيجری على لسانه : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر<sup>(١)</sup> » ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .. » وقد يزداد ، فتكون للسَّيَّار حالة ، فتحضر الأرواح بهِمَّتَه شاءت أم أبت ؛ ثم تزداد حالته ، فيميّز بين أرواح الأحياء والأموات ، وبين أرواح الأنبياء والشهداء وسائر الناس .

إذا بدت السماء ، للسَّيَّار ، وما فيها من كواكب ؛ ولكن من فوقه ، فهو مبادئ الإشراف بأحوال العباد ، من غير أن يتصرّف فيهم . وإن بدت في نفسه ، وذاق أنها هو ، فذاك تسوية حالته مع أحوالهم .. وإن بدت السماء وما فيها من الكواكب تحته ، فذاك إشراف كامل وإعطاء التصرّف له عليهم ، ومنه يتجلّى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> ؛ وقد يكون إعطاء التصرّف ، فعلامته أنه يرى القطبين بين يديه ، والبروج والمنازل ، فيدخل يده في منزل منزل ، فيستخبر ما فيها .

### [ معانيات ]

غبتُ ، فرأيتُ عَالِمًا من علماء الدين ، والسماء بادية ذات كواكب ، فقال : أتدرى ما معنى الكواكب والشمس ؟ فقلتُ : قل !

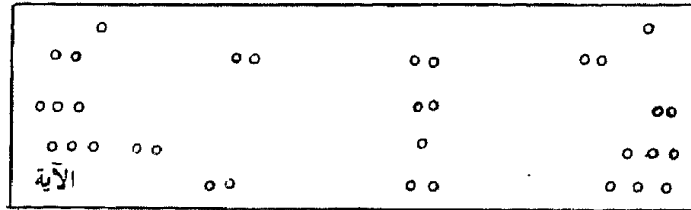
(١) هذه الصيغة الشريفة ، هي صيغة « صلاة التسابيح » التي ورد في الخبر أن النبي ﷺ دعا إلى أدائها ولو في العمر مرة .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٨ .

فقال : إن الله ينظر إلى عباده بالليل والنهار ، فالكواكب نظره بالليل والشمس نظره بالنهار .

وغبت ، فرأيتُ سماءً ذات كواكب ، ففهمتُ من كواكبها القرآن ، آية الكرسي<sup>(١)</sup> كذلك : الله ولا ، بلا حرفٍ مكتوبٍ ولا كلمة .

وغبت ، فبدت سماءً كأنها كتاب القرآن ، فيها مكتوبٌ بأشكالٍ مربعة ، بالنقط ، كذلك<sup>(٢)</sup> :



(١) آية الكرسي ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

(٢) هناك صور متعددة للشكلين ، فكل النسخ مختلفة في هيئة الشكل وصورته ، فالتشكل الأول له الصور التالية :

[٢] °° °° °° ولا	[١] الله °° °° °° ولا
[٤] ° °° °° . ولا	[٣] الله °° °° °° ولا
[٥] ° °° °° ولا	[٥] ° °° °° ولا

وهذه آية من سورة طه ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ \* إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ﴿١﴾. فكنت أفهمها وأقرأها، وألمتُ أن هذا في حَقِّ امرأةٍ أعرفها يقال لها «بَنَفْشَه» ﴿٢﴾ وكان اسمها في الغيب: استفتين.

### [ تسميات غيبية ]

والسِّيَّارُ إذا كان مقبولاً ، سَمَّوَهُ في الغيب وكنَّوَهُ ، وعرف اسم الشيطان ، والاسم الأعظم للحَقِّ سبحانه وتعالى . واسمى في الغيب

= والشكل الثاني له الصور التالية :



[٢]



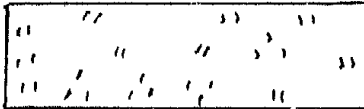
[١]



[٤]



[٣]



[٥]

.. وأعتقد أن المراد هنا ليس هو صورة الشكل ، بل مضمونه .. أعني أن يرى السِّيَّار في مشاهدته كلام الله ( القرآن ) على نحو كهذا ، دون حروف أو كلمات . وهذا لا يدهشنا اليوم كثيراً ، بعد أن رأينا فنون الاختزال وأشكال الشرائط المخترمة التي يكون فيها الكتاب مجموعاً في بضعة أمتار لا يزيد عرضها عن بوصة واحدة ، وهو لون من تجهيز الكتب للطباعة يعد اليوم من أكثر طرق الطباعة انتشاراً .. والشريط المخترم الذي يشبهه --- بل يطابق --- ما يرسمه الشيخ هنا ، يسمى اليوم عند المشتغلين بالطباعة : الشريط المخترم الممغنط .

(١) سورة طه ، آية ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) بَنَفْشَه : كلمة فارسية عُربت إلى « بنفسج » ومنها « بنفشه » بالتركية و « بِنْفَش » بالكردية .. وكلها تشير إلى النبات المشهور .

« قنطرون » وأما كُنيتي ، فكنْتُ بالإسكندرية أسمع الأحاديث على الحافظ السِّلْفِي الإصفهاني - وهو شيخُ مُسِنَّ شافعيُّ المذهب سلفيُّ الاعتقاد نيف على المائة بسنين<sup>(١)</sup> - فغبتُ ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ وهو قاعدٌ معي ثاني اثنين ، تمسُّ ركبته ركبتي عليه السلام ، وإني أُلهمتُ أن لي عليه كُلُّ يومٍ وَرْدًا من القرآن أقرأه ، فكنْتُ أقرأ وَرْدِي<sup>(٢)</sup> عليه ، فلما سكْتُ عن القراءة ، استجودها ، وقال : هكذا تسمع الأحاديث بالنهار وتقرأ القرآن بالليل .

ثمَّ أُلهمتُ حينئذٍ أن أسأله عن كُنيتي ، فقلتُ : يا رسول الله ، كُنيتي « أبو الجَنَاب » أم<sup>(٣)</sup> « أبو الجَنَاب »<sup>(٤)</sup> ؟ وكانت<sup>(٥)</sup> نفسي مائلة أن يقول « أبو الجَنَاب » بالتخفيف ، فقال : لا ، بل أبو الجَنَاب ، بالتشديد . فقال صاحبه<sup>(٦)</sup> : نَعَمْ يا رسول الله ، هو أبو الجَنَاب ! وفيهما سِرُّ الدنيا والآخرة ؛ ولو قال « أبو الجَنَاب » لكنْتُ صاحب الدنيا<sup>(٧)</sup> ، فلما قال « أبو الجَنَاب » فأكون مجتنبًا عنهما<sup>(٨)</sup> إن شاء الله .

(١) انظر ما قلناه عن الحافظ السلفي ضمن كلامنا عن شيوخ نجم الدين ، ص ٢٧ - ٤٧ .

(٢) ب : أقرأ وَرْدِي .. ثم وضع الناسخ علامة استفهام .

(٣) ب : أو .

(٤) ب ، ج : الجَنَاب .

(٥) العبارة التالية ساقطة من ب ، ج .

(٦) يقصد نفسه .

(٧) كانت لفظة « الجَنَاب » تُطلق في زمن الشيخ على أرباب السيوف والأقلام ، وهي أعلى

ما يُكتب للقضاة والعلماء من الألقاب ، وتُكتب لمن يجرى مجرى الوزراء ، ولبعض الملوك

المكاتبين عن الأبواب السلطانية ( صبح الأعشى في صناعة الإنشا ٥/٤٩٥ ) .

(٨) يقصد : الدنيا والآخرة .. فيكون المعنى : أن الله اجتباه عن الدنيا والآخرة معًا .

وأما اسم الشيطان ؛ فغبتُ ، فرأيتُه معرفته ، ثُمَّ نكَّرتُ عليه الأمر لأستمحنه : أصدق أم يكذب . فسألته : مَنْ أنت ، وما اسمك ؟ فقال : أنا رجل غريب ، واسمى يوناق ! فقلت له : بل أنت عزازيل<sup>(١)</sup> ! فوثب عليّ وقال : أنا عزازيل ، فماذا تصنع ؟ .. وجرى بيننا ما جرى ؛ من جملة ذلك أني رأيتُ ثيابي مخرطة بثيابه ، البدن بالبدن ، والأكام بالأكام . فقلت له شبيه العاجز المستخبر<sup>(٢)</sup> عن طرق النجاة : بماذا ينجو الإنسان عنك ؟ فقال : لا ينجو عنى حتى يفصل ثيابه عن ثيابه ! فجذبتُ وجذبَ حتى انقطعت ثيابه عن ثيابه ، فلما انفصلت ، عرى عن ثيابه وعمى بصره . وهذه الواقعة مفسرة لقوله عليه السلام : إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ، ألا فضيَّقوا مجاريه بالصوم<sup>(٣)</sup> . وهو معنى قوله : الإيمان عريانٌ ولباسه التقوى<sup>(٤)</sup> .. فإن التقوى ، حذرُ القلوب عن نزغات<sup>(٥)</sup> الشيطان .

### [ خرقة الصوفية ]

فاللباس الذى بقى على بدنى ، مرقعةٌ ؛ كانت ترقيع العجز والانكسار ، لا ترقيع القدرة والاستظهار . وفي هذا سرُّ لبس الخرق بين

(١) عزازيل من أسماء إبليس . وفي تفسير هذا الاسم راجع ما يقوله الحلاج ، حيث يرر كل حرف من حروف الكلمة ( الطواسين : طاسين الأزل والالتباس ) .

(٢) . المستجير .

(٣) راجع تخريج الحديث فيما سبق .

(٤) لم نجد له تخريجًا .

(٥) أ ، ج : نزعات . والنزغات جمع « نزع » وهو وسوسة الشيطان ، وفي القرآن الكريم ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ الأعراف / ٢٠٠ - فصلت / ٣٦ .

الصوفية ؛ وتعبيرها<sup>(١)</sup> ، فإن الإنسان لا يتأتى عنه في الغالب ، إلا ما يليق بصورته ؛ فإن المسلمين والمؤمنين عيونُ الله في الأرض ، فإن أبصروا أحدًا في لباس الصوفي في الخرابات<sup>(٢)</sup> - وإن كان فاسقًا - شدّدوا عليه اللوم والتوبيخ ، بل تهبج دواعيهم في الضرب والطرده ، ولو كان من أهل الخرابات ؛ وإن أبصروه بضيدّه<sup>(٣)</sup> - وإن كان في السرّ وليًا - عذروه ، اعتبارًا للمعنى بالصورة .. فإذا زالت عنه الموانع الظاهرة ، استماله اللعين برأفة الحقّ ورحمته للعاصين ، وستره عليهم ، وعسى أن يتوب عليه بعد ذلك<sup>(٤)</sup> .

### [ النفس والعصمة ]

والنفس حيّة لا تموت ، فإن مثلها مثال الأفعى : إن<sup>(٥)</sup> ذُبحت ودُقّ رأسها ذقًا ناعمًا ، ثمّ سلخ جلودها من بدنّها ، فطُبِخ لحمها وأُكل ، ومضت على جلودها سنون ، ثم وُضع في حرارة الشمس ؛ فإنه يتحرّك<sup>(٦)</sup> .

(١) يقصد : ومعناها . ويقال « تعبیر الرؤيا » لتفسير المنامات .

(٢) الخرابات ، جمع « خرابة » وهي اللفظة الفارسية لأماكن اللهو والشراب .

(٣) أى وجدوه يرتدى شيئًا غير خرقة الصوفية .

(٤) المراد هنا ، أن ارتداء خرقة الصوفية يجعل الإنسان مطرودًا من أماكن اللهو ، أما عدم ارتدائها - حتى بالنسبة للأولياء - فهو يجعل الطريق مهيأ للبقاء في مواقع اللهو ، وربما ينجح الشيطان في الميل به إلى اللهو بما يقنعه به من أن رحمة الله واسعة ، وأن الله يستر على العاصين ، وأن باب التوبة مفتوح .

(٥) أ : إذا .

(٦) يحاول الشيخ بهذا المثال الطريف أن يشير إلى أن النفس الإنسانية غير مأمونة الجانب ، ولو ارتقت وتطهرت ، فهي ليست بمنأى عن الانتكاس مرة واحدة .. وفي هذا المعنى يقول الإمام عبد القادر الجيلاني :

وكذلك النفس إذا اتصلت بها نيران الهوى والشهوة ونيران الشيطنة ،  
تحركت كذلك ؛ ثم لا تزال تظلم جوارح الأبدان ، فتسترد منها القوى  
والأغذية ، حتى تقوم . فحسم هذه المادة - حينئذٍ - بتغيير الصورة ؛  
وهذا سير قولنا : ومن العصمة أن لا تقدر<sup>(١)</sup> .

فإن العصمة قد تكون بلا واسطة - كعصمة الأنبياء والملائكة -  
وقد تكون بواسطة واحدة ؛ وقد تكون بألف وسائط ، كالسلسلة ،  
يشاهدها السَّيَّارُ النبيه اليقظان ويذهل عنها الغافل الجاهل الخيران ..  
فالأول<sup>(٢)</sup> لا يشاهد إلا رَبَّهُ ، والثاني لا يشاهد إلا نفسه ؛ فالسَّيَّارُ في  
البداية يشاهد السبب ، ثم المسبب ، ثم يألف زماناً إلى السبب والمسبب  
بعده ، حتى يشاهدهما معاً ، ثم يختار الباقي ويذر الفاني ، فلا يرى إلا  
المسبب . وهذا معنى قول بعض المشايخ ، قدس الله أرواحهم : فرأيت الله  
بعد كل شيء ، ثم رأيت مع كل شيء ، ثم رأيت قبل كل شيء<sup>(٣)</sup> .

= لا ترفعوا عصا المجاهدة عن نفوسكم ، فبدوام المجاهدات تفتح عينها وينطبق لسانها  
ويزول خبلها وجهلها، وهذا ما يجيء بمجاهدة ساعة بل يحتاج دوام ساعة بعد ساعة  
ويوم بعد يوم وسنة بعد سنة (الفتح الرباني ص ١٦٦) .

(١) يقصد : إن عدم امتلاك الفرصة كالمقدرة علي إتيان الرذيلة هو نوع من العصمة منها .  
وهو معنى قريب من قوله صلى الله عليه وسلم : من حام حول الحمى أوشك أن يواقع . ولذا نصح  
الصوفية بالابتعاد عن كل ما يقود للمعاصي ، واجتنبوا الشبهات .. وهذا معنى الورع .  
(٢) يقصد ؛ السَّيَّارُ .

(٣) هناك عدة عبارات صوفية في ذلك ، هي على الترتيب :

- ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله بعده .
- ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله .
- ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله معه .
- ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله فيه .

وذلك لاستغراقه في ذكر الله ، وفنائه في توحيده ؛ وهذا كَمَنْ شاهد شخصاً حسناً : طالع في أوائل النظر منه موضعاً موضعاً - كالوجه والقَدِّ - وما يشتمل عليه الوجه من العين والأنف والحدِّ والشم ، فيستحسنها شيئاً فشيئاً ، ويورث استحسانه حباً في داخل قلبه لصاحب الأوصاف الحسنة ، إلى أن يدور على الأوصاف كلها ، حتى إذا كمل الدوران على الأوصاف كلها ، واستحسنها ، استكمل عشقه عليه ، وأخذ بمجامع قلب الناظر ؛ ثمَّ يبقى على ذلك زماناً ، يشاهدها ويشاهد صاحبها - مع حضورٍ وتذكُّرٍ - إلى أن يفنى عن قلبه تذكُّر الأوصاف ، والمطالعة لها ، ويبقى ذكر الموصوف .. كذلك السَّيَّار : يفنى عنه تذكُّر الآيات ، ويبقى تذكُّر خالق الآيات .

### [ علامات الولاية ]

ومن علامات الولي : أن يكون محفوظاً من الله ، بتسلسل أمورٍ ، يعرفها السَّيَّار أنها سبب حفظه ، من الله عَزَّ وَجَلَّ .

ومن علاماته : افتقاد الله سبحانه إياه بأنواع الطَّافه ، وذلك لا يعدُّ ولا يُحصى - من جنس الكرامات - قبل أن يُجرى عليه مذمومٌ ، فيعرِّفه الله نقصان ذلك في حالته ، ثم يورثه ذلك رجوعاً وإنابة . أو مناماً له أو لغيره<sup>(١)</sup> ، يكون في ذلك تنبيهه له وعتاب الحق إياه على ما فعل ؛ وربما يكون توريث اليقين من المذمومات ، أقوى من توريث اليقين من

(١) يقصد ؛ أن لوم الله للولي يكون في رؤيا يراها الولي أو يراها غيره ويخبره بها .. وهي مسألة كثيرة الوقوع .



المحمودات<sup>(١)</sup> .. فإن العبد إذا أحسن خدمة سيِّده فخلع عليه سيِّده ، وإذا أساء ضربه وزجره وحبسه وقَيْده ؛ دَلَّ إحسانُ السيِّد<sup>(٢)</sup> والضربُ - في كلا الحالين - على تعلق قلب السيِّد بعبده .. والضربُ أدلُّ على<sup>(٣)</sup> الإحسان ! لأن الإحسان يجوز أن يكون مضافاً إلى خدمة العبد ، ويجوز أن يكون مضافاً إلى كرم سيِّده ، ويجوز أن يكون لتعلق قلب السيِّد به ؛ والضرب لا يدلُّ إلا على تعلق قلبه به ، ومحبته إياه ، لأجل أن السيِّد لا يطالبه إلا بالموافقة في أوامره ، وليست المحبة إلا موافقة المحبِّ المحبوب . كذلك السيِّارُ ؛ إذا عاتبه رَبُّه في منامةٍ - أو منام أخيه - أو نكبةٍ أو مصيبة ، يجد في ذلك من اليقين ما لا يجده في إحسان ربه ، إذ الإكرام والإحسان للحق صفات ، وليست العقوبة صفة له .

ومن علاماته : إجابة الدعوة . والأولياء في إجابة دعوتهم مختلفون ؛ فمنهم مَنْ تُجاب دعوته في الحال ، ومنهم في ثلاثة أيام ، ومنهم في أسبوع ، ومنهم في شهر ، ومنهم في سنة ، وأقلُّ وأكثر على قدر منازلهم من الله .. والدعوة ليست عبارة عن قولهم « رَبِّي افعل كذا وكذا » وإنما هذا دليلٌ على دعوته في قلبه . شعر :

(١) في المعنى الذى يشير إليه الشيخ نجم الدين هنا ، حديث نبوى يقول : « إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة ، يرى بين يديه تائباً فأراً حتى يدخل الجنة .. » وقد استشهد النابلسى بهذا الحديث في شرحه على قصيدة « النادرات » لعبد الكريم الجبلى ( انظر : قصيدة النادرات العينية للجبلى ، مع شرح النابلسى ، تحقيق يوسف زيدان - بيروت ص ١٥٤ ) .

(٢) العبارة التالية ساقطة من ب ، ج .

(٣) أ : عن .

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا<sup>(١)</sup>  
[ بحر الكامل ]

ومن علاماته : أن يُؤْتَى باسم الله<sup>(٢)</sup> الأعظم . وكُلُّ واحدٍ منهم يُؤْتَى اسماً عظيماً من أساميهِ ، ويدعو الله تعالى بذلك ؛ فيجيبه .

### [ عود للاسم الأعظم ]

جاء واحدٌ إلى أبي يزيد البسطامي - رضى الله عنه - فسأله عن اسم الله الأعظم ، فقال أبو يزيد : دُلّني أنتَ على الاسم الأصغر ، حتى أدلك على الاسم الأعظم ! فبهت الرجل وقال : كُـلُّ أسمائهِ عظام .

كنتُ في الخَلْوَةِ بمسجد الشونيزية<sup>(٣)</sup> ببغداد ، فرأيتُ كاعداً<sup>(٤)</sup> فيه مكتوب « افتحبحنين » فكتبته ، وجئتُ به إلى خادم البقعة فقلت له<sup>(٥)</sup> : ها<sup>(٦)</sup> اسم الله الأعظم ! فأطرق رأسه وجعل يهمس في نفسه ، فدَقَّ رجلٌ

(١) ينسب هذا البيت للأخطل ( الديوان ، نشره أنطون صالحاني - بيروت ١٨٩١ ص ٥٠٨ ) وهو يتردد كثيراً في الكتابات الصوفية للتدليل على أن المدار على القلب وليس على اللسان .

(٢) - ب .

(٣) ب : الشونيزية ؛ ج : الشونيزيه .. ويراجع معنى الكلمة فيما سبق .

(٤) الكاعد : كلمة فارسية تعنى القرطاس من الورق ( معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٣٦ ) .

(٥) الزيادة في أ « فقلت له » موضوعة بين قوسين ، كإشارة أنها ليست في الأصول المخطوطة .

(٦) أ : هاه ، ب : هاهو ، ج : هاه .

باب داره بعد ساعة ، فأذنا له ، فدخل - فما عرفنا من أين الرجل - ووضع عندنا كاغداً فيه ذهب ، فوزناها ، فإذا هي عشرة دنانير ؛ فغشي على خادم البقعة ساعة ، ثم أفاق مثل الوله الحيران ! فقلنا له : ما أصابك ؟ قال : لما قلت « هذا اسم الله الأعظم » شككت في أنه اسم الله الأعظم أم لا ، قلت في نفسي « يا رب إن كان هذا هو الاسم الأعظم ، فابعث إلينا هذه الساعة عشرة دنانير لنصرفها إلى دعوة الفقراء » فلما أبصرت الدنانير غشي عليّ .

ثم إن خادم البقعة حكى لي بعد مُدّة : إني رأيت فيما يرى النائم أشخاصاً حسبتهم ملائكة ، يقولون « إنا أعطينا فلاناً اسم الله الأعظم » وسموني . قال : فقلت لهم غيراً عليك « أعطيتموه الاسم الأعظم وما أعطيتموني » فقالوا : « إنه جاهد في الله مجاهدةً كثيرة ، وأنت ما جاهدت ؛ فلو جاهدت مثل ما جاهد فلان ، لأعطيناك مثل ما أعطيناه » .

وكما أن الولي يُؤتى باسم الله الأعظم ، كذلك يعرف اسمه وكنيته في الغيب ، وأسامي الروحانيين من الجنّ والملائكة .

### [ حصول الولاية ]

والولاية إنما تتم في الدرجة الثالثة للسَّيَّار . الدرجة الأولى « التلوين » والدرجة الثانية « التمكين » والدرجة الثالثة « التكوين » .. أو نقول : الدرجة الأولى « العلم » ثم « الحالة » ثم « الفناء عن الحالة في المحوّل » .

أو نقول : الدرجة الأولى « مشاهدة الصور » ثم « مشاهدة المعاني » ثم « الفناء عن المعاني في معنى المعاني » .  
 أو نقول : التجريد<sup>(١)</sup> ، ثم التفريد<sup>(٢)</sup> ، ثم التوحيد<sup>(٣)</sup> .  
 أو نقول : الخوف والرجاء ، ثم القبض والبسط ، ثم الأُنس والهيبة .  
 أو نقول : علمُ اليقين ، ثم حَقُّ اليقين ، ثم عَيْنُ اليقين . فعلم اليقين مكتسبٌ ، وحق اليقين حالةٌ ، وعين اليقين فناء<sup>(٤)</sup> .

(١) التجريد : أن يتجرد العبد بظاهره عن الأمراض الدنيوية ، ويباطنه عن الأعواض الأخروية ، فلا يأخذ من عرض الدنيا شيئاً ، ولا يطلب على ما ترك منها عوضاً من عاجل أو آجل ، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى عليه .. ويتجرد بسرّه عن ملاحظة المقامات التي يحلها أو الأحوال التي ينازلها ، بمعنى السكون إليها والاعتناق لها ( التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٣ ) .

(٢) التفريد : أن يتفرد الصوفي عن الأشكال وينفرد في الأحوال ويتوحد في الأفعال ، فتكون أفعاله لله وحده ، ولا يكون فيها رؤية نفس ولا مراعاة خلق .

وقيل : التجريد أن لا يَمْلِك ، والتفريد أن لا يُمَلِّك ( التعرف ص ١٣٣ ) .  
 (٣) التوحيد : أن لا يرى الصوفي إلا الله في الوجود .. وأركانه عند الصوفي سبعة ( راجع : التعرف ص ١٦٠ ) .

(٤) علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين : ثلاثة معانٍ قرآنية ، قال تعالى : ﴿ لو تعلمون علم اليقين ﴿ التكاثر/٥ ﴾ لترونها عين اليقين ﴾ التكاثر/٧ ﴿ إن هذا هو حق اليقين ﴾ الواقعة/٩٥ » . يقول القشيري :

هذه عبارات عن علوم جليلة ؛ فاليقين هو العلم الذي لا يداخل صاحبه ريب على مطلق العرف ، ولا يُطلق في وصف الحق سبحانه لعدم التوفيق . وعلم اليقين في اصطلاح الصوفية هو ما كان بشرط البرهان ، وعين اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بنعت العيان . فعلم اليقين لأرباب العقول ، وعين اليقين لأصحاب العلوم ، وحق اليقين لأصحاب المعارف ( الرسالة القشيرية ص ٨٥ ) .

أو نقول : العبادَةُ ، ثُمَّ العبودية ، ثُمَّ العبودة<sup>(١)</sup> .  
 أو نقول : طلبُ العبد ، ثُمَّ قبول الحق للعبد ، ثُمَّ الفناء في الحق .  
 أو نقول ، كما قال الحسين بن منصور<sup>(٢)</sup> : قطعُ العلائق ، ثُمَّ  
 الاتصاف بالحق ، ثُمَّ الفناء عن الحقائق في حَقِّ الحقائق<sup>(٣)</sup> .  
 أو نقول : التَعَبُّدُ ، ثُمَّ العبودية ، ثُمَّ الحرِّية .  
 أو نقول : التَذَكُّرُ ، ثُمَّ الذِّكْرُ ، ثُمَّ الاستغراق في المذكور .  
 أو نقول : فناءُ صفات العبد ، ثُمَّ فناءؤه في صفات الحق ، ثُمَّ فناءؤه في  
 ذاته .

أو نقول : عبارةٌ ، ثُمَّ إشارةٌ ، ثُمَّ غَيْبٌ<sup>(٤)</sup> .  
 أو نقول : حضورٌ ، ثُمَّ غَيْبَةٌ ، ثُمَّ إِحْضَارٌ .  
 أو نقول : شهودٌ ، ثُمَّ غَيْبَةٌ ، ثُمَّ إِشْهَادٌ .

(١) يقول أبو علي الدقاق : العبودية أتم من العبادَة ، فأولاً عبادَة ثم عبودية ثم عبودة . فالعبادة  
 للعوام من المؤمنين ، والعبودية للخواص ، والعبودة لخواص الخواص . العبادَة لمن له علم  
 اليقين ، والعبودية لمن له عين اليقين ، والعبودة لمن له حق اليقين . العبادَة لأصحاب  
 المجاهدات ، والعبودية لأرباب المكابذات ، والعبودة صفة أهل المشاهدات ( الرسالة  
 القشيرية ص ١٩٨ ) .

(٢) يقصد ؛ الحلاج .

(٣) يقصد ؛ الله عز وجل .

(٤) + أ : عبارة ثم إشارة ثم غيب . لقد استعار نجم الدين هذا القول من شيخه عمار بن محمد  
 البديسي كما يتضح من رسالته التي لا اسم لها ، نسخة شهيد على باشا ١٣٩٥  
 ورقة ٨٠ أ . حيث يقول : قال شيخنا عمار أول ما لقيته : لنا في التربية ثلاث طرق :  
 العبارة والإشارة والغيب ، العبارة للضعفاء والإشارة للمتوسطين والغيب للأقوياء .

أو نقول : التخلّى ، ثمّ التجلّى ، ثمّ التولّى .. واللّه يتولّى الصّالِحِينَ<sup>(١)</sup> .

واعلم أن السّيّارَ إنّما يوصف بالولاية ، إذا أُوتى « كُنْ » و « كُنْ » أمرُ الحق في قوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾<sup>(٢)</sup> . وإنّما يُوتى الولي « كُنْ » إذا فنيت إرادته في إرادة الحق ، فإذا فنيت إرادته في إرادة الحق ، وكانت إرادته إرادة الحق ، فما يريد الحق شيئاً إلا يريد العبد ، ولا يريد العبد شيئاً إلا يريد الحق ؛ وإليه الإشارة بقوله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وليس التلّفُظ بالكاف والنون جائزاً في حقّ البارئ سبحانه ، إنّما معناه سرعة الإيجاد فقط ؛ إنّما الكاف « كاف الكون » والنور « نوره » .. جاء في الأحاديث : يا مُكُونُ كُلِّ شَيْءٍ ، يا مَكُونُ كُلِّ شَيْءٍ .

ولهذه الأسمى ، أعنى « افتحبحنين » و « يوناق » و « قنطرون » و « استفتين » معانٍ مفهومة يعرفها مَنْ سمعها بالذوق والحالة ، فمعنى « افتحبحنين » افتحّ بحنين ! ومعنى « يوناق » المُلاطف في الحيل ، ومعنى « قنطرون » النَّهْمُ في قبول الواردات<sup>(٤)</sup> ، ومعنى « استفتين » أنّها عائشة زمانها . فإن قيل : إذا قلت إن « افتحبحنين » اسمُ الله الأعظم ،

(١) قوله تعالى : ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ الأعراف / ١٩٦ .

(٢) سورة النحل ، آية ٤٠ .. وفي الأصول « إنّما أمرنا لشيء » .

(٣) سورة التكوير ، آية ٢٩ .

(٤) الواردات : جمع « وارد » .. وهو كل ما يرد على القلب من المعاني من تعمل وتعمد

العبد ( اصطلاحات الصوفية ) .

فكيف يصحُّ أن يكون « افتح بجنين » معناه ؟ قلنا : هذا<sup>(١)</sup> عرفناه ذوقاً ،  
 لأنَّنا ذكرنا اللهَ حتى وقع الذكر إلى القلب ، فكلما سكتنا عن الذكر سمعنا  
 من القلب صوتاً كالفواق ، ثمَّ زاد حين قوى القلب من واردات العظمة  
 والكبرياء وحضوره مَحَاضِرِ الصفات الجلالية والجمالية ، وظهور الآيات  
 له ظاهراً وباطناً ، وعلى أيام الله<sup>(٢)</sup> لما شرب من كل بحرٍ حتى سَكِرَ<sup>(٣)</sup>  
 - وكان سَكْرُهُ عطشاً إلى تلك العلى والكبرياء ، وصدر عنه حينئذٍ - كلما  
 تذكر تلك العظمة والجلال - إلى اللحوق بها لعلَّو الهِمَّةِ وقدرة الطيران ،  
 كحنين الناقة والفرس . فهذا معنى « افتح بجنين » ؛ فعلى هذا ، تبين أن  
 الاسم الأعظم لكلِّ أحدٍ ، بقدر يقينه ومعرفته مَنَازِلَ الجلال ومَحَاضِرِ  
 الجمال .. قيل للرسول عليه السلام إن عيسى عليه السلام كان يمشي على  
 الماء ، فقال : لو زاد يقيناً لمشي على الهواء<sup>(٤)</sup> .

### [ شجرة اليقين ]

والتوكلُّ ثمرةُ اليقين ، والثمرةُ بقدرُ قُوَّةِ الشجرة . والتوكلُّ هو  
 الاعتماد على الحقِّ في الوعد والوعيد ، وأنه لا يفوته شيءٌ ، فلا يأسى<sup>(٥)</sup>

(١) ب ، ج : ثم .

(٢) يقول الجليلي : أيام الحق هي تجلياته وظهوره بما تقتضيه من أنواع الكماليات ، ولكل تجلٍّ  
 من تجلياته سبحانه وتعالى حكمٌ إلهي هو المعبر عنه بالشأن الإلهي .. وقوله تعالى ﴿ للذين  
 لا يرجون أيام الله ﴾ يريد به الذين لا يرجون تجليه عليهم لأنهم ينكرون وجوده  
 ( الإنسان الكامل ١/٦٣ ، ٦٤ ) .

وفي القرآن الكريم : ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ إبراهيم / ٥ .

(٣) السكر هنا بمعنى النشوة الحادثة من تجليات الله .

(٤) حديث مشهور .

(٥) .: يتأسى ، والتصحيح من هامش ب .

بما يفوت عليه ، ولا يفرح بما يأتيه ، لِمَا ينظر إلى الأصل أنه المرید وأنه المُجَازى لكل صنيع ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(١)</sup> . فَمَنْ عامله بسوءٍ فيكله إلى الله - لأنه العارف بقدر الجزاء - وإن أسدى إليه معروفًا كذلك ، بل أولى لرؤية الإحسان منه - وترجمة هذا كله ، قوله عزَّ اسمه : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> .

جاء في الحكاية ، أن رجلاً سلب عن رجل عمامته ، وهرب إلى العمارة<sup>(٣)</sup> مُشْرِقًا<sup>(٤)</sup> ، فجعل صاحب العمامة يعدو إلى المقابر مُغْرَبًا ! فقال له واحد من النظارة<sup>(٥)</sup> : يا رجل ، إن الرجل الذى سلب عمامتك يعدو إلى العمارة مشرقًا وأنت تعدو إلى المقابر مغربًا !؟ فقال : يا سليم القلب إلى أين يفر ؟ إنما أخذتُ عنه الرصد عليه ، فلا بُدَّ وأن يرجع إلى هذا المقام<sup>(٦)</sup> ! وهذا ، إشارة إلى أن يكون مَفَرَّ القلوبِ الحَقُّ ، لأنه المرجع لما سواه ؛ قال الحقُّ سبحانه وتعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) سورة الزلزلة / آية ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الحديد / آية ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) يقصد ؛ النواحي العامرة .

(٤) يعنى ؛ متجهًا إلى الشرق .

(٥) أى ؛ الذين نظروا إلى ما حدث .

(٦) + أ : حديقة الحقائق لسنائى ( نشرة طهران ١٣٢٩ ص ٦٧٣ ) أورد هذه الحكاية وإن بشكل غير هذا Georg Rosen ووجدها الأستاذ هلموت ريتز في رسالة فلسفية محفوظة في

مكتبة آياصوفيا برقم ٤٨٣٣ ورقة ٤ أ .

(٧) سورة القصص ، آية ٨٨ .



ويدخل في التوكل : التفويض والتسليم والرضا والصبر والشكر<sup>(١)</sup> ..  
وهذه كلها أوراق وغصون على شجرة اليقين .

(١) التوكل والتفويض والتسليم والرضا والصبر والشكر ، مقامات صوفية معروفة ؛ وهناك

فروق دقيقة بين بعضها ، ولذا سنتوقف عند مدلولاتها الصوفية فيما يلي :

( أ ) التوكل : هو بداية المقام وصفة العوام من المؤمنين ، حيث يكون السكون إلى وعد الله مع إسقاط التدبير ، فصاحب هذه الدرجة إذا أعطى شكر ، وإذا مُنع صبر .  
( ب ) التسليم : وهو الدرجة الوسطى ، وصفة الخواص والأولياء ، حيث يكتفى العبد بعلم الله فيه ، ويكون المنع والعطاء عنده صنوان .

( ج ) التفويض : وهو نهاية درجات مقام التوكل ، وصفة خصوص الخصوص من أهل التوحيد . وفيه يكون المنع مع الشكر ، أحب إلى العبد مما سواه .

( د ) الشكر : هو الاستعانة بالنعم على الطاعات ومواساة الفقراء ، وهو الاعتراف بالنعمة لمنزلها الحق عز وجل . والشكر يكون ظاهرًا وباطنًا ، فهو باللسان والجوارح والقلب ، فشكر اللسان « الاعتراف بنعم الله » وشكر الجوارح « الحركة في طاعة الله » وشكر القلب « الاعتقاد بأن كل المنافع الظاهرة والباطنة من الله » .

( هـ ) الصبر : هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب ، والثبات مع الله عز وجل وتلقى أمر قضائه بالرحب والسعة على أحكام الكتاب والسنة ، وهو رأس كل خير وأساس التوكل والإحسان والرضا والموافقة .

( و ) الرضا : مقام أعلى من الصبر والشكر ؛ فالمؤمن يصبر على أمر الله ، والصادق يشكر على قضائه والصدّيق يرضى ، والرضا ترك المنازعة للقدر ، وسرور القلب بمر القضاء ، وترك الاختيار مع الله . كان الإمام الجليلاني يقول لمريديه : تمّ تحت ميازيب القدر !

.. بخصوص الأحوال والمقامات السابقة يمكن الرجوع إلى بحثنا ( الطريق الصوفي ص ٨٢ وما بعدها ) كما يمكن الرجوع لأقوال الصوفية حولها ، في : الرسالة القشيرية - التعرف - كشف المحجوب - اصطلاحات الصوفية .

## [ منتهى الذكر ]

الذكر إذا وقع إلى السّرّ ، يكون الذكر عند سكوت السّيّار ، كأنه غُرزُ الإبر في لسانه .. أو أن وجهه كلّهُ لسانٌ يذكر بنورٍ فائض عنه .

## [ منتهى السير ]

السّيّار إذا صفا ، ونبت له يَدُ الهِمّةِ ؛ يجد يداً كلما غاب ، غير هذه اليد ، وهى يَدُ القلب ؛ فيها<sup>(١)</sup> يأخذ في الغيب ويعطى في الغيب ويأكل في الغيب<sup>(٢)</sup> .. وهى إذا نمت وقويت ، تمتد إلى الآيات<sup>(٣)</sup> - بين يدي السّيّار - كأنه يأخذها .

وقد تطرأ عليه حالة ، عند نهايات التحير ، أن في هذه اليد مقرعةٌ من نار ، وهى تضرب بها وجه الأرض والسماء ، كأنه يسفك دم الآيات - لشدة هجوم عساكر الآيات عليه ، وغلبة اليقين .

وقد تكون مقام المقرعة<sup>(٤)</sup> ، قارورةٌ من نبط ، كأنه نفاطٌ يريد أن يحرق بها ما في السماوات وما في الأرض .. والسّرُّ في هذا ، أن السّيّار الصادق المخلص العاشق ، لا يحجبه شيء عن المقصود والمطلوب ؛

(١) أ : فيها .

(٢) الأصل في مسألة « الأكل في الغيب » هو ما روى عن النبي ﷺ حين قال : لستُ كأحدكم ، إني أبيت عند ربى يطعمنى ويسقنى .

(٣) المقصود بالآيات هنا : الدلائل الحسية والظواهر الشاهدة على عظمة الله .. وسوف يتضح هذا المعنى فيما سيأتى من كلام الشيخ نجم الدين .

(٤) يقصد ؛ بدلاً منها .

فإذا نظر إليه ، حجبتة الآيات والعلامات عنه<sup>(١)</sup> . وقد شرب شراب الآيات والعلامات ، وسكر ، ثُمَّ عَرَبَدَ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ صحا من سكره ، ثُمَّ عاد سكراناً<sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ سئم عن شيءٍ تكرر عليه مرةً بعد أخرى ؛ فاقتضى صدقه وعشقه وإخلاصه ، طرد ما سواه<sup>(٤)</sup> من الدلائل والآيات عليه ، وإن كانت هاديات إليه . لأن المرشد والدليل إنما يُطلب عند تعمية الطريق<sup>(٥)</sup> إلى المطلوب ، أما إذا عُرف الطريق إليه ، بل عرفه ، حينئذٍ يكون الدليل والآية حجاباً يجب طرحه وطرده .. بل يكون الدليل حينئذٍ : عدو الأولياء<sup>(٦)</sup> .

والحقُّ - سبحانه وتعالى - محتجبٌ بالدلائل والآيات في عالم الغيب والشهادة ؛ أما في الغيب فبالآيات الباطنة ، وأما في عالم الشهادة فبالآيات الظاهرة . فإن عالم الشهادة مشتملٌ بنورٍ وظلمة ، وكلاهما حجابٌ ؛

(١) . عليه ؛ والضمير هنا عائد إلى المطلوب ، الذي هو الله عز وجل .

(٢) العريدة في اصطلاح الصوفية ، مرحلة يمر بها العاشق إذا امتلأ قلبه بالحب الإلهي - أو ارتوى بخمر المحبة - فهنا تكون العريدة في شكل الصياح الشديد أو التفوه بالعبارات المسماة « شطحات » وقد أشار الياقعي إلى « العريدة » بمعناها الصوفي ، في بيت شعري يعبر عن أحوال العاشقين قائلاً :

وبعضٌ عن الأكوانِ بآنٍ ، وبعضُهُم به جَاوَزَ الإسْكَارَ حَداً فَعَرَبَدَا

(٣) . سكران .

(٤) أي ؛ طرد ما سوى الله .

(٥) يقصد ؛ عدم وضوح الطريق .

(٦) راجع قصة لقاء الشيخ نجم الدين بفخر الدين الرازي في الدراسة الممهدة لهذا النص .

وكذلك عالم الغيب مشتملٌ بنور وظلمة ، وهما حجابان<sup>(١)</sup> . إلا أن النور والظلمة في عالم الشهادة اسما « النور والظلمة » في عالم الغيب ، والنور والظلمة في عالم الغيب معنيان لهذين الاسمين في عالم الشهادة ؛ وهو معنى المعاني ، وروح الأرواح ، وقلب القلوب .. والدنيا - كذلك - اسم الآخرة ، والآخرة معنى الدنيا ؛ والآخرة - بمعانيها - اسم الحق سبحانه .

والسِّيَّارُ تزداد معرفته بظهور الآيات الغيبية ، ثم تزداد معرفته بفناء الآيات الغيبية في هواجم العظمة والكبرياء ، فتكون الآيات الظاهرة ؛ ويكون تجلّي الصفات والذات ، خوارج عنده بالنسبة إلى الآيات الغيبية . ثم يستقيم ، حتى يصير الاسم والمعنى عنده سواء ، فيكون تحيُّره عند النظر إلى الآيات ، حسب تحيُّره في عالم الكشف عند النظر إلى الآيات الغيبية ، وكذلك عند تجلّي الصفات والذات ، إلا أنه يدري أن اليقين نبت عن المعنى - لا عن الاسم - فلا يزال يدعو تَحَلُّقَ اللَّهِ عَزَّ اسْمُهُ إِلَى الآيات الغيبية ، ولا يندبهم إلى الآيات الظاهرة - وإن كانت عنده سواء - لعلمه أن يقينهم لا يزداد إلا بهذا الطريق .. والمقصود ؛ تحصيل اليقين ، وزيادة المعرفة .

### [ قاعدة ذوقية ]

ولهذا ، لا تصحُّ<sup>(٢)</sup> التربية والشيخة ، إلا لمن سلك الطريق وأبصر المذموم والمحمود في الغيب ، وقاسى بلاء هواجم العظمة ، من الهيبة

(١) في الحديث الشريف : إن لله تعالى سبعين حجاباً من نور وظلمة ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره ..

(٢) . . . يصح .

والموت والفناء . ولا يصح للمجذوب ، فإن المجذوب وإن ذاق المقصود ، ولكن لم يذق الطريق إلى المقصود ، فلم يصلح للتربية والمشيخة ؛ لأن التربية والمشيخة هما<sup>(١)</sup> الدلالة والخفارة في الطريق<sup>(٢)</sup> .

### [ التَحْيِيرُ ]

وإذا انتهى السَّيَّارُ إلى التَحْيِيرِ<sup>(٣)</sup> ، بعد قضاء وطره من الآيات الظاهرة والباطنة ، وتجلَّى الصفات والذات ؛ واشتدَّ شوقه إليه : صارت السماء والأرضُ حَبْسًا وسَجْنًا وبثْرًا وصرْحًا وقلْعَةً ، وهو محبوس فيها . كلما قصد ، عَلَّ<sup>(٤)</sup> يجد مفرًّا ومخلِّصًا ومخرِّجًا تستقبله<sup>(٥)</sup> الآيات والعلامات من السماء والأرض ، وما فيهما من كل شيءٍ : نارٍ ونورٍ وحيوانٍ ونباتٍ وْحَجَرٍ ومَدْرٍ<sup>(٦)</sup> ، وما يخرج منها .. فتارة توافقه الآياتُ في التَحْيِيرِ ،

(١) .: هو .

(٢) الخفارة في اللغة : الحراسة .. والمراد بها هنا : حفظ نفوس المريدين من الآفات ورعاية سيرهم إلى الله .

وبخصوص الشروط الواجب توافرها في الشيخ المرئى ، وما يجب عليه تجاه المريد ؛ يمكن الرجوع إلى رأى الإمام عبد القادر الجيلانى فى بحثنا : الطريق الصوفى ص ٤٧ وما بعدها .

(٣) التَحْيِيرُ ؛ حال صوفى يكون للكامل من الأولياء .. وترد هذه اللفظة كثيرًا فى كلام الصوفية وأشعارهم ، ففى كلام ابن عربى « ما ثم إلا حيرة » وفى شعر ابن أبى الفارض :

زِدْنِي بِفَرْطِ الْحُبِّ فَيْكَ تَحْيِيرًا      وَارْحَمْ حَشَا بِلَطْفِي هَوَاكَ تَسْعِرًا

(٤) .: هل .

(٥) .: مستقبله .

(٦) المدر ؛ قطع الطين اليابس ( لسان العرب ٤٥٤/٢ ) .

وتارةً توافقه في الحزن حتى يحسّ منهنّ البكاء ، وتارةً تقول « هَلُمَّ إِلَيْهِ »  
وتارةً يسمع من كل واحدة « تعالِ إِلَيَّ فانظُرْ وعدِّ ما فَيَّ من العجائب »  
وكلُّها عجائب - ولو حشيشة على الأرض أو ذرَّة في الهواء<sup>(١)</sup> - وتارةً  
تزداد غيرَةُ السَّيَّارِ وهَمَّتُهُ ، فتدخل الآيات فيه أو يدخل فيهنَّ ، أو تنتثر  
عليه كواكب السماء ، أو السماء تنزل عليه ، أو يذوق أن السماء في  
صدره ، أو يرى أنه فوق السماء ومع ذلك ينظر إلى الأرض ، فربما تصير  
الأرض منادمة له ، فتقول : انظُرْ إِلَيَّ ، وما فَيَّ من العجائب ، وكيف  
أكرمك الله أن تمشي من فوق وأنا أُمُّك ، وأنا أكبر منك ؛ وعلى ماذا أنا  
قائمة ؟ وتارةً تصير مثل البحر تموج بين يديه ، وكأنه على وجه الماء لم  
يغرق ؛ وإنما تتمثل بحرًا إذا لم يسمع إلى كلامها ، أو سمع إلى حَدِّ يتحير .  
ولا يزال ينظر إليها ، إلى أن يخرج عليه سُكَّان الأرض من  
الروحانيين ، فيحملون عليه ، لكنه يتحصَّن بحصن الصدق والإخلاص  
فلا يظفرون عليه .. وفي العاقبة ، تفنى الأرض في دائرة القدرة .  
فالمقصود ، أنه إذا اشتدَّت غيرَةُ السَّيَّارِ وَعَلَّتْ هَمَّتُهُ ، حَلَّ له الضرب

(١) يتفق ما يتحدث عنه الشيخ هنا مع ما اكتشفه العلماء مؤخرًا بعد ظهور تخصُّص  
الطبيعيات الدقيقة ( ميكرو فيزياء ) حيث أمكن مشاهدة ما هو داخل الذرات من عوالم  
متحركة مليئة بالصور العجيبة .

والخيرة التي يتحدث عنها الشيخ نجم الدين هنا ، وصل إليها علماء الطبيعيات  
المعاصرة ، حين اكتشفوا أن قوام المادة هو جزئيات نشطة تتحرك بسرعة رهيبه ولا يمكن  
التنبؤ بمساراتها ، وهو ما صاغه « هيزنبرج » تحت اسم : مبدأ اللاتحديد . انظر ؛  
د / ماهر عبد القادر : فلسفة العلوم ، المشكلات المعرفية ( بيروت )  
ص ١٥٢ وما بعدها .

في وجوه الآيات والعلامات - من طريق الحالة لا من طريق العلم والاختيار - وذلك الضرب بيد الهمة ، لا بيد الجثة .

### [ مقامات لا محدودة ]

ثُمَّ لهذه الحالة بدايات ونهايات ؛ فالبداية المنام ، ثم الواقعة - وهى بين اليقظة والمنام - ثُمَّ الحالة ، ثُمَّ غلبات الوجد والوجدان ، ثُمَّ مشاهدة القدرة ، ثُمَّ الاتصاف بها ، ثُمَّ التكوين بعدها كلها .. ولو أخذنا في تفصيل ما وجدته السَّيَّارُ في سيره ، لضاق البياض عن تحريرها ؛ لأن كَشَفَ الآيات نِعْمَ الحق - سبحانه - ظاهراً وباطناً ، وهو مما لا يعدُّ ولا يُحصى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾<sup>(١)</sup> .

وإن كان السَّيَّارُ ، يصل إلى مقام يقال له « قِفْ » لا من طريق الحرف والصوت ، بل من طريق الوصل والفصل . ومعنى قولنا « من طريق الوصل والفصل » وصول السَّيَّارِ إلى جَنَابِ عِزَّةِ الوحدانية ، وانفصاله عن أحكام البشرية ؛ وذلك أمرٌ لا يطيقه البشر ، بل لا تطيق الألسن وصفها .. ففيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا حَظَرَ على قلب بشر<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة إبراهيم ، آية ٣٤ .

(٢) عبارة نبوية مشهورة في وصف الجنة . راجع نص الحديث في : البخارى ، بدء الخلق ٨ ، تفسير ٣٢ ، توحيد ٣٥ ، ومسلم ، الإيمان ٣١٢ ، الجنة ٢ - ٥ . والترمذى ، تفسير ٣٢ ، ٥٦ . وابن ماجه ، الزهد ٣٩ ، وابن حنبل ، المسند ٢٣٤/٥ .

لَقَدْ طُفَّتْ فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ<sup>(١)</sup> كُلِّهَا  
 وَصَيَّرَتْ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ  
 فَلَمْ أَرِ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ  
 عَلَى ذَقْنِي أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ<sup>(٢)</sup>

[ الطويل ]

فلا ينقطع رُسُلُ الحقِّ سبحانه عنه ، والعياذ بالله ! بل تأتيه في كل  
 حين وزمان .. وهى أطفاه وتنبهاته وإشاراته .

[ ختام ]

فما ذكرنا من الآيات والإشارات والعلامات ، نتائج معاملة العبد  
 المعبود - من المذموم والمحمود - وأحكام صحبته إياه . وهى كالأتمودج  
 للقاصدين إلى الله سبحانه وتعالى ، ليعلموا ذوقَ الدائقين ، وعشقَ  
 العاشقين ، ونورَ العارفين ، ونارَ المحبين ، وسرعةَ المشتاقين ، ووجدَ  
 الواجدين ، وثمراتِ المكاشفين ، وكشَفَ المجاهدين ، وأسرارَ المناجين ،  
 وأسلوبَ الناجين .

(١) المعاهد : جمع « معهد » وهو الموضع الذى عهدته أو عهدت هوى لك فيه أو كنت  
 تعهد به شيئاً ( لسان العرب ٢/٩١٥ ) .

(٢) + أ : أورد هذين البيتين أبو الفتح الشهرستانى فى كتاب نهاية الإقدام ( طبعة  
 اكسفورد ص ٣ ) دون أن يذكر اسم من قالهما . ويقول ابن خلكان فى كتاب  
 « وفيات الأعيان » فى ترجمة الشهرستانى إنهما ينسبان فى بعض المصادر إلى أبى بكر محمد  
 ابن ماجه المعروف بابن الصائغ الأندلسى المتوفى سنة ٥٣٣ أو ٥٢٥ هـ . وعمر بن قاسم  
 فى كتابه « روض الأخبار » ينسبهما إلى الشهرستانى .



وسميُّ الكتاب « فوائح الجمال وفوائح الجلال » تذكراً للمنقطعين  
إلى الله تعالى ، وتبصرةً للمخلصين .

وأسألُ اللهَ العفوَّ والعافيةَ في الدنيا والآخرة ، والمغفرةَ والرحمةَ لجميع  
أُمَّةِ محمدٍ عليه السلام ، ولمن قال « لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله »  
والهدايةَ لجميع خَلقه .. إنه الكريمُ المَنَّانُ ، المجيدُ الحَنَّانُ . والحمد لله ،  
وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .

★ ★ ★

## فهارس التحقيق<sup>(\*)</sup>

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث الشريفة والقدسية
- فهرس الأعلام
- فهرس المفردات
- فهرس القوافي
- فهرس المواضع
- فهرس المواضيع

---

(\*) الأرقام الواردة بين القوسين ، تشير إلى هوامش النص المحقق .

## فهرس الآيات القرآنية

[ أ ]

- أخذتهم الصيحة والرجفة ..... ٢٢٦  
 - إذ أبق إلى الفلك ..... (١٤١)  
 - الحى القيوم ..... ٢٠٩  
 - إلا من أتى الله ..... ٢٢٩  
 - ألسنت بربكم ..... ١٣٨  
 - الله الذى خلق سبع سموات ..... ٢٠٣  
 - الله لا إله إلا هو ..... ٢٣٩  
 - الله الواحد القهار ..... ٢٢٦  
 - الله نور السموات والأرض ..... ١٧٢  
 - الله يتوفى الأنفس ..... (١٣٠ - ١٤٩)  
 - ألم تروا كيف خلق الله ..... ٢٠٣  
 - إن هذا هو الحق ..... ٢٤٩  
 - إنما قولنا لشيء ..... (١٥٩) ٢٥١  
 - إني جاعل فى الأرض خليفة ..... ٢٣٣

[ ت ]

- تسبح له السموات السبع ..... (٢٠٣)

[ ث ]

- ثم استوى على العرش ..... (٢٠٥)  
 - ثم استوى إلى السماء ..... (٢٠٣)  
 - ثم قست قلوبكم ..... (٢١٩)

[ خ ]

- خلائف الأرض ..... ٢٣٣

## [ ش ]

١٨٨ - شديد العقاب ذى الطول .....

## [ ظ ]

١٢٨ - ظلمات بعضها فوق بعض .....

## [ ع ]

(١٣٧) - عليها ملائكة غلاظ .....

## [ غ ]

(١٨٨) - غافر الذنب .....

## [ ف ]

(٢١٩) - فاتقوا النار .....

٢٢٧ - فاستقم كما أمرت .....

(١٨٥) - فألهمها فجورها وتقواها .....

(١٤١) - فبعزتك لأغوينهم .....

٢٥٣ - فمن يعمل مثقال ذرة .....

## [ ق ]

٢٠٢ - قل الروح من أمرى .....

(٢٠٣) - قل من رب السموات .....

(٢١٩) - قوا أنفسكم وأهليكم نارا .....

## [ ك ]

٢٥٣ - ٢٢٥ - ١٩٧ - كل شيء هالك إلا وجهه .....

## [ ل ]

- لا أقسم بيوم القيامة ..... (١٧٢)  
 - لا تبقى ولا تذر ..... ١٢٧  
 - لترونها عين اليقين ..... (٢٤٩)  
 - لقد كنت في غفلة ..... (١٣٠)  
 - للذين لا يرجون أيام الله ..... (٢٥٢)  
 - لمن الملك اليوم ..... ٢٢٥  
 - لو تعلمون علم اليقين ..... (٢٤٩)

## [ م ]

- ما أصاب من مصيبة ..... ٢٥٣  
 - مرج البحرين يلتقيان ..... ٢٢٨  
 - من كان يريد العزة ..... ١٧٢

## [ ن ]

- نور على نور ..... ١٢٧ - ١٦٨

## [ و ]

- وألقيت عليك محبة منى ..... ٢٤٠  
 - واعتصموا بحبل الله ..... (١٩٩)  
 - وإلهكم إله واحد ..... ١٣٦  
 - وإن تعدوا نعمت الله ..... ٢٦٠  
 - وبشر الصابرين ..... ٢٢٧  
 - وترى الجبال ..... ١٢٩ - ١٩٢  
 - وجعلنا لهم سمعا ..... ١٢٢  
 - وذكرهم بأيام الله ..... ٢٥٢  
 - وكان بالمؤمنين رحيما ..... ٢٠٥  
 - وعلم آدم الأسماء ..... ١٣٨

- وكلا نقص عليك ..... ٢٢٦  
 - ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ..... ١٧٢  
 - وما أبرئ نفسي ..... (١٦٢)  
 - وما تشاءون إلا أن يشاء الله ..... ٢٥١  
 - ومن كل شيء خلقنا ..... ٢٢٤  
 - ونفخ في الصور ..... (٢٢٦)  
 - وهو القاهر فوق عباده ..... ٢٣٨  
 - وهو يتولى الصالحين ..... ٢٥١  
 - ويجعلكم خلفاء ..... ٢٣٣  
 - ويسبح الرعد بحمده ..... (٢٢٩)

[ ى ]

- يا أيها النفس المطمئنة ..... (١٦٢)

## فهرس الأحاديث

[ أ ]

- الإيمان عريان ..... ٢٤٢  
 - الإيمان يمان ..... (١٧٤)  
 - الخوف والرجاء جناحا الإيمان ..... ١٨٧  
 - اللهم اغسلنى بماء الثلج والبرد ..... ٢١٧  
 - الوضوء سلاح المؤمن ..... (١٢٤)  
 - املك عليك لسانك ..... (١٢٤)  
 - إن الشيطان يجرى ..... (١٢٣)  
 - إن لله سبعين حجاً ..... (٢٥٧)  
 - انى أبيت عند ربي ..... (١٤٩)

## [ ب ]

٢٢٥ - بنى الإسلام على خمس .....

## [ ح ]

(٢١٨) - حيب إلى من دنياكم .....

## [ ش ]

٢٢٧ - شيتنى سورة هود وأخواتها .....

## [ ص ]

١٨٧ - الصراط أدق من الشعرة .....

## [ ع ]

(١٥٩) - عرفت ربي برنى .....

## [ ف ]

(٢٦٠) - فيها ما لا عين رأت .....

## [ ك ]

(٢٠٧) - كأن نبلهم .....

١٧٧ - كذب من ادعى محبتي ( قدسى ) .....

## [ ل ]

٢٣٢ - لا يكمل إيمان أحدكم .....

٢٥٥ - لست كأحدكم .....

(١٨٥) - لكل امرئ شيطان .....

(١٦٣) - لو تقدمت شراً .....

## [ م ]

- ما زال عبدي يتقرب إليَّ ( قدسى ) ..... ( ١٥٠ - ١٦٧ ) - ٢٠٥  
 - من أخلص لله ..... ( ٢١٢ )  
 - من رآني في المنام ..... ( ١٥٢ )  
 - من سره أن يسلم ..... ( ١٢٤ )  
 - من صافح عليا دخل الجنة ..... ١٣٨

## [ هـ ]

- هم القوم لا يشقى بهم جليس ..... ١٨٦

## [ ي ]

- يا مكوّن كل شيء ..... ٢٥١  
 - يا موسى إنا كلمناك ( قدسى ) ..... ٢٢٦  
 - ينزل الحق تعالى ..... ( ١٣٧ )

## فهرس الأعلام

## [ أ ]

- إبراهيم حلمى القادري ..... ( ١٤٤ )  
 - ابن سيرين ..... ( ١٥٢ - ١٥١ )  
 - ابن سينا ..... ( ١٦١ - ١٣٠ )  
 - ابن عربى ..... ( ٢٠٤ - ١٤٠ )  
 - ابن الفارض ..... ( ٢١١ )  
 - ابن الفرغانى ..... ( ١٧٠ )  
 - أبو بكر الواسطى ..... ١٦٩  
 - أبو الجناح ..... ٢٤١  
 - أبو الحسن الخرقانى ..... ( ١٤٠ )



- أبو الحسين النورى ..... ١٩٢  
 - أبو ثور ..... (١٢٤)  
 - أبو محمد النيسابورى ..... (١٩٨)  
 - أبو النجيب ..... ( انظر : سهروردى )  
 - أبو نعيم الأصفهاني ..... (١٤٧)  
 - إخوان الصفا ..... (١٥٧)  
 - أرطميديوس ..... (١٥٢ - ١٥١)  
 - إسرائييل ..... ٢٢٨  
 - استفتين ..... ٢٤٠ - ٢٥١

[ ب ]

- البحترى ..... (١٩٨)  
 - البسطامى ..... (١٥٤ - ٢٠٦ - ٢٤٧)  
 - بنفشه ..... ٢٤٠  
 - البوصيرى ..... (١٤١)

[ ت ]

- التهانوى ..... (١٥٢)

[ ج ]

- الجنيد ..... ١٢٤ - ١٢٥ (١٣٢) ١٨٠ - ١٩١ -  
 ١٩٢ - ٢٠٢ - ٢١٣ - ٢٣٠  
 - الجيلاني ..... (١٣٩ - ١٧٦ - ٢٣٢ - ٢٤٣ - ٢٥٨)  
 - الجيلي ..... (١٤٠ - ١٤٣ - ١٦٧ - ١٧٠ -  
 ١٧٦ - ٢٠١)

## [ ح ]

- الحافظ السلفى ..... ٢٤١
- الحضرمى ..... ١٤٧
- الحلاج ( حسين بن منصور ) ..... (١٤٧) ١٧٩ - ١٨٢ (١٩٧ - ٢٤٢)
- حنين بن إسحاق ..... (١٥١)
- حى بن يقطان ..... (١٦١)

## [ ر ]

- رابعة العدوية ..... ١٢٥
- الرسول ( ﷺ ) ..... ١٤٤ - ٢٠٥ - ٢٤١
- روزبهان ..... (١٧٩)

## [ ز ]

- الزبير ..... ١٥٣ - ١٦٠

## [ س ]

- السلمى ..... (١٢٤)
- سمون المحب ..... ١٧٧
- سنأى ..... (١٤٣)
- السهروردى ( أبو حفص ) ..... (١٢٣ - ٢١٢)
- السهروردى ( أبو النجيب ) ..... ٢١٣ - ٢٢٩
- السهروردى ( الاشراق ) ..... (١٣٠)
- سهل التستري ..... ١٢٣ - ٢٢٣ - ٢٢٧

## [ ع ]

- عبد الرحمن جامى ..... (١٤٧)
- عبد القادر الجيلانى ..... ( انظر الجيلانى )
- عبد الهادى السودانى ..... (٢٠٤)
- عزازيل ..... ٢٤٢
- عمار ( البدلىسى ) ..... ٢١٢ - ٢٣٧ - (٢٥٠)
- عيسى ( عليه السلام ) ..... ١٤٣ - ١٥٨

[ غ ]

- الغزالي ..... (١٢٣ - ١٤٣ - ١٦١)

[ ف ]

- فرويد ..... (١٥٢)

- فريد الدين العطار ..... (١٢١)

[ ق ]

- القاشاني ..... (١٤٣ - ١٥٩ - ٢٠٠)

- القشيري ..... (١٩٨)

- قنطرون ..... ٢٤١ - ٢٥١

[ م ]

- مجد الدين البغدادي ..... (١٤٧)

- المكي ( أبو طالب ) ..... (١٤٣)

- موسى ، عليه السلام ..... ٢٢٦

[ ن ]

- النابلسي ..... (١٥١)

[ هـ ]

- الهجویری ..... (١٩٨)

- الهمداني ..... (١٤٠)

[ ی ]

- اليافعي ..... (٢٥٦)

- يوسف ، عليه السلام ..... ١٣٣

- يونانق ..... ٢٤٢ - ٢٥١

## فهرس المفردات

[ أ ]

٢١٩	.....	آبار الطبيعة
٢٤٦	.....	إجابة الدعوة
٢٥٣ - ٢٤٦	.....	إحسان
٢٥٠	.....	إحضار
٢٠٨ - ١٤٢	.....	إخلاص
١٦٦	.....	أرباب القلوب
٢١٢	.....	أربعينية
٢١٩ - ٢١٨ - ١٥٧ - ١٢٨	.....	أركان
٢٣٧ - ٢٣٦ - ٢٠١	.....	أرواح
١٩٣ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٥ - ١٣٠	.....	استغراق
٢٥٠ - ٢٤٥ - ٢١٤ - ٢٠٦	.....	
١٨٠	.....	استهلاك
٢٠١	.....	استواء
٢٠٥ - ٢٠٣ - ٢٠٢ - ٢٠١	.....	أسرار الحروف
٢٢٩ - ٢٢٨ - ٢٢٤ - ٢٢٣ - ١٧٦	.....	الاسم الأعظم
٢٥١ - ٢٤٨ - ٢٤٧ - ٢٤٠ - ٢٣١	.....	
١٢٢	.....	أغيار
١٣٩ - ١٣٨	.....	إهام
٢١٢ - ٢٠٦ - ١٩٤ - ١٩٣ - ١٨٧	.....	أنس
٢٤٩ - ٢٣٠	.....	
٢٥٢ - ٢٢٦	.....	أيام الله
٢٢٩ - ١٢٣	.....	إيوان

[ ب ]

٢٣٨	.....	بروج -
٢١٩	.....	بروج الوجود -
(١٣٢)	.....	بروق -
١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٢	.....	بسط -
١٩٣ - ٢٣١ - ٢٤٩	.....	
١٣١ - ١٤٩ - ١٧١ - ٢٠٧ - ٢٣٦	.....	بصيرة -
١٨٥ - ١٨٧ - ١٩٤ - ١٩٥	.....	بقاء -

[ ت ]

(١٧٠)	.....	تثليث -
٢٤٩	.....	تجريد -
١٦٢ - ١٦٧ - ٢٥١	.....	تجلى -
١٦٢ - ٢٥١	.....	تجلى -
٢٥٤	.....	تسليم -
١٩٩ - ٢٣٨	.....	تصرف -
٢٠٠	.....	تفرقة -
٢٤٩	.....	تفريد -
٢٥٤	.....	تفويض -
١٤٦ - ١٤٧	.....	تكليف -
١٩٩ - ٢٤٨	.....	تكوين -
١٣١ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٣ - ٢٤٨	.....	تلوين -
١٣٢ - ١٨٨ - ١٩٣ - ٢٤٨	.....	تمكين -
٢٤٩	.....	توحيد -
٢٥٤	.....	توكل -
٢٥١	.....	تولى -

## [ ج ]

١٣٢	.....	جبل قاف
٢٣٥	.....	الجدى
١٦٩	.....	ال جذب
٢٠٠ - ١٦٧	.....	جمعية
٢٠٠	.....	جمعية الجمعية
٢١٨ - ٢١٧	.....	جمود
٢٣٢	.....	جنون
١٢٣	.....	جوع
٢١٧	.....	الجوع الكلبى

## [ ح ]

١٩٢ - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٣٤ - ١٣١	.....	حال (أحوال)
٢١٨ - ٢٠٥ - ١٩٧	.....	
٧٥٦ - ٢٣١ - ٢١٤ - ٢٠٨ - ١٧١	.....	حجاب (حُجَب)
٢٥٧	.....	
(١٤٨)	.....	حزب
٢٣١ - ٢٣٠	.....	حزن
٢٠٨	.....	حضرة
٢٢٣	.....	حضرة الهوية
٢٥٠ - ٢٢٨ - ٢٢٠ - ١٦٠	.....	حضور
٢٤٩	.....	حق اليقين
١٤٧	.....	حلولى
٢٠٠	.....	حواس الغيب
٢١٠	.....	حواس القلب
٢٥٨ - ٢٥٧ - ٢٥٥ - ١٧٩	.....	حيرة (تَحِيرُ)

[ خ ]

- ١٤٣ - ١٤١ - ١٣٨ - ١٣٧ - ١٢٥ ..... - خاطر (خواطر)
- ٢٢٠ - ١٤٥ - ١٤٤
- ٢٤٣ ..... - خرابات
- ٢٤٢ ..... - خرقة الصوفية
- ٢١١ ..... - خلع العذار
- ١٦٤ - ١٥٦ - ١٥٥ - ١٣٧ (١٢٤) ..... - خلوة
- ٢١٣ - ٢١٢ - ٢١١ - ٢١٠ - ٢٠٧
- ٢٤٧ - ٢٣٥ - ٢٢٠
- ٢١٨ - ٢١٧ ..... - خمود
- ٢٤٩ - ١٩٤ - ١٨٩ - ١٨٨ - ١٨٥ ..... - الخوف (والرجاء)

[ د ]

- ١٧٢ - ١٧٠ - ١٦٥ - ١٦٤ - ١٦٣ ..... - الدوائر
- ٢٥٩ - ٢٠٥ - ٢٠٣ - ١٧٣

[ ذ ]

- ١٤٢ - ١٣٧ - ١٣٣ - ١٢٨ - ١٢٧ ..... - ذكر (أذكار)
- ١٥٩ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٦ - ١٥٥
- ٢٠٩ - ٢٠٧ - ١٧١ - ١٦١ - ١٦٠
- ٢٢٣ - ٢٢٠ - ٢١٤ - ٢١٣ - ٢١٢
- ٢٥٥ - ٢٥٢ - ٢٥٠ - ٢٢٨
- ١٥٥ ..... - ذكر الوجود
- ١٩٩ - ١٤٩ - ١٤٥ - ١٣٨ - ١٣١ ..... - ذوق

[ ر ]

- ١٤٤ ..... - رابطة

١٥٢	.....	- رقباء الغيب
١٦٤ - ١٥٩	.....	- روح القدس
[ ز ]		
١٧٤	.....	- زحل
١٧٥	.....	- الزهرة
[ س ]		
٢٣٦	.....	- سبل
١٩٩ - ١٨٣ - ١٧٤ - ١٦٠ - ١٥٩	.....	- سر ( أسرار )
٢٤٣ - ٢٤٢ - ٢٣٧ - ٢٢٨ - ٢٠١	.....	
٢٥٥	.....	
١٨٥	.....	- سفر
١٥٢	.....	- سفسطى ( = سوفسطائى )
١٢٩	.....	- سفينة
٢٥٦ - ٢٥٢	.....	- سُكر
١٣٦	.....	- سكينه
١٩٢ - ١٩١	.....	- سماع
١٧٤	.....	- سهيل
(١٣٢)	.....	- سواطع
١٢٧ - ١٣١ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٩	.....	- سيار
١٧١ - ١٦٠ - ١٥٩ - ١٥٤ - ١٥٠	.....	
١٧٨ - ١٧٦ - ١٧٥ - ١٧٣ - ١٧٢	.....	
١٨٩ - ١٨٨ - ١٨٧ - ١٨٥ - ١٧٩	.....	
٢٠٦ - ٢٠٣ - ٢٠٢ - ١٩٩ - ١٩٨	.....	
٢١٧ - ٢١٤ - ٢١٢ - ٢٠٩ - ٢٠٨	.....	
٢٣١ - ٢٣٠ - ٢٢٨ - ٢٢٦ - ٢١٩	.....	
٢٤٦ - ٢٤٥ - ٢٤٤ - ٢٤٠ - ٢٣٨	.....	
٢٥٩ - ٢٥٧ - ٢٥٥ - ٢٥١ - ٢٤٨	.....	
٢٦٠	.....	



[ ش ]

- ٢٥٦ ..... شطح -  
 ٢٠٧ - ١٩٧ - ١٩٥ ..... شوق -  
 ٢٤٧ - ١٧٧ ..... الشونيزية -  
 ١٥٥ - ١٤٦ - ١٤٥ - ١٤٤ - ١٢٣ ..... شيخ -  
 ٢١١ - ٢١٠ - ٢٠٨ - ١٨٧ - ١٦٤ .....  
 ٢٣٠ .....  
 ١٧٢ - ١٧١ ..... شيخ الغيب -

[ ص ]

- ١٩٥ (٢٠٤) ..... صحو -  
 ١٨٣ ..... الصفة -  
 ٢٢٦ - ١٥٨ ..... صعق -  
 (١٢٤) ..... صمت -

[ ط ]

- ١٨٨ ..... طيار -

[ ظ ]

- ١٢٢ ..... ظلام الوجود -

[ ع ]

- ٢٢٨ ..... عالم الحدوث -  
 (١٧٤) ..... عالم الدر -  
 ١٦٥ - ١٥٠ - ١٣٩ - ١٣٥ - ١٣٣ ..... عالم الشهادة -  
 ٢٥٦ - ٢٢٠ - ٢١٤ - ١٧٨ - ١٧٦ .....  
 ٢٥٧

٢٥٧ - ٢٥٦ - ١٧٨ - ١٧٦	.....	عالم الغيب
٢٢٨	.....	عالم القدم
١٥٠	.....	عامى
٢٥٠	.....	عبادة
٢٥٠	.....	عبودة
٢٥٠	.....	عبودية
٢٥٦	.....	عريدة
٢٢٠ - ٢٠١ - ٢٠٠	.....	عرش
١٢٥	.....	عرش الشيطان
١٩٦ - ١٩٥	.....	عرفان
٢٤٤	.....	عصمة
١٩٨ - ١٨٣ - ١٨٢ - ١٨١ - ١٣٤	.....	عشق
٢٠٧	.....	
١٧٥	.....	عطارد
١٥١	.....	علم التعبير
٢٤٩	.....	علم اليقين
٢٤٩	.....	عين اليقين

## [ غ ]

١٦٤ - ١٦٣ - ١٦٠ - ١٥٩ - ١٤٤	.....	غيب ( غيبة )
٢٣٥ - ٢١٩ - ٢٠٥ - ١٧٤ - ١٧٢	.....	
٢٥٠ - ٢٤٢ - ٢٤٠ - ٢٣٩ - ٢٣٨	.....	
٢٥٥	.....	

## [ ف ]

٢٣٢	.....	فراصة
١٩٥ - ١٩٤ - ١٨٣ - ١٧٨ - ١٥٨	.....	فناء
٢٤٨ - ٢٤٥ - ٢٣٢ - ٢٢٥ - ٢٠٠	.....	
٢٥٨ - ٢٥٠ - ٢٤٩	.....	

## [ ق ]

- ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٣ ..... قبض -  
 ٢٤٩  
 ١٧٦ ..... قدرة -  
 ١٣٣ ..... القدم والحدوث -  
 ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٦ ..... قلب -  
 ١٨٦ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٩ - ٢٢٠  
 ٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٥٢ ..... القوس -  
 ٢٣٥

## [ ك ]

- ١٤١ - ٢٤٥ ..... كرامات -  
 ١٤٩ ..... كشف الغطاء -  
 ١٢٩ ..... كيمياء -

## [ ل ]

- ٢٢١ ..... لسان الحال -  
 ١٣٢ - ١٣٣ - ١٥٩ ..... لطيفة -  
 ١٣٥ ..... اللعل -  
 (١٣٢) ..... لوامع -

## [ م ]

- ١٢٢ (١٢٣) - ١٣١ - ١٦٤ - ١٥٢ ..... مجاهدة -  
 ٢٤٨  
 ٢٥٨ ..... مجنوب -  
 ١٥٩ - ١٦٦ - ١٦٧ - ٢٥٢ ..... محاضر -

١٩٥	..... الخو والإثبات	-
١٥٢	..... مرابطة	-
١٩٨	..... مراقبة	-
٢٢٠	..... مرآة القلب	-
٢٤٢	..... مرقعة	-
١٢٢ - ١٤٤ - ١٤٥	..... مرید	-
١٥٠ - ١٤٩ - ١٣٤ - ١٣١ - ١٢٥	..... مشاهدة	-
٢١٠ - ١٦٨ - ١٦٧ - ١٦٥ - ١٦٣		
٢٤٩		
١٧٥	..... المشتري	-
١٨٥ - ١٥٦ - ١٤٢ - ١٣٦ - ١٣٥	..... مقام	-
٢٢٧ - ٢١٤ - ٢٠٥ - ١٩٧ - ١٨٦		
٢٦٠		
١٧١	..... المقدم	-
٢٥٢ - ١٨٦ - ١٦٣	..... منزل ( منازل )	-
١٢١	..... منطق الطير	-
٢٢٦ - ٢٠٨ - ١٧٨ - ١٧٥ - ١٣٠	..... موت	-
٢٥٨		
١٨٧	..... ميزان	-
١٧١	..... ميزان الغيب	-

[ ن ]

٢١٩ - ٢١٨	..... ندم	-
١٧٨	..... نرفانا	-
٢٢٦	..... نفخ الصور	-
٢٤٣ - ٢٠٩ - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٧١	..... نفس	-
١٦٢ - ١٦١	..... نفس أمارة	-
١٨٥ - ١٦٢ - ١٦١	..... نفس لوامة	-

٢٢٧ - ١٨٥ - ١٦٣ - ١٦١	.....	نفس مطمئنة
١٨٦ - ١٨٣ - ١٧١ - ١٧٠ - ١٦٨	.....	نور (أنوار)
٢٤٤	.....	نيران الشيطنة
٢١٧	.....	النيران المذمومة
٢٤٤	.....	نيران الهوى
٢١١	.....	نِيَّة

## [ هـ ]

- ١٦٤ - ١٥٠ (١٤٤) ١٤٣ - ١٣١	.....	هَمَّة
١٩٨ - ١٨٣ - ١٨١ - ١٧٦ - ١٧٥		
٢٣٧ - ٢٢٨ - ٢٢٠ - ٢٠٠ - ١٩٩		
٢٥٩ - ٢٥٥ - ٢٥٢		
٢٣٢ - ٢٢٥ - ١٧٦	.....	هوية
١٩٣ - ١٩١ - ١٩٠ - ١٨٧ - ١٨٦	.....	هَيْبَة
٢٤٩ - ٢٢٦ - ٢٠٨ - ٢٠٦ - ١٩٤		
٢٥٧		
١٥٩	.....	هَيِّمان

## [ و ]

- ٢٥٧ - ٢٠٧ (٢٠٤) ١٥٧ - ١٥٤	.....	واردات
٢٥٢		
٢٦٠ - ١٦٤	.....	واقعات
٢٤١ - ١٤٨	.....	وَرْد
١٩٧ - ١٨٥	.....	وقت
٢١٠	.....	وهم

## [ ي ]

٢٥٥	.....	يد القلب
٢٦٠ - ٢٥٥	.....	يد الهمّة

## فهرس القوافى

[ ت ]

- قتلت غلام .. سفينتى ..... (١٤٢)

[ ء ]

- وبعض عن الأكوان .. فعريدا ..... (٢٥٦)

[ ر ]

- زدنى .. نَسَّعَرا ..... (٢٥٨)

[ ل ]

- إن الكلام .. دليلا ..... ٢٤٧

- ومن يك .. الزلالا ..... (١٤٦)

- ما زلت .. نزوله ..... (١٩٢)

[ م ]

- لقد طفت .. المعالم ..... ٢٦١

- والنفس كالطفل .. ينفطم ..... (١٤٢)

[ ن ]

- أحب على .. وإحسانها ..... ١٩٨

- أنا من أهوى .. أنا ..... ١٩٧

- عجبت منك .. عنى ..... ١٨٢

## فهرس المواضع

	[ أ ]
٢٤١ .....	الإسكندرية -
	[ ب ]
٢٢٠ .....	بلاد المغرب -
	[ ت ]
(١٧٠) .....	تركستان -
	[ خ ]
(١٢١) .....	خيوق -
	[ ك ]
٢٣١ .....	كربلاء -

## فهرس المواضيع

١٢١ .....	حقائق صوفية -
١٢٢ .....	اختبار روى -
١٢٢ .....	طرق المجاهدة -
١٢٥ .....	فروق -
١٢٧ .....	نيران الذكر -
١٢٨ .....	رموز وجودية -
١٣٠ .....	مشاهدات عروجية -
١٣٢ .....	القلب والقلب -
١٣٤ .....	مراتب الوجود -
١٣٦ .....	مشهد -
١٣٦ .....	معاينة -

١٣٧	..... الخواطر	-
١٣٨	..... معاينة	-
١٣٩	..... وصل	-
١٤٠	..... معاينة	-
١٤١	..... وصل	-
١٤٣	..... رواية	-
١٤٣	..... معاينة	-
١٤٥	..... وصل	-
١٤٦	..... مسألة	-
١٤٧	..... رواية	-
١٤٩	..... فصل : في تبديل الذوق	-
١٥٥	..... فصل : في الاستغراق	-
١٥٥	..... معاينة	-
١٥٦	..... إشارة	-
١٥٦	..... وصل	-
١٥٧	..... الاستغراق الثاني	-
١٥٩	..... الاستغراق الثالث	-
١٦١	..... مراتب النفس	-
١٦٤	..... معاينة	-
١٦٤	..... تفسير	-
١٦٥	..... تفسير آخر	-
١٦٥	..... طبقات المشاهدة	-
١٦٦	..... المحاضر الربانية	-
١٦٨	..... سر السير والجذب	-
١٦٩	..... إشارة	-
١٧٠	..... وصل	-
١٧١	..... حقيقة	-
١٧٢	..... أنوار	-
١٧٢	..... شيخ الغيب	-



١٧٣	..... كتب الغيب	-
١٧٤	..... مشاهدات	-
١٧٦	..... الاسم الأعظم	-
١٧٧	..... كرامات	-
١٧٨	..... المحبة والفناء	-
١٨٠	..... من المحبة إلى العشق	-
١٨٢	..... تذكّر	-
١٨٣	..... عود للمحبة والعشق	-
١٨٥	..... فصل : ما الفرق بين الحال والمقام والوقت ؟	-
١٩١	..... أقوال وأحوال	-
١٩٥	..... الشوق	-
١٩٧	..... إجمال	-
١٩٧	..... تفصيل	-
١٩٩	..... بيان أمر الهمة	-
٢٠٣	..... مسألة : في أسرار الحروف	-
٢٠٥	..... معينات	-
٢٠٥	..... إشارة	-
٢٠٥	..... عود للعين	-
٢٠٧	..... مسألة : في مراق الذكر	-
٢٠٨	..... معاينة	-
٢٠٩	..... عود إلى مراق الذكر	-
٢١٠	..... أسرار الخلوة	-
٢١٤	..... أسرار الذكر	-
٢١٧	..... فصل : الجمود والخمود في طريق القوم	-
٢٢٠	..... حكاية غريبة	-
٢٢٣	..... فصل : في اسم الله	-
٢٢٦	..... كلام الله	-
٢٢٧	..... عود لكلام التستري	-

٢٢٨	.....	- صبيحة الهاء
٢٣٠	.....	- الأُنس بالحزن
٢٣١	.....	- أحوال
٢٣٥	.....	- فصل : مشاهدات كرنية
٢٣٥	.....	- معاينة
٢٣٦	.....	- تراور الأرواح
٢٣٧	.....	- واقعة
٢٣٧	.....	- عود للكونيات
٢٣٨	.....	- معاينات
٢٤٠	.....	- تسميات غيبية
٢٤٢	.....	- خرقة الصوفية
٢٤٣	.....	- النفس والعصمة
٢٤٥	.....	- علامات الولاية
٢٤٧	.....	- عود للاسم الأعظم
٢٤٨	.....	- حصول الولاية
٢٥٢	.....	- شجرة اليقين
٢٥٥	.....	- منتهى الذكر
٢٥٥	.....	- منتهى السير
٢٥٧	.....	- قاعدة ذوقية
٢٥٨	.....	- التحير
٢٦٠	.....	- مقامات لا محدودة
٢٦١	.....	- ختام

## مراجع التحقيق ومصادر الدراسة

- ١- إبراهيم حلمى القادري : مدارج الحقيقة فى الرابطة عند أهل الطريقة  
(نشرة مطبعة عادل البهى - الإسكندرية  
١٣٨١هـ).
- ٢- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (نشرة تورنبرج - بريل  
١٨٥٣م).
- ٣- أدي شير : معجم الألفاظ الفارسية المعربة (مكتبة لبنان -  
بيروت ١٩٨٠م).
- ٤- أرطيميدوس : تعبير الرؤيا - ترجمة حنين بن إسحاق ، نشرة  
الدكتور الحفنى (دار الرشاد - الطبعة الأولى).
- ٥- إسماعيل القادري : الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية  
(مطبعة المشهد الحسينى - القاهرة، بدون تاريخ)  
طبقات الشافعية (ديوان الأوقاف - بغداد  
١٩٧١م).
- ٦- الأسنوى (جمال الدين) : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (دار الكتاب  
العربى - بيروت ، الطبعة الرابعة) .
- ٧- الأصبهاني (أبو نعيم) : شطحات الصوفية (وكالة المطبوعات -  
الكويت ، الطبعة الثانية)
- ٨- بدوى (د. عبد الرحمن) : روح البيان فى تفسير القرآن (استانبول  
١٢٨٧ هجرية) .
- ٩- اليروسوى (إسماعيل حقى) : إيضاح المكنون (استانبول ١٩٤٧م)
- ١٠- البغدادى (إسماعيل باشا) : هدية العارفين فى أسماء المؤلفين والمصنفين  
(استانبول ١٩٤٧م)
- ١١- البيرونى (أبو الريحان) : الجماهر فى معرفة الجواهر - تحقيق د / فريتس  
كرنكو = سالم الكرنكوى (حيدر آباد ،  
الدكن - الهند ١٩٣٨م)
- ١٢- التلمسانى (عفيف الدين) : الديوان ، تحقيق د / يوسف زيدان (أخبار  
اليوم ١٩٩٠م)
- ١٤- التهانوى (محمد على الفاروقى) : كشاف اصطلاحات الفنون (دار قهرمان  
- استانبول)

- ١٥ - التيفاشي : أزهار الأفكار في جواهر الأحجار تحقيق د/ محمد يوسف حسن - د/ محمود بسيوني ( الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٧ م )
- ١٦ - جامي ( عبد الرحمن ) : نفحات الأنس ( طبعة لكتنو - الهند ١٩١٥ م )
- ١٧ - الجرجاني : التعريفات ، تحقيق / إبراهيم الأبياري ( دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الأولى )
- ١٨ - جلال شرف ( دكتور ) : الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي ( دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ، بدون تاريخ )
- ١٩ - الجيلاني ( الإمام عبد القادر ) : الفتح الرباني ( الباني الحلبي - القاهرة ، الطبعة الثانية )
- ٢٠ - الجيل ( الشيخ عبد الكريم ) : الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ( مطبعة صبيح - الأزهر ١٩٦٠ م ) .
- ٢١ - شرح مشكلات الفتوحات المكية لابن عربي ، تحقيق د/ يوسف زيدان ( دار سعاد الصباح - القاهرة ١٩٩٢ م )
- ٢٢ - قصيدة النادرات العينية ، تحقيق د/ يوسف زيدان ( دار الجيل - بيروت ١٩٨٨ م )
- ٢٣ - حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ( استانبول ١٩٤٨ م )
- ٢٤ - الحفنى ( د/ عبد المنعم ) : الموسوعة الصوفية ( دار الرشاد - القاهرة ١٤١٢ هجرية )
- ٢٥ - الحلاج ( الحسين بن منصور ) : الديوان ، نشرة لوى ماسينون ( باريس ١٩٣١ م )
- ٢٦ - الطواسين ، نشرة لوى ماسينون ( باريس ١٩٣١ م )
- ٢٧ - خليف ( د/ فتح الله ) : فلاسفة الإسلام ( دار الجامعات المصرية - الإسكندرية ١٩٧٩ م )
- ٢٨ - الخوانساري : روضات الجنات في أخبار العلماء السادات ، تحقيق / أسد الله إسماعيليان ( طهران ١٣٩٢ شمسية ! )

- ٢٩ - الدميرى : حياة الحيوان الكبرى ( دار إحياء التراث العربى - بيروت ، مصورة ! )
- ٣٠ - الذهبى ( الشيخ شمس الدين ) : سير أعلام النبلاء ، تحقيق لجنة من المحققين ( مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هجرية )
- ٣١ - الرومى ( مولانا جلال الدين ) : المثنوى ، ترجمة د/ عبد السلام كفافى ( المكتبة العصرية - بيروت ١٩٦٠ م )
- ٣٢ - الزبيدى ( الشيخ مرتضى ) : التكملة والذيل والصلة لمسافات صاحب القاموس من اللغة ( مجمع اللغة العربية - القاهرة )
- ٣٣ - السبكى ( تاج الدين ) : طبقات الشافعية الكبرى ( المطبعة الحسينية - القاهرة )
- ٣٤ - سعاد الحكيم ( دكتورة ) : ابن عربى ومولد لغة جديدة ( بيروت - الطبعة الأولى ! )
- ٣٥ - السلمى ( أبو عبد الرحمن ) : طبقات الصوفية ، تحقيق / نور الدين شريفة ( مكتبة الخانجي - القاهرة )
- ٣٦ - المقدمة فى التصوف ، تحقيق د/ يوسف زيدان ( مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ )
- ٣٧ - السنوسى : السلسيل المعين فى الطرائق الأربعين ( مخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية - رقم ٦/٣٨٠٣ ) ( تصوف )
- ٣٨ - السهروردى ( شهاب الدين ) : عوارف المعارف ( دار الندوة الجديدة - بيروت ، المجلد الخامس من إحياء علوم الدين )
- ٣٩ - سيد عبد التواب ( دكتور ) : الرمزية الصوفية فى القرآن الكريم ( دار المعارف - سلسلة : اقرأ )
- ٤٠ - الشرقاوى ( د/ حسن ) : الحكومة الباطنية ( الإسكندرية - الطبعة الأولى ١٩٧٥ م )
- ٤١ - الششتري ( نور الدين ) : مجالس المؤمنين ( طهران ١٢٦٩ هجرية )

- ٤٢ - الشطنوفى ( نور الدين ) : بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ( دار الكتب العربية - القاهرة ١٣٣٠ هجرية )
- ٤٣ - الشعرانى ( الشيخ عبد الوهاب ) : لطائف المنن والأخلاق ( دار الفكر - القاهرة ١٩٧٦ م )
- ٤٤ - الأجووية المرضية من أئمة العلماء والصوفية ( مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ) .
- ٤٥ - الشهرزورى : تاريخ الحكماء = نزهة الأرواح وروضة الأفراح ، تحقيق د/ عبد الكريم أبو شويرب ( جمعية الدعوة العالمية - ليبيا ١٩٨٨ م )
- ٤٦ - الشيبانى : تمييز الطيب من الخبيث فيما يجرى على ألسنة العامة من الحديث ( القاهرة ١٣٢٤ هجرية )
- ٤٧ - الشيبى ( د/ كامل ) : الصلة بين التصوف والتشيع ( دار المعارف بمصر )
- ٤٨ - الصفدى : الوافى بالوفيات ، نشرة لإحسان عباس ( فرانز ستانير - فسادن ١٣٨٩ هجرية )
- ٤٩ - طاشكبرى زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ( حيدر آباد - الهند ١٣٢٩ هجرية )
- ٥٠ - العبدلى : رسالة فيما ورد فى الثلج والجمد والبرد ( طبعة بغداد )
- ٥١ - ابن عربى ( الشيخ الأكبر محبى الدين ) : ذخائر الأعلام شرح ترجمان الأشواق ، تحقيق محمد الكردى ( مطبعة السعادة - القاهرة ، بدون تاريخ )
- ٥٢ - رسالة اصطلاح الصوفية ( مكتبة عالم الفكر - القاهرة ١٤٠٧ هجرية )
- ٥٣ - العرينى ( د/ السيد الباز ) : المغول ( دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨١ م )
- ٥٤ - ابن عطاء الله السكندرى : الحكم العطائية - شرح الشيخ زروق ، تحقيق د/ عبد الحليم محمود - د/ محمد بن الشريف ( دار الشعب - القاهرة ١٤٠٥ هجرية )
- ٥٥ - العطار ( فريد الدين ) : منطق الطير ، ترجمة د/ بديع جمعة ( دار الأندلس - بيروت ١٩٨٤ م )

- ٥٦ - ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ( دار الآفاق الجديدة - طبعة مزورة ! - بيروت )
- ٥٧ - عمر الصوفي : صور الكواكب الثمانية والأربعين ( دار الآفاق الجديدة - بيروت ، طبعة مزورة ! )
- ٥٨ - ابن الفارض : الديوان ، تحقيق د/ عبد الخالق محمود ( دار المعارف - القاهرة ١٩٨٤ م )
- ٥٩ - الفيروز آبادي : القاموس المحيط ( دار الجيل - بيروت ، مصورة ! )
- ٦٠ - قاسم غنى ( دكتور ) : تاريخ التصوف في الإسلام ، ترجمة صادق نشأت ( مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٧٢ م )
- ٦١ - القاشاني : اصطلاحات الصوفية ، تحقيق د/ محمد كمال جعفر ( الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨١ م )
- ٦٢ - القشيري : الرسالة القشيرية ( الباني الحلبي - القاهرة ١٣٧٩ هجرية )
- ٦٣ - القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ( دار الكتب الخديوية - المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢ هجرية )
- ٦٤ - القوصوني : قاموس الأطباء وناموس الألباء ( مخطوطة دار الكتب الظاهرية - مصورات المجمع العلمي السوري )
- ٦٥ - كحالة ( عمر ) : معجم المؤلفين ( دار إحياء التراث العربي - بيروت )
- ٦٦ - الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق د/ محمود النواوي ( مكتبة الكليات الأزهرية - الطبعة الثانية )
- ٦٧ - الكمشخانوي : جامع الأصول ( طبعة مصورة - بخط اليد - بدون بيانات )



- ٦٨ - ماهر عبد القادر ( دكتور ) : فلسفة العلوم ، المشكلات المعرفية ( دار النهضة العربية - بيروت ١٩٩٠ م )
- ٦٩ - محمد مصطفى حلمي ( دكتور ) : ابن الفارض والحب الإلهي ( دار المعارف بمصر )
- ٧٠ - المقريري : خطط مصر : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ( دار الشعب - القاهرة )
- ٧١ - مكدونالد : مادة « حزب » بدائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ( دار الشعب - دار الجيل ، بيروت )
- ٧٢ - المكى ( الشيخ أوى طالب ) : قوت القلوب فى معاملة المحبوب ( طبعة القاهرة )
- ٧٣ - الملك التركمانى ابن رسول : المعتمد فى الأدوية المفردة ( دار القلم - بيروت )
- ٧٤ - ابن منظور : لسان العرب ، تصنيف / يوسف خياط ( دار لسان العرب - بيروت ، الطبعة الأولى )
- ٧٥ - ميزرا على مدرس : ريحانة الأدب فى ترجمة المعروفين بالكنية واللقب ( جنجانه - سفق - تبريز )
- ٧٦ - النابلسى : شرح ديوان ابن الفارض ( طبعة بيروت - مصورة )
- ٧٧ - المعارف الغيبية شرح العينية الجيلية ( مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة )
- ٧٨ - النبهانى ( الشيخ يوسف ) : جامع كرامات الأولياء ( دار الكتب العربية - القاهرة ١٣٢٩ هجرية )
- ٧٩ - اليافعى ( عبد الله بن أسعد ) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ( حيدر آباد - الهند ١٣٣٩ هجرية )
- ٨٠ - ياقوت الحموى : معجم البلدان ( دار صادر - بيروت )
- ٨١ - يوسف زيدان ( دكتور ) : شعراء الصوفية المجهولون ( مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة ١٩٩١ م )
- ٨٢ - الطريق الصوفى وفروع القادرية بمصر ( دار الجيل - بيروت ١٤١١ هجرية )

- ٨٣ - : عبد الكريم الجبلى فيلسوف الصوفية ( الهيئة  
المصرية العامة للكتاب - أعلام العرب ، الطبعة  
الأولى )
- ٨٤ - : عبد القادر الجيلانى ، باز الله الأشهب ( دار  
الجيل - بيروت ١٤١١ هجرية )
- 85 — Brockelmann : Geschite der Arabischen Litterature,  
Sup. (Leiden , 1939)
- 86 — Fritz Meyer : Die Fawaih al Gamal (Wiesbaden 1958)
- 87 — Massignion : Art «TARIKA» in Ency. of Islam.

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٧	★ الإهداء .....
٩	★ تمهيد .....
١٣	★ نجم الدين الكبرى *
١٥	★ الفصل الأول : حياته وأخباره .....
١٥	— اسمه وألقابه .....
٢١	— مولده ونشأته .....
٢٢	— رحلاته وسياحته .....
٢٨	— الولاية .....
٣٠	— مذهبه .....
٣٥	— كراماته .....
٣٨	— استشهاده .....
٤٣	— مصادر بحثه .....
٤٧	★ الفصل الثاني : شيوخه ومعاصروه .....
٤٩	— روزبهان .....
٥٤	— ابن العصر .....
٥٦	— عمار .....
٥٩	— القصرى .....
٦٢	— الرازى .....
٦٧	★ الفصل الثالث : تلاميذه وطريقته .....
٦٧	— صانع الأولياء .....
٦٩	— الباخرزى .....
٧٣	— مجد الدين البغدادى .....

رقم الصفحة	الموضوع
٧٥	— نجم الدين داية .....
٨٠	— على لالا .....
٨١	— سعد الدين الحموى .....
٨٣	— فروع الكبرى .....
٨٥	— الأذكار الكبرى .....
٨٧	★ الفصل الرابع : أسلوبه ومؤلفاته .....
٨٧	— أسلوب الشيخ .....
٨٩	— الأصول العشرة .....
٩٦	— رسالة السفينة .....
٩٧	— رسالة الهائم .....
٩٩	— تفسير القرآن .....
١٠٤	— الرباعيات .....
١٠٨	— فوائح الجمال وفوائح الجلال .....
١١١	★ منهج التحقيق ★
١١٣	— نسخ التحقيق .....
١١٤	— الهوامش .....
١١٥	— العناوين الجانبية .....
١١٦	— الرموز المستخدمة .....
١١٩	★ النص المحقق .....
٢٦٣	★ الفهارس .....
٢٨٩	★ المراجع .....
٢٩٩	★ فهرس الموضوعات .....

## ■ دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية  
مسجلة بدولة الكويت  
وجمهورية مصر العربية  
وتهدف إلى نشر ما هو  
جدير بالنشر من روائع  
التراث العربي والثقافة  
العربية المعاصرة والتجارب  
الابداعية للشباب العربي  
من المحيط إلى الخليج وكذا  
ترجمة ونشر روائع الثقافات  
الأخرى حتى تكون في  
متناول أبناء الأمة فهذه  
الدار هي حلقة وصل بين  
التراث والمعاصرة وبين  
كبار المبدعين وشبابهم  
وهي نافذة للعرب على  
العالم ونافذة للعالم على  
الأمة العربية وتلتزم الدار  
فيما تنشره بمعايير تضعها  
هيئة مستقلة من كبار  
المفكرين العرب في  
مجالات الإبداع المختلفة .

### هيئة المستشارين :

- |                       |   |
|-----------------------|---|
| ( مدير التحرير )      | أ. إبراهيم فريح<br>د. جابر عصفور<br>أ. جمال الغيطاني<br>د. حسن إبراهيم<br>أ. حلمى التسونى<br>د. خلدون النقيب<br>د. سعد الدين إبراهيم<br>د. سمير سرحان<br>د. عدنان شهاب الدين<br>د. محمد نور فرحات<br>أ. يوسف القعيد |
| ( المستشار الفنى )    |   |
| ( العضو المنتدب )     |   |
| ( المستشار القانونى ) |   |



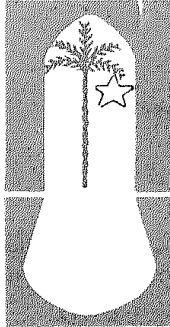
## فوائح الجمال وفوائح الجلال

### الكتاب

يضم هذا الكتاب دراسة وتحقيقاً ..

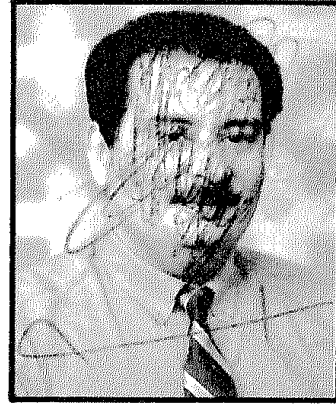
تدور الدراسة حول الصوفي المسلم العظيم نجم الدين الكبرى ، أعظم رجال التصوف السني في المشرق الإسلامي أوائل القرن السابع الهجري .. تستعرض فصول الدراسة الأربعة حياة الشيخ وتفاصيل تصوفه وشيوخه في الطريق وتلامذته الذين حملوا من بعده لواء الطريقة الكبرى ، كما تتوقف الدراسة عند أهم أحداث القرن السابع الهجري « غزو المغول » لتوضح دور الشيخ نجم الدين في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الأمة الإسلامية .

وفي القسم الثاني من الكتاب يقدم الدكتور يوسف زيدان تحقيقاً علمياً دقيقاً لكتاب « فوائح الجمال وفوائح الجلال » وهو أهم كتب الشيخ نجم الدين ، وهو يُنشر محققاً للمرة الأولى في العالم العربي المعاصر .. والتحقيق مُدَبَّل بمجموعة فهراس وكشافات دقيقة ، وفي الكتاب سنجد - أيضاً - مجموعة أخرى من رسائل نجم الدين الكبرى .. محققة .



دار سعاد الصباح

### المحقق



دكتور يوسف زيدان

- ★ ولد بسوهاج سنة ١٩٥٨ م .
- ★ عاش بالإسكندرية ودرس بها حتى نال درجة الدكتوراه من جامعتها في الفلسفة الإسلامية سنة ١٩٨٩ م .
- ★ عضو : اتحاد كتاب مصر - الجمعية الفلسفية المصرية - الجمعية العالمية لتاريخ الطب (باريس) .. وغير ذلك .
- ★ شارك ببحوثه في التصوف وتاريخ العلوم العربية في العديد من المؤتمرات .
- ★ كتب عشرات البحوث والمقالات في التراث العربي الإسلامي .
- ★ له ما يقرب من عشرين كتاباً في التراث الصوفي وتاريخ العلوم العربية والفلسفة الإسلامية .
- ★ نشرت له دار سعاد الصباح قبل ذلك كتاب : شرح مشكلات الفتوحات المكية ، لعبد الكريم الجبلي ( دراسة وتحقيق ) .

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)